رواية

سماء بلا قضبان

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسم الكتاب: سماء بلا قضبان
التأليف: سامية أحمد
موضوع الكتاب: رواية
عدد الصفحات: 328 صفحة
عدد الملازم: 20.5 ملزمة
مقاس الكتاب: 14 × 20
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 259 / 2016
الترقيم الدولي: 3 - 535 - 278 - 977 - 978 : ISBN

1437 هـ
2016م

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

Darelbasheer@hotmail.com
Darelbasheeralla@gmail.com

ت: 01012355714 - 0115280653

رواية

سماء بلا قضبان

سامية أحمد

دار البشير
للثقافة والعلوم

إهداء

إلى الجمريين في كل زمان ومكان...

مهما اختلفت أسماؤهم،

وأيًّا كان مكانهم...

في جوف الأرض..

أو قاع البحر..

أو في أطراف السماء الواسعة

مُقَدِّمَة
العصر الغازي

قامت ثورة الغازات في النصف الثاني من القرن الثاني والعشرين، بالتحديد في عام 2168 عندما استطاع أحد العلماء صناعة أول مفاعل غازي لتوليد الأكسجين ونظائره بكميات ضخمة، ولكنه قضى مقتولًا في ظروف غامضة، وسرقت تصميمات اختراعه، وتم تسريبه إلى كافة دول العالم وتسابقت الدول المتقدمة في الاستفادة من هذا الاختراع وتطويره واستخدامه في أبحاث الفضاء والكواكب؛ مما جعل اقتحام الفضاء شيئًا ممكنًا، والسكن فوق الكواكب حقيقة فعلية.

وبدأ السباق الحقيقي نحو الفضاء مع اختراع أول مركبة فضائية تفوق سرعة الضوء في القرن الثاني والعشرين ثم قامت الحرب العالمية الثالثة عندما استولت إحدى الدول الكبرى على أحد الكواكب، وأعلنت أنه ملكية خاصة لها هو وكل توابعه ولكن الحرب هذه المرة لم تكن كأيّ حرب كانت حربًا نووية، وانطلقت القنابل والصواريخ النووية بلا حساب، وبدأت الأرض تئن تحت وطأة التلوث الإشعاعي.

وعبر ناقلات فضائية ضخمة، بدأ البشر في ترك الأرض التي فاق التلوث فيها القدرة على الحياة والانتقال إلى كواكب المجموعة الشمسية التي تم معالجة أجوائها عبر مفاعلات غازية عملاقة لتوليد الأكسجين، واستطاع البشر التحكم بجوّ الكواكب وتحويلها إلى أجواء مشابهة لجوّ كوكب الأرض؛ حتى تصلح للحياة، واستطاعوا التحكم في درجات الحرارة والضغط الجوي.. الخ.

واتخذت كل مجموعة من البشر كوكبًا لها بتوابعه لتعيش عليه، وحصنته بغطاء دفاعيّ جويّ يحميها من الهجوم عليها، ووضعت الحرب أوزارها بعد أن عانى البشر أشد المعاناة من ويلات الحروب، واتفقوا أخيرًا على تكوين مجلس حكماء اتحاد كواكب المجموعة الشمسية، ثم بدأوا ينظرون إلى البشر المساكين الذين اضطروا للبقاء على الأرض الملوثة رغمًا عنهم لعدم تمكنهم من تصنيع ناقلات فضائية تمكنهم من الرحيل عن الأرض، والهروب من الموت، وتعاون مجلس حكماء اتحاد كواكب المجموعة الشمسية في إرسال ناقلات فضائية من كل كوكب لإنقاذ ما تبقّى من البشر على سطح الأرض.

ووضع كل مجموعة منهم في أحد التوابع لكل كوكب لأن أعدادهم كبيرة، كما لا يمكن جمعهم في كوكب واحد

وبمرور السنوات بدأ الواقع يفرض نفسه، وأصبح هناك صنفان من البشر: صنف من السادة ، وصنف تابع.

EEE

(1)

سطع ضوء أزرق مبهر، أعقبه بفترة بسيطة صوت هبوط مركبة حربية فوق مهبط المركبات الفضائية، لكن الصوت لم يكن طبيعيًّا، بل كان ينبئ أن المركبة فيها عطب ما، فجأة أضيئت أنوار المدرج الكبير المعدّ للسير بشكل متتابع خلَّاب؛ لتظهر بوضوح المركبة الحربية البيضاوية بألوانها المميزة التي تعبر عن ألوان شعار كوكب الساموز، واتسعت عيون الجماهير المحتشدة على جانبي المدرج لهفة وترقبًا تنتظر القادمين.

ومن أسفل المركبة فتح الباب المستدير، وانفصل عنها هابطًا ببطء في اتجاه بداية المدرج المضئ لتظهر سيقان الشخص الواقف فوقه، وبعدها بقية جسده الرياضي القوي وهو يرتدي زي الساموز العسكري.

ومع ظهور وجهه الوسيم الباسم ذي العينين الزرقاوتين والشعر البني الناعم والمنسدل حتى أذنيه، حتى تفجر المكان بصرخات الإعجاب والتصفيق، وانهالت الزهور الاصطناعية الملونة، والغازات المضيئة عليه وحوله وهو يقفز من فوق القرص ويقطع المدرج المضئ عدْوًا وهو يلوح بيديه ويحيي الجماهير وابتسامته تتسع ويمتلئ وجهه بالسرور والبشر.

وصل الشاب إلى المنصة الضخمة التي يقف عليها الحاكم وزوجته ومعاونوه، حيَّا الواقفين على المنصة، ثم ركع على إحدى ركبتيه، على الفور رفع الحاكم أسطوانة صغيرة في حجم أصبعه الخنصر، وأشار بها إلى ذراع الشاب وحركها بطريقة معينة، لترتسم على زيه العسكري علامة متوهجة مميزة تشير إلى أن رتبته أصبحت قائد فريق.

وينهض الشاب ليحيي الحاكم، ثم يحيي الجماهير، ثم يقف على المنصة بجوار زوجة الحاكم ليشهد مراسم الترحيب بزملائه في الفرقة التي عادت لتوِّها من المعركة مكللة بالانتصار.

مال الشاب على أذن زوجة الحاكم وقال بحب: اشتقت إليك.

همست له باسمة: لنا حديث طويل معًا بعد انتهاء الحفل الذي سيقام الليلة.

بدأ الاحتفال بالنصر بمجموعة من الرقصات لفرقة من فتيات الساموز الجميلات على المسرح الليزري المتحرك

كورني!!

التفت قائد الفرقة خلفه مباشرة ليواجه تلك الفتاة الجميلة للغاية والغاضبة بشدة.

رسم على وجهه البلاهة وهو يقول بمرح مصطنع: مرحبًا "سيفا"، لم أرك منذ عدنا من المعركة.

جذبته من ذراعه من أمام المسرح وهي تقول بغضب: أفهمك تمامًا، أنت أفضل من يدّعي البراءة، أتتعمد تجاهلي!؟

قال بدهشة مصطنعة: أنا؟

قالت بدلال: ستكون رفيقي.

قال معتذرًا: أوه، عفوًا، لا أستطيع هذه الأيام، فأنا برفقة مجموعة من فتيات الساموز.

لمعت عيناها بشدة، وقالت بلهجة ظهر فيها التهديد: الساموز والزايانز يجب أن يصبحا كيانًا واحدًا،

لقد أتيت من كوكبي إلى هنا لأكون رفيقتك، لقد حاربنا معًا وحصلت مثلك على نفس الرتبة والتقدير.

قال متظاهرًا بالبلاهة: حقًّا؟ إذًا يجب أن أتخلص من رفقة هؤلاء الفتيات الساموزيات اللاتي يطاردنني، وبعدها نتكلم.

قالت بغضب: أتقارنني أنا بهؤلاء التافهات؟، سأكون رفيقتك شيءت أم أبيت.

كورني..

أنقذه صوت الحاكم من بين أنيابها ولسانها، فهرب منها معتذرًا، واتجه إلى الحاكم الذي بادره قائلًا: كيف كانت المعركة؟

كورني بحماس: رائعة، لقَّنَّاهم درسًا لن ينسوه.

سارا جنبًا إلى جنب يجوبان الحفل، وقال الحاكم وهو ينظر إلى ضيوفه ويحييهم: لا تفرح كثيرًا، سيعاودون الهجوم علينا من جديد، سكان كوكب «سيا» يحاولون لملمة شتاتهم، منذ أن انفصلت مجموعات كبيرة منهم عن كوكبهم الأم، واستقلوا في بعض الكويكبات والتوابع التي حوله، أصبحوا أضعف منا بكثير، خاصة في ظل تحالفنا مع اتحاد كواكب «أبوروا».

علينا أن نستغل هذا جيدًا، ولا نسمح لسكان كوكب «سيا» بالاتحاد مجددًا، كما يجب أن نعمل على جذب حلفائهم والمتعاطفين معهم من الكواكب القريبة منهم إلينا.

قاطعه كورني بحماس: إنك تعطيهم أكبر من حجمهم، منذ المعركة الأخيرة وأنا مدرك تمامًا أنهم عاجزون عن مواجهتنا، كما أن مجلس حكماء اتحاد الكواكب لايمكنه اتخاذ أيّ موقف ضدنا.

قال الحاكم باهتمام: علمت أن مركبتك أصيبت في المعركة.

كورني بلامبالاة: إصابة طفيفة، الأمر ليس خطيرًا، كما أن المركبة ستصلح نفسها بنفسها.

الحاكم بصرامة: لا تتعامل مع الأمر بلا مبالاة، أنت كمحارب مركبتك هي جزء منك، فاعتن بها جيدًا.

صمت الحاكم قليلًا، ثم سأله باهتمام: وماذا عن "سيفا"؟ متى ستعلن رفقتك بها؟

كورني بضيق: ليس بعد، لا أرغب في ذلك الآن.

قال الحاكم بلهجة جادة: لا حاجة لي بتذكيرك بواجباتك. إنها لم تأت لكوكب الساموز إلا من أجل ذلك،

هدف الساموز والزايانز هو الاتحاد، وهذا أفضل لكلينا.

كورني بضيق: ولكني أكره محاولاتها المستميتة لفرض سيطرتها عليّ، كما أنني لا أرغب برفقتها.

توقف الحاكم عن السير، والتفت إليه، وحاول أن يكظم غضبه قدر ما يستطيع حتى لا يلاحظ أيٌّ مِمّن حوله، وقال بصوت حاول أن يجعله خفيضًا: هل جننت!! تعلم منذ وقت طويل أن هذا سيحدث، بل هو واجب عليك باعتبارك حاكم الساموز في المستقبل.

كورني بعناد: ولماذا يتحتم علينا أن نتحالف معهم؟ إن كوكبهم أصغر من كوكبنا، كما أن عددهم قليل، لا يملأ حتى أحد توابعنا الصغيرة!.

الحاكم: لكن قوتهم وأفكارهم غير عادية، إننا نسعى لسيادة المجموعة بأكملها، وهم لديهم القدرة على مساعدتنا للوصول إلى هدفنا، عليك أن تعي هذا جيدًا، وتعمل من أجله كحاكم للساموز.

كورني: وما دخل رفقتي لـ"سيفا" بالأمر؟

الحاكم: لنقل أنها أقوى جسور التعاون بيننا وبينهم.

كورني بضيق: ولكنك كحاكم للساموز اخترت رفيقتك من الساموز.

صمت الحاكم قليلًا، ثم قال: ورغم هذا، إذا اقتضت الظروف فسوف أتركها وأرافق من في يدها مصلحة الساموز.

ظهرت على وجه كورني صدمة كبيرة، وقال: تلقي بها بهذه السهولة رغم حبك لها؟

الحاكم: لن ألقي بها، بل سنتفق على ذلك، فهي أيضًا تقدر أن مصلحة الساموز فوق كل شيء، وهذا هو سر تفوقنا.

كورني بضيق: مصلحة الساموز، أم مصلحتك أنت؟

قال بنبرة قوية: لو لم يكن الساموز متأكدين أنني أعمل لصالحهم لما أبقوني حاكمًا عليهم، ولاختاروا حاكمًا غيري.

توقف الحديث، والتفت الاثنان على صوت رفيع يعرفانه جيدًا يهتف: مرحبًا بالبطل الرائع، أنت نجم هذا الحفل عن جدارة.

ظهر الضجر على وجه كورني في حين ابتسم الحاكم ابتسامة مهادنة قائلًا بمودة مصطنعة: مرحبًا "دافي".

دافي بخبث: حقًّا أحسدك على ابنك هذا، "سيفا" محقة أن تتدله في حبه، إنها تعشقه.

كورني بسخرية: حقًّا!

تجاهل "دافي" أسلوبه الساخر، والتفت إلى الحاكم قائلًا باهتمام: لديّ أمر هام أناقشه معك، هناك مجموعة جديدة من المتمردين ظهرت حول الكوكب.

الحاكم بدهشة: متمردين؟

دافي: نعم، إنهم من الموهادز.

حتى الآن المعلومات المتوفرة عنهم قليلة للغاية، لا أحد يعرف عنهم شيئًا.

كيف نشيءوا؟، مَن وراءهم؟، لا أحد يعلم، ولكن اطمئن، سنعرف عما قريب، ولكن الواضح أن قوتهم ليست كبيرة، كما أن أسلحتهم ومركباتهم بسيطة وقديمة، ولكنهم استطاعوا تطويرها كمركبات قاذفة للصخور الفضائية.

نظر إليه "كورني" باستخفاف وقال بسخرية: صخور؟ وهل هذا هو ما يقلقك؟

نظر إليه "دافي" وقال بتحدٍ: الأمر ليس سهلًا، لقد استطاعوا إصابة بعض الأهداف، وإحداث قلق وفزع بين الناس في بعض التوابع المحيطة، كما أن قانون المجموعة يحرم على الموهادز امتلاك أو استخدام أية معدات أو أجهزة إلكترونية أو غازية لأيّ غرض من الأغراض، وإن كانوا

استطاعوا سرقة وتطوير تلك المركبات، فمن يضمن لنا ما يمكن أن يفعلوه فيما بعد، لابد من القضاء عليهم وبسرعة، قبل أن يتصلوا بالمتمردين في الكواكب الأخرى.

الحاكم بقلق: عليك أن تجمع أكبر قدر من المعلومات عنهم؛ حتى نقضي عليهم.

التفت إلى كورني، وقال: ستذهب غدًا إلى التابع فاست لتتولى تدريب الفرق، ولا تنس إصلاح مركبتك.

هز "كورني" رأسه موافقًا، وتركهم يكملان حديثهما وأخذ يتابع الحفل.

EEE

وقف "كورني" أمام حجرة زوجة حاكم الساموز، وقال: أنا كورني.

سمع صوتها يقول: مرحبًا بك في كل وقت.

كان هذا صوت مسجل قفل الباب الإلكتروني، وانفرج بعده الباب أوتوماتيكيًّا بعد أن تعرَّف على بصمة صوت "كورني".

دخل "كورني" إلى الحجرة الرحبة الفسيحة، وظل يسير فيها لفترة حتى وصل إلى الركن الذي تعشقه، وتقضي فيه معظم وقتها.

دار بعينيه في الركن الأخضر الفسيح المملوء بزهور وأشجار وحشائش اصطناعية، ألوانها ورائحتها غاية في الروعة والجمال.

تأمل أمه وهي تجلس على مقعدها المفضل في ذلك المكان الرائع، وعيناها معلقة بالسماء الواسعة من خلال السقف الشفاف الذي صُنع على هيئة قبة بلورية، كانت شاردة عما حولها، تتحرك شفتاها ولسانها دون أن تحدث صوتًا، كعادتها دائمًا.

كم من مرة رآها على تلك الحالة، وكم من مرة تساقطت دموعها دون أن يعرف لها سببًا.

تقدم وجلس بجوارها وأخذ يتأمل وجهها الهادئ الجميل وشعرها الأسود الناعم، همس إليها عندما لم تنتبه لوجوده وهي على حالتها تلك: أمي.

التفتت إليه وكأنما فوجئت به، ولكنها بسرعة نفضت عن نفسها تلك الحالة التي كانت عليها، وابتسمت بحبّ: كورني.

قال بعطف: ألا زالت تنتابك تلك الحالات.

قالت متسائلة بدهشة: أية حالات؟

قال: أعني الشرود والتمتمة، لا أدري ما تقولين.

تنهد، ثم سألها: لماذا لم أرك في الحفل؟

قالت باسمة: أحب الهدوء كثيرًا.

كيف كان الحفل؟

قال بضيق: سيئ، سيئ للغاية.

قالت بدهشة: لماذا! ألم تستمتع مع رفيقاتك؟

قال ساخرًا: لم يستطعن الاقتراب طالما كانت "سيفا" موجودة.

قالت بتساؤل: ألن تعلن رفقتك بها؟

قفز من جوارها وهو يهتف: حتى أنت يا أمي؟

ألقى بجسده على الحشائش الخضراء ذات الرائحة الاصطناعية العطرة، وتدحرج عليها عدة مرات وهو يستنشق عطرها المصنّع الجميل، ثم وضع كفيه أسفل رأسه وأخذ يتأمل السماء، وهو يقول بضيق: لا أرغب بذلك الآن.

قالت بدهشة: ألَا تحبها؟

مط شفتيه وقال: بل اسأليها هي، هل تحبني؟ في بعض الأحيان أشعر أن كل ما تريده فقط هو السيطرة عليّ.

قالت بحنان: وماذا عن رفيقاتك الأخريات؟ لماذا لا تختار واحدة منهن، وتعلن رفقتك بها؟

هب جالسًا، ومد ساعده فوق إحدى ركبتيه وقال بإحباط: ليس هناك منهن من أرغب حقًّا برفقتها.

تنهدت بيأس وقالت: أخبرني بصدق، ما الذي تريده؟

هز رأسه وقال بحَيْرة: لا أدري! لم ألتقِ بعد من أرغب حقًّا برفقتها، حتى أنني أتمسك بها طوال حياتي،

مازلت أبحث عن فتاة أحبها حقًّا.

تنهد لينفض عنه مشاعره السلبية، ثم التفت إليها قائلًا: دعك من هذا الآن، أريد أن أخبرك بأنني سأغادر إلى التابع (فاست)، أرسلني الحاكم إلى هناك لتدريب الفرق.

قالت: حسنًا، لا تتأخر كثيرًا.

ابتسم بحبّ: أنت الوحيدة في ذلك الكون التي لا أستطيع التأخر عنها، كما أن أبي عهد إليّ بمهمة مطاردة مجموعة من المتمردين الموهادز.

تغير لون وجهها وهمست: الموهادز؟

جلس بجوارها وقال: قلقة عليّ؟

قالت وهي تحاول السيطرة على أعصابها: لقد عدت لتوِّك من معركة!

قال باسمًا: الأمر لا يستدعي أيّ قلق، فهم قلة من الموهادز المتمردين، وسأقضي عليهم بسهولة.

نظر في عينيّ أمه، وبدأت تشتعل بداخله نيران من الحيرة لا يعرف لها سببًا، فكلما نظرت إليه يشعر وكأنها تريد أن تقول له شيئًا، ولكنها لا تستطيع.

فكر كثيرًا أن يسألها، لكنه كان دائمًا يتراجع في آخر لحظة، فهو يعرفها تمامًا، صامتة، هادئة، عيناها حزينة.

قبَّل رأسها بحبّ، وتركها ورحل إلى مركبته.

بمجرد أن دخل إلى مركبته حتى قال بصوت عالٍ: مرحبًا "توبي".

رد عليه صوت نسائيّ جميل: مرحبًا "كورني"، اشتقت إليك.

قال وهو يسير داخل المركبة الواسعة يتفقد جدرانها وأجهزتها: هل تمت عملية الإصلاح بنجاح؟

رد عليه صوت المركبة الرقيق: تم كما أمرت تمامًا.

كورني: حسنًا، سنتجه إلى التابع فاست.

توبي: قيادة يدوية أم آلية؟

قال وهو يتقدم إلى مقدمة المركبة: بل آلية.

على الفور انشقت الأرض عن مساحة مربعة الشكل خلف قدميه تمامًا، وصعد منها كرسيٌّ حجمه مناسب تمامًا لحجم جسم "كورني"، لم ينظر "كورني" خلفه، بل جلس بشكل اعتياديّ.

استرخى "كورني" في مقعده، والذي اتخذ شكل جسمه تمامًا، وسارت المركبة بسرعة بطيئة حسب أوامره، ومن خلال الجزء الشفاف الأمامي للسفينة، غاصت عيناه في عمق السماء السوداء بنجومها اللامعة البعيدة وأجرامها وكويكباتها، وبدأت قشعريرة غريبة تنساب في كل جسده من ذلك

المنظر المهيب، وذلك العالم الشاسع، ومركبته تغوص في ذلك البحر العميق من السواد المزين بمصابيح بعيدة يحمل ضوؤها إلى قلبه الكثير من المشاعر.

بدأ يفكر ويسرح في هذا الكون الفسيح، فبرغم ما تتمتع به المركبات من سرعة فائقة، وبرغم التقدم المذهل في صناعة المركبات بعد اكتشاف المادة الجديدة التي تُصنع منها جسم المركبة؛ إلا أنه لم يستطع أحد أن يتعدى المجموعة الشمسية بكل أقمارها وكويكباتها.

لازال العلماء يطورون سفنًا أعلى في السرعة وأكثر قدرة على تحمل السفر خارج المجموعة الشمسية، وربما عبْر المجرات فيما بعد.

يا لهذا الكون الفسيح!!

من يستطيع أن يصل لآخره! كلما خطا الإنسان خطوة ويظن أنه اقترب، يجد أنه ابتعد أكثر، وفي النهاية، لايجد سوى الثقب الأسود يضمه.

أيقظه صوت المركبة "توبي" من شروده: كورني، إنذار..إنذار.

اعتدل في جلسته، فعدَّل الكرسيُّ وضعه حسب جسمه.

قال "كورني" بقلق: توبي، ماذا حدث؟

توبي: هناك مشكلة في القطاع 3 من المركبة.

كورني بغضب: إنه نفس مكان الإصابة، ألم تصلحيه بعد؟

توبي: إنذار، المركبة بدأت تخرج عن السيطرة الآلية، الأفضل أن تتولى قيادتها يدويًّا.

وفي الحال انشقت مساحة مربعة من الأرض أمام قدميه، وخرج منها جهاز مستطيل انبسط أمامه، وخرجت منه أذرع وأجهزة للتحكم، أمسك "كورني" بالدفة وبدأ يوجهها بمهارة وهو يقول بقلق: توبي، أحتاج مساعدة، الشاشة خمسة معتمة، أحتاج لتحديد مكاني بدقة، وما هو أقرب تابع يمكننا الهبوط عليه؟

توبي: ثلاثة فاصل ثمانية.

هتف: توبي، هل أنت هنا؟

توبي: مرحبًا "كورني"، اشتقت إليك.

هتف بقلق: توبي، توبي..

لم يأتِه رد، وبدأت المركبة تهتز، استخدم بعض المفاتيح أمامه، فأضاءت أمام وجهه صور ثلاثية الأبعاد عليها صورة لتحديد مكانه وخرائط متعددة للكوكب وتوابعه، أخذ يبحث فيها عن أقرب تابع منه، كانت المركبة مندفعة بشدة وهو يحاول السيطرة عليها بصعوبة، وهو يراها تقترب من سطح أحد التوابع، ثم أظلمت الشاشة تمامًا، وارتج جسده وهو يشعر بارتطام المركبة بسطح التابع، وأخذت تهتز بعنف وكأنما تحتك بشيء ما ثم توقفت، وأظلم كل شيء.

EEE

(2)

من خلال وضعه في المركبة، أدرك "كورني" أن المركبة سقطت بشكل عمودي، وعالقة في مكان ما، حلَّ المجال المغناطيسي الذي يثبِّته في مقعده، وبدأ يتفقد وضع المركبة بعد أن أضاء مولدات الطاقة الاحتياطية، وحاول فتح باب المركبة، ولم يفتح، وأدرك أن المركبة مدفونة في مكان ما، كما أدرك أن هناك حقولًا من المجال المغناطيسي تعوق أجهزة الاتصال في المركبة، وكذلك أجهزة الاتصال الشخصية الخاصة به، اتجه إلى ذيل المركبة، وبدأ بتشغيل نظام دفع الغازات من خلال الذيل.

استمرت عملية دفع الغازات وقتًا حتى استطاعت إزالة الصخور والأتربة من فوق الباب الخلفي في ذيل المركبة، ارتدى خوذة الأكسجين وثبتها جيدًا حول رقبته في ردائه العسكري، وكذلك القفازات الواقية، ثم ركب دراجته الغازية المعدة للسير والقفز فوق التربة، وفتح الباب الخلفي وانطلق بدراجته الغازية صاعدًا من الحفرة التي أحدثتها المركبة فى التربة، وكان صعوده بطيئًا وهو يزيل الصخور والأتربة من طريقه بجهاز كاسح الصخور في الدراجة.

أخيرًا، استطاع الخروج إلى ضوء الشمس، نظر إلى السماء وتنهد براحة كبيرة عندما رأى السماء تمتلئ بحزم ضوئية ليزرية على شكل خطوط سميكة حمراء وليست زرقاء، مما يدل أنه لا زال داخل حدود كوكب الساموز وتوابعه، فكل كوكب يتخذ نظام حماية خاص به له لون مميز عن بقية الكواكب الأخرى، وهو عبارة عن درع من حزمات ضوئية ليزرية ضخمة تطلقها أبراج حراسة عالية، وهذه الأبراج موزعة على سطح الكوكب وسطح توابعه بطريقة منظمة ومدروسة، وهي تكوِّن سياجًا لا تستطيع أيّ مركبة عبوره إلا إذا كان قائدها يمتلك خريطة السياج وأماكن نقاط العبور أو يكون لديه تصريح يسمح له بالعبور، فهذا النظام يحمي الكوكب من الاختراق، كما يمنع المتسللين والمطلوبين من الهروب إلى خارج الكوكب.

قام "كورني" بتشغيل نظام استقبال وتحليل المعلومات في الخوذة التي يرتديها، وعلى الفور أتاه صوت بجوار أذنه يشرح له تحليل نسبة الغازات التي في الجو، عرف أن الهواء غير ملوث ويصلح للتنفس، وبرغم أن نسبة الأكسجين لم تكن قياسية؛ لكنها تصلح لحياة البشر.

وضع قدميه على الأرض، فقام حذاؤه الذي يرتديه بتحليل مكونات التربة، وأتته النتائج على الفور عبر صوت الخوذة التي أخبرته بتحليل مكونات التربة بدقة متناهية، ثم تلتها بقية المعلومات عن خريطة موقعه،

وعرف "كورني" أنه سقط على تابع النفايات، وهو تابع مهمل بسبب طبيعة تربته الفقيرة والغير ثابتة وجوِّه السيئ،

كاد ييأس من أن يجد إنسانًا في هذا المكان، لكنه لمح من بعيد تلة عالية تبدو كفوهة بركان خامد، لكن ما أثار انتباهه أنه رأى إنسانًا يجلس فوق التلة.

أعطته الخوذة منظرًا مقربًا بناءً على أمره ليظهر هذا الإنسان بوضوح له، لكنه لم يتبين إن كان رجلًا أو امرأة، فلم يرَ سوى ظهره، انطلق بدراجته ليصل في لحظة واحدة إلى أسفل التلة، وبقفزة سريعة من الدراجة أصبح فوقها، ونزل عن دراجته ودار حول فوهة البركان ليقترب من هذا الإنسان الذي تبين له أنه فتاة شابة مظهرها غريب للغاية.

أخذ صورة مقربة لجانب وجهها من خلال الخوذة، كان وجهها نحيلًا، وعظامه بارزة، وعيناها غائرتين، وشعرها قصير للغاية، ولون وجهها ذي زرقة واضحة؛ مما أنبأه أنها من الموهادز السفليين الذين يعملون في استخراج وتصنيع معدن "بلو سترونج" الذي يُصنع منه جسم المركبات الفضائية.

أما ما أصابه بالدهشة هو أنها كانت تجلس شاردة تتأمل السماء، وشفتاها ولسانها يتحركان بتمتمات هامسة لا يسمعها، وعلى وجهها استقر هدوء وطمأنينة وسلام.

نزع الخوذة المرنة من رأسه، وطواها فانطوت بسهولة كقطعة قماش، وعلقها في حزامه، وقال باسمًا: مرحبًا.

التفتت إليه فجأة، وبمجرد أن وقعت عيناها عليه حتى تغير وجهها واختفت الطمأنينة، وامتلأ وجهها بتعبيرات غريبة.

تعجب "كورني" من نظراتها فلم تكن تحمل من الدهشة والمفاجأة بقدر ما تحمله من عدائية وغضب وكراهية أيضًا.

اقترب منها، وقال متجاوزًا صمتها ونظراتها: أنت من الموهادز؟

قال برغم أنه لم يتلق ردًّا: ما الذي أتى بك إلى هنا؟

نزل على ركبته وهو يقول: لماذا لا تتكلمين؟ ألا تتحدثين لغة الساموز؟

نهضت فجأة، فسألها مجددًا وهو ينهض: هلا أخبرتني أين أقرب محطة للمركبات الناقلة؟ لقد تعطلت مركبتي ودفنت هناك.

رمته بنظرة غريبة، ثم تركته ونزلت على قدميها من التلة.

جمده الذهول للحظات من تصرفها، ثم هتف: هاي! أنت.

أخذ دراجته وبقفزة واحدة كان يقف ينتظرها عند سفح التلة، ووقف يراقبها وهي تقترب منتظرًا أن تقول شيئًا، لكنها تجاوزته دون حتى أن تلتفت إليه.

زفر بضيق وهو يراها ترحل.

لكنها فجأة توقفت والتفتت عائدة إليه بخطوات سريعة وسألته مباشرة: عمَّ كنت تسأل؟

تبسم بدهشة من تبدل موقفها، وقال ببساطة: محطة المركبات الفضائية الناقلة.

تجاوزته إلى طريق آخر غير الذي كانت تسير فيه وهي تقول باقتضاب: اتبعني.

ألقى نظرة بعيدة على الطريق الذي غيرته ليرى مجموعة كبيرة من الموهادز يسيرون معًا، لكنه لم يهتم وذهب خلفها.

طوال الطريق للمحطة حاول "كورني" أن يتكلم معها لكنه في كل مرة لم يكن يجني سوى الصمت.

وصلا إلى المحطة، ووقفا ينتظران المركبة، وشعر "كورني" بالدهشة وهو يتأمل أعدادًا كبيرة من الموهادز بأشكالهم الغريبة التي يرثى لها.

سأل الفتاة الغريبة: هل تتأخر المركبة دائمًا؟

نظرت إليه ورفعت إحدى حاجبيها وقالت: ما الذي أتى بسامو إلى قمر النفايات.

تساءل بدهشة: قمر!! إنه تابع للكوكب. حسنًا، لقد تعطلت مركبتي، واصطدمت بتربة التابع ودفنت هناك.

قالت بلهجة ساخرة: لهذا تضطر لركوب مركبة النقل الجماعي؟

عاش "كورني" حالة من الدهشة، أو لنقل الصدمة طوال الفترة التي قضاها في المكوك الناقل العملاق، كان المكوك من النوع القديم لا تبلغ سرعته ربع سرعة مركبته الخاصة الحديثة، وكان كل من فيه من الموهادز يتأملون "كورني" بنظرات غريبة، لكن أحدًا منهم لم يقترب منه أو يتحدث إليه.

اقترب من الفتاة الوحيدة التي يظن أنه يعرفها بينهم وسألها: كل من على الناقلة من الموهادز، أليس كذلك؟

لم ترد، وأعطته ظهرها ورحلت عندما وصلت الناقلة إلى التابع (فايري) تابع كوكب الساموز الذي يسكنه الموهادز، وتركت "كورني" يغرق في دهشته وعجبه، كان كل شيء حوله غريبًا، فهو لأول مرة يرى تلك التوابع الغريبة لكوكب الساموز، بخلاف التوابع الأخرى التي يرتادها الساموز للمرح والعبث مثل التابع (هوت).

هبط "كورني" على أحد التوابع، ومن هناك استقل مركبة أخرى نقلته إلى كوكب الساموز، فلم يكن مسموحًا بالناقلات الجماعية القديمة بالهبوط على سطح الكوكب.

EEE

ثار الحاكم بشدة عندما علم بما فعله "كورني" بمركبته واتهمه بالإهمال في إصلاحها، وأمر بمعاقبته وخضع "كورني" للعقاب دون اعتراض، وبعدها رحل إلى التابع (فاست) ليباشر عمله في تدريب الفرق، ولكنه كان

يخطط للعودة إلى تابع النفايات لاستعادة مركبته الحربية المدفونة هناك، وبالفعل انتهز أول فرصة للراحة وانطلق إلى هناك بمركبة أخرى.

وقف عند المكان المدفون فيه مركبته، وأخرج جهاز الراصد الإشعاعي، وحدد مكان المركبة بدقة،

كانت مدفونة على عمق كبير من سطح التربة.

حاول أن يستخدم جهاز حفار الصخور من المركبة التي معه، لكنه وجد أن الأرض تنهار والتربة غير ثابتة؛

فخشى على مركبته المدفونة أن يزداد عمقها نتيجة هبوط أرضي.

أخذ يبحث عمن يساعده عن طريق الخوذة المقربة، ورأى الفتاة التي قابلها في المرة السابقة تجلس في نفس المكان، ابتسم ابتسامة واسعة وانطلق إليها بالدراجة الغازية السريعة، وبمجرد أن رأته تجاهلته تمامًا، ورحلت مجددًا دون أدنى كلمة.

قال وهو يتبع خطواتها السريعة: أحتاج لمساعدة. مركبتي مدفونة هناك، ولا أستطيع إخراجها.

قالت ببرود وخطواتها تسرع: لا شأن لي. استخدم أجهزتك الحديثة وتقنيات الساموز لإخراجها.

قال باسمًا: إذًا، تعرفين تقنيات الساموز!!

ولكني لا أستطيع، إن أنسب طريقة هي الاستعانة بالموهادز السفليين، فهم أكثر خبرة ودراية بطبيعة التربة بحكم عملهم في مناجم بلوسترونج، أظن أنك تعملين أيضًا هناك، فلَوْن وجهك يدل على ذلك.

لم ترد، واستمرت في طريقها دون أن تلتفت إليه.

زفر "كورني" بضيق شديد وهو يراقبها وهي ترحل بخطواتها القوية الواسعة.

وصلت الفتاة إلى التابع «فايري» حيث يعيش الموهادز.

كانت تخترق الأجواء الضبابية بجسدها النحيل، وحبات العرق تسيل على كل جسدها بسبب الحرارة الشديدة

وهي تعبر فوق الأرض الغير ممهدة تضرب بأقدامها فوق الصخور والمرتفعات، حتى وصلت إلى منطقة تمتلئ ببيوت قديمة متقاربة، لا أبواب لها ولا نوافذ، فقط مجرد حوائط قذرة وأسقف، كانت تبدو كمقابر، ولكنها تعج بالأحياء.

- باي..

التفتت إلى أبيها الجالس أمام البيت منهمكًا تمامًا في تشكيل مجموعة من قطع معدن بلو سترونج أمامه بجهاز ليزري صغير.

قال الأب دون أن ينظر إليها: لماذا تأخرت؟

قالت بطريقة آلية: اضطررت لسلك الطريق الطويل، فأحد الساموز كان هناك.

التفت إليها الأب وسألها: سامو على قمر النفايات!

قالت باقتضاب: تعطلت مركبته هناك، وكان عليّ أن أصرفه.

هز رأسه بعجب وعاد إلى عمله وهو يقول بهدوء: لم أسمع بتعطل مركبة للساموز أبدًا من قبل!.

أخذت "باي" تتأمل مجموعة من الأطفال يلعبون ويلهون في القرب، ويثيرون التربة الزرقاء حولهم حتى تكاد تخفي معالمهم وأشكالهم بين ذرات التربة المتطايرة.

التفتت تتأمل جدها العجوز الجالس على مقعده المفضل والمستند إلى جدار البيت، وخده مرتاح على عصاه وعيناه مغمضتان.

عادت تلتفت إلى أبيها وهي تسأل: أين أمي؟

قال باقتضاب دون أن ينظر إليها: تحضر الماء هي و"مار".

أقبلت سيدة من بعيد تحمل أوعية كبيرة مملوءة بالماء وبجوارها فتاة تساعدها، ويبدو عليهما الإنهاك الشديد.

قالت السيدة وهي تلهث وتصب الماء في إناء كبير بجوار جدار البيت: علينا الاقتصاد في الماء طوال اليومين القادمين، فالمركبة التي تأتي بالطعام والماء لن تعود قبل يومين.

عقد الأب حاجبيه وقال بغضب: يعاقبون الموهادز؛ لأن إنتاج البلو سترونج لم يكن على المستوى المطلوب.

"باي" بغضب: وماذا عن 19 رجلًا وسيدة ماتوا تحت تربة المنجم الأسبوع الماضي؟

تجاهل الأب تعليقها الغاضب وقال بهدوء: علينا أن نعمل بجد أكبر لتعود مركبة الطعام في موعدها المنتظم.

قالت بضجر: وماذا لو لم تأتِ في موعدها؟

نظر إليها الأب طويلًا، ثم قال بعد صمت: سيجوع الصغار ويموتون.

زفرت "باي" بضيق وأدارت وجهها ونظرت باتجاه أختها "مار"، وأخذت تتفحصها من فوقها لتحتها، وتتأمل وجهها المليح وشعرها المنسدل على كتفيها وجسدها الذي بدأ ينضج، ظهر على وجهها الغضب وضغطت أسنانها بقوة فخرج منها صوت واضح.

أفاقت من شرودها على صوت الجد العجوز الجالس بالقرب منها: اهدئي، لازال أمامها ثلاثة أشهر حتى تبلغ السادسة عشر.

التفتت إليه فوجدته يجلس نفس جلسته، وعيناه مغمضتان.

زفرت بضيق وقالت: ثلاثة أشهر وقت قصير للغاية.

ابتسم قائلًا دون أن يفتح عينيه: وهي على كوكب آخر مدة طويلة للغاية، وعلى كوكب ثالث قد تكون مرت بالفعل.

قالت وهي تنظر لأختها الجالسة بعيدًا: ولكنها على هذا القمر لم تمر بعد.

قال بمكر: لم تمر بعد! إذًا، لازال هناك وقت.

عقدت حاجبيها بدهشة وهي تفكر في كلماته الغريبة!.

اتجهت إلى البيت لكنَّ أباها أوقفها: باي.

نظرت إليه فقال وهو يشير بعيدًا: هل هذا هو السامو الذي أخَّرك؟

أصيبت بدهشة عظيمة وهي تراه قادمًا من بعيد.

هل تبعها إلى هنا؟

كان "كورني" يسير على القمر وهو يتأمل البيوت والطرق والناس بذهول، كان كل شيء حوله غريبًا ويدعو للشفقة والرثاء، توقف فجأة عندما وجدها أمامه وعلى وجهها غضب شديد.

قال باسمًا: وجدتك أخيرًا.

قالت بغضب: لماذا تتبعني؟

قال ببساطة: أخبرتك من قبل، أحتاج لمن يساعدني في إخراج مركبتي المدفونة.

عاد يتأمل ما حوله وقال بشفقة: لا أدري كيف تطيقون الحياة هنا؟ الجو غير صحيّ، والحرارة رهيبة، لولا ردائي المكيف لـ..

قاطعته بغضب: ارحل، ارحل ولا تأتِ إلى هنا ثانية.

نظر إليها بدهشة وقال: الحقيقة أنه ليس هذا هو السبب الوحيد لوجودي هنا، لقد تبعتك لسبب آخر، أريد أن أعرف ما سر تلك النظرات العدائية التي تنضح من وجهك وعينيك كلما رأيتني؟

قالت بسخرية: ألا تخشى أن يراك أحد الرقباء هنا؟ لا شك أن وجود واحد من علية الساموز هنا سيسبب لك حرجًا ولأسرتك أيضًا، عليك أن ترحل الآن.

تغير وجهها وقالت بكراهية شديدة: أم أنك تنوي البقاء لتحضر الحفل؟

تساءل بدهشة: حفل!!

قالت بسرعة وهي تنظر إلى إحدى الكاميرات المعلقة على أحد الأعمدة في الطريق: وجهك ورداؤك أصبحا واضحين تمامًا، فارحل بسرعة حتى لا تتسبب بالمشاكل لنفسك ولنا.

نظر إلى حيث تنظر وقال بدهشة: ما هذا! هل أنتم تحت الرقابة؟ لماذا يضعون تلك الكامـــ...

قطع حديثه عندما لم يجدها أمامه، وأخذ يدور بعينيه في كل مكان فلم يلمح لها وجودًا.

انطلق عبر الطرقات الضيقة والبيوت الصغيرة القذرة يبحث عنها، فجأة توقف عند ناصية أحد البيوت واتسعت عيناه من الذهول من أغرب مشهد رآه في حياته...

كان البيت الذي يقف خلف جداره يطل على ساحة واسعة اجتمعت فيها أعداد كبيرة من فتيات الموهادز، وأيضًا مجموعة كبيرة من الرقباء، عرفهم من زيهم العسكري وأسلحتهم، وكذلك بضعة أشخاص من حقار وسفهاء الساموز.

أخذ يبحث عنها في وجوه الفتيات لكنه لم يجدها، فجأة ظهرت "باي" بخطواتها القوية الواسعة، واقتربت من إحدى الفتيات التي تبدو صغيرة نسبيًّا عن الأخريات، وجذبتها من شعرها بقسوة شديدة ودفعتها للخلف بعنف حتى أن الفتاة المسكينة انكبت على وجهها وغُرز وجهها في التربة.

وقفت "باي" مكانها تواجه الرقيب ذا الرتبة الأعلى والذي قال بغلظة: هذه الفتاة ستحضر الحفل.

قالت بتحدٍ والكراهية تنضح من عينيها: لم تبلغ السادسة عشر بعد، القانون واضح، ليس في هذا البيت سواي حاليًا.

ابتسم بشراسة: لا مشكلة، سأنتظر، لن يمض وقت طويل حتى تنضم للحفل هي الأخرى، فتاة في مثل جمالها لايمكن أن أتركها.

أخذ "كورني" يراقب ما يحدث من مكانه وهو في حالة ذهول تام مما يراه، ثم بدأ جسده يقشعر وعضلاته تنتفض، وهاجمته حالة من الغثيان الشديد، فانسحب عائدًا إلى مركبته وهو يترنح من هول الصدمة.

EEE

(3)

وضعت الأم يدها على كتف "كورني" بإشفاق وهي تمد إليه شرابًا وهو مطأطأ الرأس يسند جبينه بكفه، وقالت بتعاطف: اهدأ يابني، ما حدث يحدث من سنوات عديدة نسينا عددها.

كورني بصدمة: لا أصدق يا أمي، لا أصدق ما رأته عيناي، طوال سنوات عمري لم أفكر يومًا في الاقتراب من تلك الأماكن الغريبة، كنت دائمًا أحيا في الجانب المضئ من الكوكب، لم أكن أتصور أن هناك جانبًا آخر مظلم لهذه الدرجة، كل علاقتي بالموهادز كانت من المختارين الذين يعيشون معنا على سطح الكوكب، أو الرقباء الذين يباشرون أعمالهم الأمنية والرقابية على طائفة الموهادز السفليين، كنت أراهم عندما يأتون إلى الكوكب ليتلقوا تدريباتهم وأوامرهم من القيادة، لكنها المرة الأولى التي ألتقي فيها بالموهادز السفليين.

تنهدت الأم بحرارة ونظرت إلى السماء، وبدأت تحكي بتأثر كبير: منذ عشرات السنين، عندما أرسل الساموز مركبات عملاقة لنقل الموهادز من الأرض..

صمتت قليلًا وكأنما تريد تجاوز شيء ما....

قالت: كان لابد للموهادز من أن يعملوا ليعيشوا، وبالفعل عملوا بجد وجهد في استخراج وتصنيع بلوسترونج، فهو العنصر الوحيد الهام الموجود في التربة، وهو مطلوب بشدة لتصنيع مركبات الفضاء وأجسام المفاعلات الأكسجينية، بل ويدخل في صناعة كل شيء نستخدمه في حياتنا، كانوا يعملون بجد من أجل الطعام والماء، وبعد سنوات طويلة بدأوا يتذمرون من أوضاعهم السيئة، ويظهر بينهم متمردون يطالبون بالعمل مقابل المال ومقابل تحسين أوضاعهم الحياتيه والصحية، وكادوا يمتنعون عن إنتاج بلو سترونج.

وعندما أدرك الساموز والزايانز خطورة هؤلاء المتمردين، انتخبوا من الموهادز رقباء ليسيطروا على التمرد ويظل الوضع مستقرًّا، ويعود إنتاج البلوسترونج كما كان، وهكذا أصبح الموهادز فئتين، رقباء وسفليين

ثم أصبح هناك مختارون، وهم الذين اختارهم الساموز لشرف خدمتهم على سطح الكوكب والقيام بأعمال لا يعملها الساموز.

رفع "كورني" وجهه وقال بحزن: إنهم يعملون مقابل الطعام والماء، فلماذا يسرقون فتياتهم؟

الأم بأسًى: لم يعد أحد يسأل هذا السؤال، كل ما سمعته أن الزايانز هم من بدأها، وهم من وضع هذا القانون، قانون السادسة عشر، ومن ثم سار الرقباء على نفس الدرب، لقد تمكن الرقباء من السفليين ولابد من أن ينالوا أجرهم.. ومتعتهم كذلك.

كورني بغضب: أيّ قانون يبرر تلك الوحشية؟

لن يمكنك تخيل ما يحدث هناك، لقد اختفى الرجال والنساء جميعًا، ولم يتبقَ في الساحة سوى الفتيات،

أيّ منطق يبرر أن يحدث هذا رغمًا عن أنوفهن، بل رغمًا عن أنف الجميع رجالًا ونساء.

قالت بشرود: نفس المنطق الذي يبرر أن يحدث هذا هنا على سطح الكوكب، ولكن بموافقة الفتيات وبرغبتهن

أن مايحث هناك تحت مسمى قانون السادسة عشر، يحدث هنا أيضًا ولكن تحت اسم آخر وقانون آخر.

التفت إليها "كورني" وقال بغضب: ماذا تقولين يا أمي!! أتقارنين بين حياتهم وحياتنا؟

هناك فارق كبير. إنهم مكرهون، إنهم، إنهم...

احتبس الكلام في حلقه ولم يعد يدري ماذا يمكن أن يقول.

زفر بقوة وقال: إنهم مقتولون، لقد قتلهم الجميع، لو رأيتهم لعرفتِ أنهم مجرد جثث حية تسير على الأرض، تنتظر دورها ليضمها الثقب الأسود، ولكن لماذا!! لماذا يستسلمون بتلك الطريقة؟

ظهرت الدموع في عيني الأم وهي تقول: لو لم يفعلوا، لقتل كلّ من في المكان صغارًا وكبارًا، ولامتنعت مركبات الطعام والماء من الوصول إليهم، الموهادز ليس بيدهم شيء، ليس بيدهم أيّ شيء، ليس بيدهم طعامهم ولا شرابهم ، ولاحتى هواؤهم.

كورني باستنكار: تقصدين أن بإمكانهم منع الأكسجين عنهم؟

قالت: بل أن يدمروا مفاعل الأكسجين الذي يغذي القمر، أمَّا الرقباء، فهم ينالون أجرهم نتيجة استقرار الأوضاع، وهذا يقاس بنسبة إنتاج البلوسترونج، فكلما زادت نسبته، زادت أجورهم..

وإذا ما قلت، صبوا جَامَ غضبهم على السفليين، وأذاقوهم الويلات؛ لأنهم السبب في حرمانهم من أجورهم.

نظر إليها "كورني" بذهول: ولكن هذا ليس عدلًا!! ليس عدلًا أبدًا.

السفليُّون هم من يقومون بالعمل كله، فبأيّ حق يأخذ الرقباء الأجر؟ ويتركوا السفليين في أدنى مستوى للمعيشة

طعام قليل، بيوت قديمة قذرة، محرم عليهم استخدام الأجهزة الإلكترونية والغازية، الرقباء والساموز يسرقون أجورهم ومجهودهم وحياتهم.. وبناتهم.

الأم بإشفاق: لا تتألم بني، فالخطأ ليس خطأك، الموهادز على الكواكب الأخرى يعاملون بنفس الطريقة، الموهادز تابع، مجرد تابع، غير مسموح لهم بالاختيار أو التمرد، أو حتى الاعتراض.

شعر بمرار كبير في حلقه وهو يقول: تقصدين غير مسموح لهم أن يكونوا بشرًا!.

صمتت الأم تمامًا، وأخذت تتمتم بكلمات هامسة، وأدارت وجهها حتى لايرى الدموع التي تسيل من عينيها

EEE

كانت الدموع تسيل من عينيها فوق الوسادة اليابسة وهي تتأمل السماء السوداء الممتلئة بالنجوم والأقمار من خلف السياج الأحمر الليزري في السماء عبر كوة في أعلى الحائط.

كانت "باي" حزينة للغاية، لم تكن حزينة على حالها، ولا لما حدث لها اليوم، فهو يحدث من أعوام عديدة، وسيحدث إلى أعوام أخرى عديدة. كانت تظن أن ينابيع الحزن والألم قد جفت في قلبها من سنوات مخلفة في صدرها حجرًا أشد قسوة وزرقة من البلوسترونج.

من أول يوم بلغت فيه السادسة عشر، كان أشد الأيام بشاعة في حياتها، وبمرور السنوات نسيته ولم تعد تعرف أين هو من سائر الأيام، فكل الأيام سواء، ولكنه عاد من جديد، عاد بكل ألمه وبشاعته ليتكرر في صورة أختها "مار"، وبعد سنوات أخرى سيعود في صورة أختها الصغرى "إيما".

"إيما" الصغيرة الرقيقة التي لا تعرف في الحياة سوى اللعب بدميتها الصغيرة!.

استفاقت من شرودها على وجهها المبلل، وأدركت فجأة أنه لا زال لديها دموع تذرفها، لم تصدق نفسها، لقد جفت دموعها من أعوام كثيرة، أخذت تتقلب في فراشها وكأنه جمرات تحرقها وهي لا تتصور أن يعود الماضي بكل آلامه بعد أشهر ثلاثة، أخذت تتذكر العيون المستذئبة وهي تمزق لحم أختها ووجهها الجميل وشعرها الطويل كل يوم في غدوها ورواحها، تنتظر بتحفز وشراسة أن تصل إلى السادسة عشر.

دوَّت في أذنيها كلمات جدها العجوز: لا زال هناك وقت.

مدت يدها أسفل وسادتها، وأخرجت سكينًا ليزريًّا صغيرًا، ضغطت عليه ليسطع ضوء سلاحه الصغير في الظلام؛ ليكشف الغضب والشر الذي ينضح من عينيها ووجهها، لتلقيه نحو أختها "مار" النائمة في ركن الحجرة

تعقد حاجبيها ومعها عزمها على شيء واحد فقط.

لن يعود الماضي من جديد

EEE

زحفت "باي" من فراشها إلى فراش أختها، واقتربت منها بهدوء حتى لا توقظ باقي النائمين في البيت الصغير، وجلست بجوار رأسها تمامًا، وعلى الضوء البسيط للسكين الصغير، تأملت وجهها البرئ وهي نائمة، فارتجفت يدها وبدأت دموعها في الانهمار، ابتلعت ريقها وثبتت نفسها ورفعت السكين إلى أعلى لتهوي به على أختها، لكن يدها تجمدت ولم

تستطع تحريكها، فجأة تحركت يدي "مار" النائمة بهدوء وأمسكت بيد "باي" وجذبتها إليها حتى صار السكين ملاصقًا لعنقها تمامًا.

تأملت "باي" أختها التي لم تفتح عينيها وانهمرت دموعها غزيرة واهتزت يدها من التأثر والألم، وأختها تسلم رقبتها إليها باستسلام تام، وكأنما تتوسل إليها أن تفعلها، رفعت يدها لأعلى ثم هبطت بالسكين بسرعة، ولكن ليس على رقبة أختها، بل على شعرها، حتى أزالته وقضت عليه تمامًا، ثم نزلت على وجهها بالسكين وبدأت تشرط خديها بعلامات تشوه وجهها الجميل، و"مار" ترتجف من الألم في صمت ولا تصدر آهة واحدة، ولا تحاول حتى الدفاع عن نفسها، وبعد أن انتهت "باي" جففت الدماء من وجه أختها، ثم رقدت بجوارها وضمتها بقوة، واندست "مار" بين أحضانها وتشبثت بها وكأنما تحاول أن تحتمي بها من مصير محتوم لن يفلتها.

EEE

اضطر "كورني" إلى قطع عمله في تدريب الفرق في التابع فاست ليعود سريعًا إلى الكوكب بناءً على استدعاء عاجل من الحاكم، وبمجرد أن دخل إلى حجرة الاجتماعات السرية، جلس في مقعده مباشرة بعد أن حيَّا الحاضرين، أخذ يتأمل وجوه الموجودين القلقة، كان الاجتماع يضم فقط، الحاكم و"دافي" و"سيفا" التي جلست في المقعد المجاور له، تستمع لـ "دافي" بصمت واهتمام.

قال "دافي" بصوته الرفيع: حدث ما توقعناه تمامًا، لقد تحرك المتمردون من جديد، ولكن هذه المرة كان تحركهم مفاجأة للجميع، لقد غيروا من أسلوب قتالهم، لم يعد قتالهم قاصرًا على المركبات قاذفة الصخور فقط، لقد حولوا المركبات إلى قنابل متفجرة.

عقد "كورني" حاجبيه وتساءلت "سيفا" بدهشة: قنابل متفجرة؟

"دافي" بقلق: نعم، لقد سقطت إحدى المركبات اليوم على أحد التوابع لكوكب الزايانز، وأحدثت أضرارًا كبيرة، وقتلت أعدادًا من الزايانز.

"كورني" بسخرية مستترة: وما دخل الساموز بالأمر؟

نظر إليه "دافي" نظرة غاضبة: الزايانز والساموز كيان واحد، أليس كذلك؟

هز الحاكم رأسه موافقًا، ثم تساءل: وماذا عن نظام الدرع الليزري لكوكب الزايانز، لماذا لم يعمل؟

"دافي" وهو يحاول أن يكظم غيظه: هؤلاء السفلة، أظن أنهم استولوا على خريطة السياج، وعرفوا أماكن أبراج الإطلاق؛ لذلك استطاعت مركبتهم القديمة أن تعبر السياج بمهارة دون أن يوقفها أحد.

"سيفا" بدهشة: ولكنها ارتطمت بالتابع.

"دافي": المعلومات التي لدينا تقول إن ارتطامها لم يكن مصادفة أو خطأ، لقد كان مقصودًا تمامًا، مما يعني أنهم يتبعون أسلوبًا جديدًا في قتالنا، وهي أن يدمروا أنفسهم في سبيل إحداث أكبر ضرر في صفوفنا.

"دافي" بغِلٍّ: علينا تدميرهم في أسرع وقت، لقد أصبحوا خطرًا كبيرًا يتهددنا، وكلما تأخرنا، كلما ازداد خطرهم واستفحل، وربما انضموا لحركات التمرد في الكواكب الأخرى، وعندها ستكون كارثة.

نظر "دافي" إلى "كورني"، وقال: أنت المسئول عن تدميرهم، وعليك أن تتصرف.

"كورني" بسخرية: وكيف أدمرهم وليس لديّ أيّ معلومات عنهم؟ أدمر لا شيء!!

"دافي" بغيظ: ستصلك المعلومات قريبًا جدًّا، فرجالنا يعملون، وهم على قدر كبير جدًّا من المهارة، حتى الآن كل ما نعرفه عنهم أنهم يطلقون على أنفسهم اسم الجمريين.

عقد "كورني" حاجبيه بتساؤل: ماذا يعني هذا الاسم؟

"دافي": اطمئن، سنعرف عما قريب، وسندمرهم تدميرًا.

"كورني" بعجب: ولماذا ندمرهم؟ لماذا لا نتحدث معهم؟

تأمل "كورني" في وجوه التماثيل الثلاثة التي تنظر إليه بذهول، وقال ببساطة: ألا يجب أن نتحاور معهم لنعرف لماذا يفعلون ذلك؟

قال "دافي" بعد أن تمالك نفسه: نتحاور مع من؟ مع الموهادز؟

"سيفا" بسخرية: كورني، حبيبي، إنهم وحوش، دمويون!.

"كورني": يجب أن نعرف ما الذي أوصلهم ليكونوا دمويِّين، الموهادز يعيشون على سطح الكوكب من أعوام طويلة، ولم أسمع من قبل أنهم تمردوا.

"دافي" بعصبية: لا أصدق أنني أسمع هذا الكلام من أحد شباب الساموز، الموهادز السفليُّون لم يكفوا يومًا عن التمرد، وفي كل وقت يخرج علينا جماعات من المتمردين يتسببون في المشاكل، ولكننا نقضي عليهم فورًا

أنت لا تدري شيئًا عنهم، فلم تكن قد أكملت تدريباتك بعد.

شرد بعيدًا واشتعلت عيناه بنيران الحقد، وقال بغِلٍّ: أعرفهم تمامًا، فمنذ أن كان الجنس البشري يسكن الأرض، وصراعنا معهم لم يتوقف لحظة واحدة، إنهم ليسوا بشرًا، إنهم وحوش دموية تعشق القتل والدماء، العلاج الوحيد لدمويتهم أن تكون رقابهم بين أيدينا، ويظلوا تحت بطش وسطوة الرقباء، وحتى الرقباء لا يمكن أن نمنحهم ثقتنا الكاملة، فهم في النهاية، موهادز.

بقي "كورني" صامتًا يحدق فيه بدهشة وعجب، ثم قال ساخرًا: ولماذا لا ندمر التابع بمن فيه ونستأصل شأفتهم، أظن أن هذا حل أسهل بكثير.

قالت "سيفا": ومن يقوم باستخراج البلو سترونج؟ ومن يقوم بخدمة الساموز والزايانز وكل الأعمال التي يقوم بها الموهادز؟

تأملها "كورني" طويلًا بنظرات غريبة، واقترب منهما "دافي" قائلًا بودٍّ: والآن أيها الشابين الجميلين، متى ستعلنان رفقتكما؟

زفر "كورني" ونهض من مكانه مغادرًا وهو يقول: عندما تجمع كافة المعلومات عنهم، أعلمني بما توصلت إليه.

رحل من المكان دون كلمة أخرى

قال "دافي" للحاكم: ما بال "كورني"؟ ماذا دهاه؟

الحاكم بحَيْرة: لا أدري، ربما كان العقاب الذي أنزلته به لا زال يضايقه.

"سيفا" بشرود: أتمنى أن يكون الأمر كذلك حقًّا.

EEE

كان "كورني" يشعر بضيق شديد وهو في مركبته التي غادرت كوكب الساموز متجهة إلى التابع فاست ليكمل عمله بالتدريب، وفي طريقه مرَّ فوق تابع النفايات، فقرر أن يدور عائدًا إليه ليسترجع مركبته المدفونة هناك بأية وسيلة، وبمجرد أن لامست قدماه أرض التابع، لم يلتفت إلى مركبته، بل لم يذهب حتى إلى المكان المدفونة فيه، بل اتجه مباشرة إلى التلة التي اعتاد رؤية فتاة الموهادز تجلس عليها، ولكنه لم يجدها، ازداد ضيقه بشكل لم يعتاده من قبل، ورحل بمركبته بسرعة، كان شاردًا تمامًا وفي رأسه بحور من الأفكار المتصارعة.

استفاق من شروده على دهشة غامرة عندما وجد مركبته تهبط على

التابع "فايري" الذي يسكنه الموهادز دون أن يشعر، عندها فقط تأكد تمامًا أنه لم يكن يبحث عن وسيلة لإخراج مركبته، بل كان يبحث عن شيئ آخر

سار بخطوات سريعة في نفس الطرقات التي سار فيها سابقًا، وتجاوز البيوت الصغيرة القذرة.

توقف فجأة وارتد خطوة للخلف، وتجمد في مكانه للحظات يتأمل ذلك المسخ المشوه الذي اعترض طريقه،

كان رجلًا قصيرًا بلا شعر يبدو في رأسه علامات غريبة، له عين واحدة وذراع واحد فيه ثلاثة أصابع فقط، وله ساق واحدة، والأخرى عصا يستند عليها بذراعه الموجودة.

كاد "كورني" يتخطاه راحلًا، لكن دهشته منعته عندما ضحك المسخ ضحكة غريبة فظهر فمه خاليًا تمامًا عدا سنة واحدة باقية فيه.

قال المسخ بحروف مكسرة: أنت من الساموز المحاربين؟، لك جسم جميل.

تخطاه "كورني" ورحل، لكن المسخ تبعه وهو يقفز معتمدًا على عصاه ويقول: ذراعاك قويتان، ولكن قد تحتاج يومًا إلى إبدالهما إذا ما أصبت في معركة.

لم يرد "كورني"، لكن الرجل استمر يتبعه وهو يهتف: انظر إليّ، إن أعضائي جميلة وقوية للغاية، كما أن جلدي ذو قدرة عالية على الاحتمال.

شعر "كورني" بالضجر فالتفت إليهر وقال بعصبية: ماذا تريد بالضبط؟

ضحك الرجل ضحكته الغريبة المجنونة وقال: مارأيك، أعطيك أصبعًا مقابل طعام يومين؟ أو، أو عيني الثانية مقابل طعام أسبوع!.

تركه "كورني" وأسرع الخطار وهو يقول بسخط: أنت حقًّا مجنون.

أخذ الرجل يناديه لكنه لم يلتفت إليه، وسار حتى وصل إلى البيوت التي التقى الفتاة عندها، وجال ببصره في المكان بحثًا عنها.

كان المكان مزدحمًا بالموهادز، فكر أن يسأل عنها، ثم تذكر أنه لا يعرف عنها شيئًا، لا يعرف حتى اسمها

شعر بمن يجذبه من ملابسه، التفت بسرعة فوجدها فتاة صغيرة ذات وجه يميل للزرقة، تحتضن دمية قذرة

قالت ببراءة وهي تبتسم له: أنت من كنت تتحدث إلى "باي" أمس؟

وجد "كورني" نفسه يبتسم للطفلة ونزل بركبته على الأرض ليقترب منها قائلًا بلطف: ما اسمك؟

قالت وابتسامتها تتسع: إيما.

قال: حسنًا "إيما"، ومن هي "باي"؟

قالت: أختي الكبرى، أتريد أن تراها؟

قال وابتسامته تتسع: نعم.

أمسكت بيده وهتفت بصوت عالٍ، وهي تنظر نحو أبيها الجالس في مكانه يقوم بعمله في تشكيل معدن بلوسترونج: أبي، أنا ذاهبة إلى "باي".

نظر "كورني" إلى الرجل الذي لم يتحرك من مكانه، ولم يلتفت حتى إلى طفلته، وكأن كل ما يشغله في الحياة هو عمله فقط.

جذبته الصغيرة من يده ليسير خلفها باستسلام، وهي تتحدث بكل براءة ووُدٍّ: حزامك لامع للغاية.

قال باسمًا بعد أن هدأت نفسه وزال ضيقه: أيعجبك؟

قالت بحماس: للغاية، وملابسك أيضًا، ألوانها جميلة.

استمر الحوار الودود بينه وبين الطفلة اللطيفة وهو يترك أصبعه الكبير بين أصابعها الصغيرة تقوده حيث تريد، حتى وصلت إلى بيت أكبر قليلًا من باقي بيوت الموهادز.

اندفعت الصغيرة خلال فتحة الباب وهي تهتف بصوت عالٍ: باي..باي.

التفتت "باي" لتفاجأ به أمامها، وتجمدت تمامًا وبدأ وجهها يتلون بالتعبيرات التي اعتاد أن يراها كلما التقيا،

نظر إلى الصغيرة التي هتفت: باي، هذا السامو يبحث عنك.

ظلت "باي" صامتة تنظر إليه ولم تتغير تعبيرات وجهها.

قال بارتباك: لقد أتيت لــ...لــ..

قالت: لتبحث عمن يخرج لك مركبتك المدفونة؟

زاد ارتباكه: لا. ليس كذلك، ولكن...

أنقذه مجموعة الأطفال الملتفين حول "باي" يطلبون الطعام، وهم يمسكون بأوعية صغيرة فارغة، انشغلت "باي" بهم عنه وأخذت تملأ لهم أوعيتهم بالطعام من إناء كبير أمامها، وأخذ هو يدور في المكان ويتأمل الأطفال بدهشة، ولكنه لم يستطع أن يكبح جماح فضوله؛ فسألها: هل يمكن أن تخبريني ما هذا المكان بالضبط؟

لم يعد يستغرب نظراتها ولا تعبيرات وجهها العدائية، بل أصبح يألفها بشكل كبير.

قالت بعد صمت: إنه ملجأ لإيواء الأطفال.

قال بدهشة: كل هؤلاء الأطفال بلا أبوين؟

قالت ببرود وهي منهمكة في عملها في إطعام الأطفال: أغلبهم لهم أمهات من الموهادز، ولكنهم مجهولو الأب

ابتلع ريقة بصعوبة وصمت تمامًا عندما فهم ما تقصده، وأدار وجهه وأخذ يتأمل في وجوه الأطفال والمكان الذي يعيشون فيه، ثم اقترب من أحدهم ملامحه أكثر شبهًا بالساموز، لكن وجهه ككل ساكني التابع يميل للزرقة.

سمع صوتها من خلفه: لا تتحدث إليه، فهو لن يسمعك.

التفت إليها بدهشة، فقالت: استنتاجك صحيح، إنه ساموز، ولكن أبواه عندما اكتشفا وهو جنين أن لديه عيبًا في السمع رفضاه، وقررا إنجاب طفل غيره، ولكن أمه الرحميَّة أشفقت عليه، فاحتفظت به وبمجرد أن وضعته أحضرته إلى هنا.

قال بدهشة: ولماذا لم تتخلص منه كما هي العادة؟

لا يدري لم شعر في تلك اللحظة بالذات بنيران نظراتها تخترقه وتحرقه، وهي تقول: الموهادز لا يقتلون الصغار.

رفعت إحدى حاجبيها وقالت: لماذا عدت؟ أخبرتك من قبل أنك لن تجد هنا من يخرج لك مركبتك.

قال: لقد أتيت لسبب آخر، كنت أريد أن أسألك...

أراد الصمت. ولكن لسانه تحرك رغمًا عنه، وقال شيئًا لا يريد قوله: كيف...لاكيف حالك؟

حدقت في وجهه طويلًا، ثم قالت بسخرية: هل تعاني من مشكلة ما في عقلك؟

«إنه يحتاج إلى بعض خلايا من مخي»

نظر "كورني" إلى المسخ المشوه الذي تبعه حتى الملجأ، وهو واقف أمامه يضحك ضحكته الغريبة: ما رأيك في بضع خلايا من مخّي مقابل حلوى الساموز.

قالت "باي" بضجر: "فور"، لماذا عدت من جديد؟ ألم تأخذ حصتك من الطعام؟

رسم في ملامحه المسكنة، وقال بتوسل: "باي"، "فور" لا يزال جائعًا،.."فور" مسكين.

تأملته قليلًا ثم لان وجهها وملأت طبقه بالطعام وهي تقول: خذ، ولكنها آخر مرة، لن أعطيك المزيد حتى يأكل الصغار.

ضحك وهو يرحل قائلًا: "باي" طيبة، "باي" طيبة، ستعطيني الطعام.

قال "كورني" بدهشة عارمة: ما هذا الشيء؟

قالت: إنه "فور".اختصار لرقم 1004 أو اختصار

my body for you

كورني: وماهذا الكلام الغريب الذي يقوله؟

قالت: لا تهتم لكلامه، فخلايا عقله ناقصة كأعضائه تمامًا، هو لا يعي ما يقول، إنه بديل، إنه أحد عملاء د. بوتشر.

كورني: عالم الأعضاء والأنسجة الشهير؟ إذًا، لماذا هو هنا، وليس هناك عند د. بوتشر في بنك الأعضاء الحية؟

قالت بهدوء: أغلب البدلاء يعيشون هنا معنا، وإذا ما احتاجوا إلى أحدهم، يرسل د. بوتشر مركبة خاصة لتأخذه، وبعد أن تنتهي حاجته منه يعيده إلى هنا، ولكن في أحيان كثيرة، من يذهب.. لا يعود.

قال بدهشة مستنكرًا: وإن كانوا لا يعودون، فلماذا تطعمونهم إذًا؟

صمتت قليلًا وانطلقت نظرات نارية محرقة من عينيها، ثم هتفت بسخرية لاذعة للغاية: لأن غاية ما نرجوه هو رضاء د. بوتشر، وإسعاد الساموز الذين سيستخدمون تلك الأعضاء، وتقديم خدمة جيدة على أعلى مستوى من الجودة والمتانة.

ألقت ما في يدها وازدادت لهجتها حدة حتى باتت أشبه بالصراخ، وتقدمت منه هاتفة: لم تخبرني بَعْدُ لم عدت؟ فليس من الطبيعي وجود أحد الساموز هنا إلا لو كان بغرض ما.

وقف متجمدًا بلا حراك تحت وطأة نظراتها النارية، وهو عاجز تمامًا عن تحريك لسانه، وهي تجلده بلسانها: هل أعجبك الحفل؛ فأتيت لتشارك فيه؟ هل أتيت لتختار واحدة من الموهادز لتكون فى خدمتك؟ هل أصلح أنا؟ ربما أختي فهي أجمل، ربما تفضل أن يكون طفلًا.

رفعت أحد الأطفال من رقبته بقسوة، وهي تصرخ: ما رأيك بهذا؟

أسقطته وحملت غيره: لا. هذا أجمل.

ألقته وأمسكت بصبية: هل تعجبك هذه؟ هل أنزع ملابسها لتعاينها كما ينبغي؟ إنها تصلح لكل شيء، وعندما تملُّ يمكنك وضعها في بنك الأعضاء الحية كأحد الأبدال، حتى إذا ما أصيب أحد أعضـ....

لم يستمع ”كورني“ إلى بقية صراخها، فقد خرج يجري مترنحًا من المكان لا يستطيع أن يرى الطريق أمامه،

كان يشعر بآلام رهيبة. وكأن شيئًا ما يتمزق بداخله، لا يدري كيف وصل إلى مركبته، وبمجرد أن دخل فيها وانطلقت آليًّا، ارتمى على مقعده يحاول أن يتنفس، كان شعوره بالاختناق يزداد، والأصوات تهاجمه من كل مكان وتعوي في أذنيه بشراسة وهو عاجز تمامًا عن إسكاتها:

إنهم وحوش دموية تعشق القتل والدماء.

الموهادز لايقتلون الصغار.

بضع خلايا من مخّي مقابل حلوى الساموز.

سندمرهم تدميرًا.

”فور“ لا يزال جائعًا، ”فور“ مسكين.

ومن يقوم بخدمة الساموز والزايانز وكل الأعمال التي يقوم بها الموهادز؟

ولكن أمه الرحميَّة أشفقت عليه، العلاج الوحيد لدمويتهم أن تكون رقابهم بين أيدينا، ويظلوا تحت بطش وسطوة الرقباء.

”باي“ طيبة.. ”باي“ طيبة.. ”باي“ طيبة.. ”باي“ طيبة.. ”باي“ طيبة.. ”باي“ طيبة.. ”باي“ طيبة.. ”باي“ طيبة.. ”باي“ طيبة.

EEE

(4)

الموهادز لا ينتحرون، لاينتحرون أبدًا

مهما قست ظروفهم، وحاصرهم اليأس

لا ينتحرون، هكذا قالت لي أمي الرحمية.

رفع "كورني" وجهه ببطء من بين كفيه"باي" والتفت ينظر إلى عيني أمه الحزينتين، ومط شفتيه قائلًا ببطء: ولكننا نفعل..

برغم أننا نمتلك كل مقومات الحياة الرائعة، والرفاهية اللامحدودة..

نمتلك السعادة، بل نمتلك الحرية، لكن نسبة الانتحار تزداد باطّراد، الساموز يمتلكون كل شيء، يمتلكون حتى الموهادز، ولكنهم يسعون إلى الموت، أما الموهادز لا يملكون أيّ شيء، لا يملكون أنفسهم، لا يملكون فتياتهم، لا يملكون أعضاء جسدهم، ولا أطفالهم، لكنهم يتمسكون بالحياة بطريقة غريبة، نسبة الانتحار بينهم منخفضة للغاية، ليس لديهم قانون الخامسة والسبعين، لا يلقون بشيوخهم في الثقب الأسود كما نفعل، فتيات الموهادز لا يقتلون أجنتهن رغم أنهن أتوا على غير إرادتهن!!.

نهض من جوار أمه وأمسك بشجرة اصطناعية وأسند رأسه إليها علَّه يشعر ببعض الراحة، وعصر عينيه بألم: الوحوش الدمويون لا يقتلون البشر.

لا يقتلون حتى أطفال الساموز

تنهد بحرارة وضرب الشجرة بقبضته: لم أفهمها سوى الآن، لم أفكر فيها أبدًا، بل لم أكن أراها أو حتى أشعر بها.

تساءلت الأم: بني، ماذا تقصد؟

قال بألم: الساموز والموهادز، يشتركان في شيء واحد، الجنسان في حقيقة الأمر، هما بشر، نحن وهم.. بشر

ولكننا نختلف عنهم. فنحن أصحاب الحضارة والرقي والتقدم، نلقي بشيوخنا في الثقب الأسود؛ توفيرًا للأكسجين، ولإفساح المجال لغيرهم، وللاقتصاد في رعايتهم.

ازدادت لهجته مرارة: نقتل سنويًّا آلاف الأجنة إن لم تكن بنفس المواصفات الجينية التي يرغبها الأبوان.

أما هم... أما هم..

لم يستطع أن يكمل؛ فألقى بجسده على المقعد بجوار أمه التي سالت دموعها بتأثر شديد، وقررت أن تكمل هي: أما هم، فيقومون برعاية شيوخهم، ويحبون أبناءهم حتى لو لم يكونوا من نطفهم، هكذا قالت لي أمي الرحمية

كانت أقرب وأحب إليّ من أبواي الكروموزوميين، عندما وضعتني، رجوتهما أن تبقى إلى جواري، وتكون مرضعتي، فلم تكن تطيق فراقي، كانت تقول لي دائمًا: أحبك ولو لم تكوني من بويضتي، يكفي أني حملتك بجوار قلبي تسعة أشهر، وأرضعتك حبًّا وحنانًا يتدفق من قلبي، إنه شعور لا تضاهيه أية سعادة في هذه الحياة.

تنهدت وقالت بشجن: منها تعلمت الحب.

التفتت إليه وقالت هامسة: ولهذا كان إصراري الشديد ان أحملك في رحمي، وأرضعك بنفسي، تمنيت من كل قلبي أن أشعر بذلك الشعور، وأمتلك تلك السعادة التي لا تضاهيها سعادة.

نظر إليها "كورني" بذهول غير مصدق، فأكملت وهي تبتسم له بحنان: هذا الأمر لا يعلمه أحد سوى أبيك

وبمجرد أن عرف، اعترض بشدة لأنني أخالف تقاليد الساموز، وقال لي وهو غاضب: كيف لنساء الساموز أن يحملن أطفالهن في أرحامهن؟ إنه عمل الموهادز المختارات.

ولكنني تمسكت بك، ورفضت التخلص منك، ورضخ أبوك الحاكم لطلبي، واضطر إلى إخفاء الأمر حتى لا يتعرض للانتقاد بسبب مخالفته لتقاليد الساموز، وبقيت حبيسة معك لأشهر عديدة حتى أنجبتك، وأحببت الحبس وأنا معك.

تلفتت عيناها في المكان تتأمله بحنين وشرود، وأشارت إلى أحد الأركان: هنا كنت أجلس وأرضعك، وهناك، كنت ألاعبك وأغني لك، أمسكت وجهه بين كفيها ونظرت في عينيه، ودموع الحنان تسيل على خديها: أنت عندي أغلى من الكون بأسره، لذلك أعلم جيدًا مشاعر أمهات الموهادز عندما يفقدن أطفالهن.

احتضنها "كورني" وقبَّل رأسها بحب كبير، ولكنه لم ينتبه إلى تلك الزهرة الرائعة ذات الألوان الجميلة وهي تلف ببطء وتتبعهما حيث يتحركان دون أن ينتبها إليها، وتنقل ذلك المشهد إلى حجرة أخرى في مكان آخر.

انتفضت "سيفا" باشمئزاز وهي تهتف: أووه، لا أصدق!

زوجة حاكم الساموز تفعل هذا؟

كنت أشعر دائمًا أنها غير طبيعية. ولكن أن يصل الأمر إلى هذا الحد! تحمل طفلًا وترضعه كالموهادز!

هاي.. لِمَ أنت صامت هكذا؟

كان "دافي" شاردًا تمامًا، يتأمل الصورة ثلاثية الأبعاد التي تضم "كورني" وأمه، والمعلقة أمامه في فراغ الحجرة من خلال جهاز البث عن بعد.

قال بعد صمت: الأمر حقًّا خطير، من الواضح أننا قد نفقد السيطرة على حاكم الساموز المستقبلي في أية لحظة.

إن تعاطفه مع فئة الموهادز ليس في صالحنا أبدًا.

مطت "سيفا" شفتيها باشمئزاز وقالت: لم أكن أتخيل أن ذوقه متدنٍّ ووضيع إلى هذه الدرجة، فتاة من الموهادز! والسفليين!

التفت إليها "دافي" وقال بغضب: وأين ذهب سحرك ودلالك؟ كيف فشلت في إيقاعه في حبائلك؟

انتفض من مكانه وضغط أسنانه بغيظ: بعد كل هذه الإعدادات والتدريبات المكثفة ! وبعد كل عمليات الإبدال والتجميل التي أجريتها! وفي النهاية تفشلين في مهمتك؟

شعرت "سيفا" بارتباك أمامه، لكنها تماسكت تمامًا، وقالت بغضب: أنا لا أفشل أبدًا، أنا "سيفا"، سترى بنفسك ما سأفعله به وبتلك الموهادز الحقيرة، إن كان لا يعرف من هم الموهادز، سأعرفه بهم بطريقتي الخاصة، وأعلمه ما هي وظيفتهم في الحياة.

EEE

تغير "كورني" كثيرًا، لم يعد ذلك الفتى الباسم المرح الذي لا يكف عن الضحك، صارت العصبية تلازمه، والكآبة رفيقه الدائم، كان يحيا حياة مزدوجة، يقضي الوقت في تدريب فرق الساموز على التابع فاست، وبعد انتهاء عمله يتجه إلى تابع النفايات، ويقف عند الحفرة التي أحدثتها مركبته المدفونة، يقف وحيدًا يراقب "باي" من خلال خوذته المقربة وهي تجلس

في مكانها المعتاد عند التلة البعيدة تتأمل السماء وتتمتم كعادتها، لم يقترب مرة واحدة منها ولم يشعرها بوجوده، فلم يكن يجد في نفسه أية شجاعة ليقترب منها ويحدثها ثانية بعد الشرخ العميق الذي أحدثته في أعماقه، كان يشعر وكأن هناك شخصين متناقضين يعيشان داخل جسده يزداد التباعد والكراهية بينهما يومًا بعد يوم؛ فهو على سطح كوكبه يحيا بطريقة وعلى تابع النفايات يحيا بطريقة مختلفة تمامًا، وبرغم آلامه كان دائم التفكير في التابع «فايري» ويتمنى العودة إلى هناك، وكأن الشخص الآخر بداخله يلح بشدة للعودة، وكأنما يشتاق للألم من جديد، وفي النهاية، انتصر لهذا الآخر وعاد إلى التابع «فايري».

خرج من مركبته وهو يحمل في يده حقيبة صغيرة، وظل يسير حتى وصل إلى المنطقة التي تسكنها "باي"، وهناك وقف ينظر حوله يبحث بعينيه في كل مكان.

انتفض فجأة عندما شعر بشيء يجذبه من حزامه، التفت بسرعة لتلتقي عيناه بعينيها، ويبتسم رغمًا عنه تلك الابتسامة التي كاد أن ينساها، فبرغم ضيقه وحزنه لكنه عاجز تمامًا عن مقاومة ذلك الوجه الباسم الممتلئ بالبراءة وتلك العيون الصغيرة الخالية من الغضب والكراهية، نزل على إحدى ركبتيه وقال باسمًا: كنت أبحث عنك.

قالت بسعادة: عنّي أنا؟

هز رأسه قائلًا: لديّ شيء لك.

فتح الحقيبة الصغيرة وأخرج منها عدة قطع وأخذ يركبها معًا بسرعة حتى اكتملت دمية جميلة على شكل طفلة ذهبية الشعر.

اتسعت عينا "إيما" بانبهار وشهقت بذهول: هااااااا...واااااو

أسقطت دميتها القديمة من يدها، وأمسكت بالدمية الرائعة وعلى وجهها ابتسامة سعادة رائعة وهي تقول: هذه لي أنا؟

ضحك "كورني" أخيرًا بعد أن نجحت الصغيرة في إعادة بعض الهدوء إلى نفسه: بالتأكيد، إنها لك.

قالت بسعادة: ستلعب معي، وتنام بجواري؟

قال ببساطة: وتتحدث معك وتنادي عليك وتصحبك في كل مكان.

شهقت شهقة قصيرة، وعيناها تتسعان بذهول: حقًّا؟

قال بسعادة: يمكنك أن تجرّبي.

دفعت الدمية في صدره، وقالت بلهفة ووجهها ينطق بالإثارة: اجعلها تتكلم.

قال ضاحكًا: بل اجعليها أنت تتكلم، يجب أن تستمع إلى صوتك لتأتمر بأمرك، ماذا ستسميها؟

رفعت كتفيها لأعلى، ومطت شفتيها ببراءة معلنة عن حيرتها؛ مما أثار ضحكه.

قال بُودّ: مارأيك تسميها فريند؟

هزت رأسها موافقة بحماس

قال: حسنًا، عندما أقوم بتشغيلها، سأصمت تمامًا وتناديها أنت لتتعرف صوتك وتأتمر بأمرك.

ضغط زر التشغيل وأعطاها الدمية، وبدأت "إيما" تتحدث إليها وتأمرها بالمشي والجري والضحك، والدمية تنفذ الأمر وترد عليها وتتحاور معها وتضحك، بل وتلقي الدعابات.

انشغلت الطفلة باللعب بالدمية الرائعة عن العالم بأسره، ووقف "كورني" عاقدًا ساعديه يراقبها من مكانه وهو يشعر بسعادة بالغة وراحة فارقته طويلًا.

«عجيب أمر الأطفال»

انتبه فجأة على صوت يأتي من خلفه، والتفت ليجد الشيخ الكبير يجلس في مكانه تمامًا كما رآه في المرة السابقة إلى جدار البيت، متكئ على عصاه وعيناه مغمضتان.

أكمل الشيخ دون أن يفتح عينيه: ينشغلون باللعبة عمن أعطاهم إياها، لا يتذكرونه إلا إذا فقدوا اللعبة أو احتاجوا غيرها.

عقد "كورني" حاجبيه بدهشة وهو يراقب الشيخ الكبير وهو يفتح عينيه ويرفع رأسه ببطء وينظر إليه قائلًا: دأب البشر جميعًا، ينشغلون بالأشياء وينسون الرازق.

اقترب منه "كورني" متسائلًا: أنت من عائلة "باي"؟ أنت جدها، أليس كذلك؟

قال الجد: تعرف "باي"! إنها لا تَنسَى.

عقد "كورني" حاجبيه وجلس القرفصاء أمام الجد مباشرة ليقترب من وجهه وهو يتساءل بدهشة: لا تنسى من؟

الجد يهمس له باهتمام: لا تنسى الرازق.

ظهر الشك في عيني "كورني" وكأنما يظنه مجنونًا، لكنه سأله: تجلس دائمًا وحيدة تتطلع إلى السماء وتحرك شفتيها بطريقة غريبة!!

مال الجد عليه وهمس بلهجة توحي بالأهمية: لن أخفي عليك، فهي ليست عاقلة تمامًا، تنظر إلى السماء وتتحدث إليه، وهو يسمعها أينما كانت، ولو لم تتكلم.

اتسعت عينا الجد بشدة حتى ظنه "كورني" مجنونًا تمامًا، وهو يشير إلى منتصف صدره بإبهامه قائلًا: قلبها يعلم بذلك ويصدق، ولم يتبق لها سوى القليل وستختفي نقمتها على الحياة، ويحل محلها الرضا والسلام.

عقد "كورني" حاجبيه بشدة وتساءل: من تقصد؟

الجد باسمًا: أنت أيضًا تستطيع أن تعرفه، فقط ابحث عنه وحتمًا ستعرفه.

صمت "كورني" تمامًا لا يدري ما يقول، وأخذ يدور بعينيه في المكان، ينظر إلى البشر والبيوت، ثم التفت مجددًا إلى الجد، وقال بسخرية: عن أيّ سلام تتحدث؟ وأيّ رضا! والبشر في هذا العذاب المهين!؟

هل نزع د. بوتشر جزءًا من خلايا عقلك أنت أيضًا؟

استدرك قائلًا بشبه اعتذار: لا أدري لم قلت هذا؟ في الحقيقة لم أعتد أن أتحدث إلى شيوخ طاعنين في السن.

الجد بابتسامة هادئة: أعلم، فعَلَى الكوكب لا يتركون الشيوخ يحيون إلى أرذل العمر.

"كورني" بدهشة: لديك ألفاظ غريبة حقًّا.

أخذ يتأمل ما حوله بضيق، ثم عاد يسأل الجد: ولكني لا أفهم، لم تصبرون على تلك الحياة الدنية؟ وما الذي أوصل الموهادز إلى هذه الدرجة؟

نظر الجد في عيني "كورني" الذي شعر بشعور غريب.

شعر وكأن عينا الجد تتسع وتتسع وتتسع وتحتويه ليغوص فيهما، ويستمع للجد بكل كيانه: الأمر يعود إلى سنوات بعيدة بعيدة؛ عندما صنعت أول لعبة غازية وانشغل بها العالم بأكمله، وتناسوا صانعها وأنكروه ولم يبحثوا عمن قتله، بل لم يسألوا أنفسهم لماذا قتل، وانشغل البشر باللعبة الملعونة، وتقاتلوا عليها حتى كادت تفنيهم، الكل يريدها له وحده، ولم يدركوا أنها للجميع.

"كورني" باستغراب: أسألك عمن أوصل الموهادز إلى ذلك الوضع المزري فتحدثني عن الثورة الغازية؟

قال الجد ساخرًا: وهذه هي النكتة المفعمة بالسخرية. لقد فر الموهادز من السباق، ألقوْا بميراثهم وانشغلوا بلعبة المقاعد، وفي الوقت الذي يتقاتل فيه العالم على اللعبة الغازية ويتقاسمونها فيما بينهم، كان قتال الموهادز على من يجلس على الكرسي.

ضحك بسخرية مريرة وهو يكمل: الكل يريد أن يجلس، فمن سيبقى واقفًا إذًا؟

وهكذا ظل الموهادز جالسين على الأرض وانطلق العالم من حولهم إلى الكواكب، ونسي الموهادز أن اللعبة الغازية الكبيرة هي ملك لهم في الأصل لأن أول من صنعها كان.. موهادز.

اتسعت عينا "كورني" بذهول، وظل يحدق في الجد صامتًا وطال صمته.

هز رأسه بقوة غير مصدق، وقال بشكٍّ: إن كان كلامك صحيحًا، فلِمَ لم يبقوا على الأرض أحرارًا ويموتوا فيها بدلًا من أن يحيوا حياة أسوأ من الموت مملوكين لغيرهم، لماذا قبلوا بالرحيل عن الأرض في مركبات يملكها غيرهم؟

نظر الجد في عينيه مباشرة، وقال بجدية شديدة: ولكنهم لم يقبلوا.

"كورني" بذهول: ماذا؟ أتريد أن تقنعني أنهم أجبروا على الرحيل عن الأرض؟

الجد بهدوء: لا لم يجبروا ، بل اختطفوا.

أصيب "كورني" بصدمة هائلة، وعجز تمامًا عن النطق، فاستمع صامتًا إلى مفاجآت الجد التي لا تنتهي: لقد حكى لي جدّي أنه عندما كان في الثالثة عشر هبطت مركبة فضائية عملاقة على سطح الأرض، وخرج منها مجموعات كبيرة من الجنود يحملون أسلحة شديدة الفتك، وقتلوا أعدادًا كبيرة من رجال الموهادز، واختطفوا أعدادًا كبيرة من النساء والأطفال، كان جدّي من بينهم، واقتادوهم إلى المركبة تحت تهديد السلاح، وعلقوهم في الأصفاد، وأخذوهم إلى كوكب الساموز ليقوموا على خدمتهم ويستغلوهم في الأعمال التي يأباها الساموز

ولكن، سرعان ما دب بينهم التمرد وروح الثورة على تلك الحياة، وبدأوا يتذمرون من معاملة الساموز السيئة،

فاضطر الساموز إلى نفيهم إلى أحد التوابع؛ اتقاءً لتمردهم وثورتهم، وسيطروا عليهم بالتحكم في الأكسجين والماء والطعام، واختاروا منهم رقباء عليهم ليخمدوا أيّ تمرد أو ثورة، ومع النجاح الذي حققه الساموز، والازدهار والتقدم الذي كان سببه الأساسي هو عمل الموهادز الشاق بلا مقابل.

قامت كل الكواكب الأخرى بتقليد الساموز والزايانز والسير على نهجهم، وهكذا انتقل الموهادز من الأرض ليصبحوا قطعًا متفرقة، كلٌّ مسجون في تابع لأحد الكواكب.

شعر "كورني" بغصة شديدة في حلقه يزداد ألمها قسوة مع كل كلمة يسمعها لتنزل على صدره الذي يمتلئ بنيران مستعرة.

أخيرًا، وبعد صمت طويل استطاع تحريك لسانه فقال بمرارة شديدة: أخبرني، هل كل الموهادز يؤمنون بتلك الأفكار.

الجد بتأكيد: الموهادز كلهم مؤمنون، ابتداءً من كل من هم في مثل عمري، وحتى "إيما" الصغيرة وأقرانها

وأكثرهم إيمانًا "باي"، هكذا أظنها.

عقد "كورني" حاجبيه بأسًى، وغمره اليأس الشديد، لقد أدرك أخيرًا أن جبل الكراهية أعلى بكثير من محاولاته المستميتة لتسلّقه.

EEE

كانت "باي" تسير بخطواتها العسكرية المعتادة مقتحمة بجسدها النحيل ضباب القمر «فايري»، ولكن هذه المرة كانت خطواتها أبطأ بكثير، بسبب الحمل الثقيل الذي تحمله فوق كتفها، كانت تحمل قطعًا كبيرة من البلوسترونج نقلتها من قمر النفايات إلى «فايري»؛ لإعادة تشكيلها كجزء من عمل الموهادز.

وصلت إلى مخزن تجميع قطع البلوسترونج المستعملة، وألقت حمولتها وهي تلهث بشدة وتستحم بعرقها من فرط المجهود الذي بذلته، وما كادت تنتهي من مهمتها وتلتفت خلفها حتى وقفت متجمدة عندما التقت عيناها بعيني "مار" أختها، ودون أن يتبادلا كلمة واحدة ألقت "مار" هي الأخرى بحملها الثقيل، ووقفت تلهث هي الأخرى لكنها لم تجرؤ على الالتفات ومواجهة "باي".

أخذت "باي" تتأمل رأسها الذي بدأ الشعر ينبت فيه من جديد، وجانب وجهها وجراحه تندمل ويعود إلى طبيعته،

ارتجفت حنقًا عندما تذكرت الرقيب وتهديده ووعيده عندما رأى ما فعلته بأختها، كان يرغي ويزبد ويتوعد بالانتقام، وبأنه لن يترك "مار" أبدًا.

اشتعل بداخلها خليط عجيب من الغضب والحنق والتمرد والخوف والضيق، وبدأ الخليط يمتزج ويفور كبركان ينتظر لحظة الانفجار، استدارت بعصبية مغادرة حتى لا تخرج الحمم من أعماقها محدثة ما قد تندم عليه فيما بعد، توقفت عندما رأت أباها عند باب المخزن، نظر إليها طويلًا بصمت، وشعرت "باي" أن هناك شيئًا ما خلف نظراته.

قال بجمود: لقد عاد السامو من جديد، أخبرتك من قبل أن تصرفيه عنا منعًا للمشكلات.

قالت باقتضاب: حاولت ولكن، أين هو؟

الأب: يجلس عند البيت.. مع الجد.

انتفضت غاضبة: ماذا؟

اعتصرت قبضتيها بغضب، وبدا واضحًا في ملامحها أن البركان على وشك الانفجار، وانطلقت مسرعة حتى تجاوزت الأب ببضع خطوات، بينما قال بهدوء: لا داعي لإثارة المشكلات لا تقلقي، فالجميع هنا يعلم بأن الجد شيخ كبير مخرف.

قالت دون أن تلتفت: أنا لا أخشى من الجد، إنّ كل ما أخشاه هو ذلك السامو الغريب، فلديه قدرة غير عادية على التصديق، يجب أن يبتعد عنّا بأية طريقة.

انطلقت من جديد بخطوات مسرعة، لكن الأب أوقفها قائلًا: حافظي على رأسك، فلن أسمح لك بالسعي إلى الموت قبل أن تنجزي العهد.

ضغطت أسنانها بغيظ وغادرت المكان بصمت، وبمجرد أن اقتربت من البيت حتى لمعت عيناها وازْرقّ وجهها غضبًا عندما رأت "كورني" يجلس بجوار جدها يتحدث إليه بودٍّ، وبمجرد أن رآها الجد قادمة من بعيد حتى هتف ساخرًا: ها قد جاءت الحمَّى الغاضبة.

وقفت "باي" أمام "كورني" مباشرة، وقالت بغضب: فيم كنتما تتحدثان؟

"كورني" بهدوء: كنا نتحدث عنك وعن إخوتك.

نقلت "باي" نظراتها بينهما بغيظ شديد، ثم التفت مبتعدة تهرس الأرض هرسًا، وتبعها "كورني" مسرعًا وهو في دهشة كبيرة، تودعهما نظرات الجد الماكرة وابتسامته الساخرة.

هتف "كورني" بدهشة: لماذا أنت غاضبة دومًا مني؟ لم أرتكب شيئًا يغضبك.

هتفت بثورة: أيها السامو لا تـــ..

قاطعها قائلًا: كورني، اسمي "كورني".

توقفت فجأة وأخذت تتأمله بدهشة كبيرة، وهمست: كورني؟

نظر إليها بعجب، وابتسم قائلًا: اسم غريب. أليس كذلك؟ والأغرب أنه الشيء الوحيد الذي لفت انتباهك إليّ،

صمتت تمامًا وبدأت ثورتها تهدأ، وشعر "كورني" بالراحة عندما وجد الحدة التي في نظراتها تهبط تدريجيًّا

فجأة، سمعت صوت "إيما" تتحدث إلى دميتها الإلكترونية الجديدة، استدارت ببطء وأخذت تتأمل بذهول أختها ودميتها التي تسير خلفها وتقفز وتتحدث وتضحك، و"إيما" في غاية السعادة.

انتبهت "إيما" فجأة إليهما، وكأنما خرجت لتوها من عالمها الطفولي المحبب، وابتسمت هاتفة بسعادة: "باي"، أرأيت دميتي الجديدة؟ "كورني" أعطانيها.

التفتت "باي" إليه بحدَّة، وبدأت حمم الغضب تنساب من عينيها، والحنق يرجف أطرافها، وهي تقول بصوت كالفحيح: ماذا تريد منا؟

تأملها "كورني" صامتًا بذهول لا يدري تمامًا ما الذي يغضبها إلى هذه الدرجة!.

قالت بلهجة تقطر كراهية: ما الذي أتى بك إلى هنا؟ ما الذي يدفع بأحد الساموز لفعل ما تفعله؟ ما هو هدفك من كل هذا؟ أتريد إغواءنا؟ أم تريد تجميل صورتكم لدينا؟ لن تستطيع خداعنا، كل محاولاتك للتقرب منا لن تزيدنا سوى كراهية واحتقار للساموز أجمعين.

اتجهت إلى أختها، واختطفت منها الدمية، وألقتها في وجهه بعنف، ولكنه اعترضها بيده وتركها تسقط عند قدميه وهو يحدق بجمود في بركان الغضب الواقف أمامه، وهي تقول من بين أسنانها بغِلٍّ شديد: ارحل، ارحل ولا ترجع أبدًا، لا تشعل النار حتى لا تكون أول من يحترق بها.

رحلت كشهاب من نار وتبعتها "إيما" لكن الصغيرة توقفت عند دميتها القديمة القذرة الملقاة على الأرض وانحنت لتلتقطها وهي تلتفت تنظر إلى "كورني"، ومطت شفتيها وفمها يتقوس للأسفل وامتلأت عيناها بالدموع وودعته بنظرة حزينة، ثم أخذت دميتها وجرت لتلحق بأختها التي ابتعدت مثيرة سحابة من التراب الأزرق، و"كورني" يتبعهما بنظرات تمتلئ بكم هائل من مشاعر الأسى والحزن والغضب والإحباط.

سار "كورني" في طريقه عائدًا إلى مركبته حزينًا شاردًا يفكر في كل ما مرَّ به.

كلام الجد الغريب، براءة "إيما"، كراهية "باي".

لقد انتهى كل شيء، انتهت علاقته بالموهادز، فلا أمل له في إصلاح أيّ شيء بعد كل ماسمعه ورآه، توقف عن السير عندما وجد أمامه ثلاثة من فتية الموهادز ينظرون إليه نظرات غريبة، أخذوا يدورون حوله يتأملونه بنظرات تمتلئ طمعًا وغلًّا، وهو ثابت في مكانه لا يتحرك.

قال أحدهم: سامو هنا! ووحده؟!! لا شك أن النظام الشمسي انقلب!.

الثاني: انظر إلى ملابسه، ترى كم يساوي حذاءه وحده؟

الثالث: ثمنه يطعم كل من على سطح القمر أسبوعًا كاملًا.

الأول: ماذا لو دفناه هنا؟ هل سيعرف بأمره أحد؟

الثاني: لا أظن، لاشك أنه ضال.

كان "كورني" ينظر إليهم باستخفاف صامتًا ينتظر.

مد الثالث يده إلى حزامه، لكن لكمة واحدة من قبضة "كورني" ألقته بعيدًا وهو يتأوَّه.

نظر "كورني" إلى الاثنين الآخرين، وقال بسخرية: من يحب أن يكون الثاني؟

وقف الاثنان بتحفز يتبادلان نظرات التردد، ثم فجأة هجما عليه في لحظة واحدة وهما يصرخان، لكن "كورني" كان مستعدًّا لهما، فتلقى الأول ركلة عنيفة في منتصف صدره ألقته أرضًا، وتفادى برشاقة لكمة الثالث، والتف ليلكمه في معدته بقوة، ثم يعقبها بأخرى في فكه، لكن "كورني" فوجئ من جديد بمجموعة كبيرة من الموهادز يهبطون من التلة القريبة جريًا وهم يصرخون بأصوات مرعبة ويهاجمونه بشراسة، أدرك "كورني" أنه لن يستطيع هزيمة كل هذا العدد في معركة يدوية، فأخرج سلاحه الليزري بسرعة، وكاد يطلقه لولا ذراع التفت حول عنقه، كان الموهادز الذي ركله "كورني" في صدره قد نهض بسرعة ولفَّ ذراعه حول رقبته ليعيق حركته، وضرب الثاني يده بقوة ألقت بسلاحه بعيدًا في نفس الوقت الذي كان الثالث يلكمه في معدته، ووجد "كورني" نفسه مشتبكًا رغمًا عنه في معركة يدوية غير متكافئة مع مجموعة كبيرة من الموهادز، وبرغم أنه صمد أمامهم فقد كان يدافع عن أغلى شيء لديه، عن حياته، لكن عددهم الكبير كاد يحسم المعركة لصالحهم، لولا تدخل عنصر خارجي عدل ميزان القوى في المعركة.... رجل رآه من قبل..

كان رجلًا قويًّا بحق، ينهار الموهادز تحت وطأة ضرباته العنيفة الشرسة، وبدأ الموهادز في الفرار واحدًا وراء الآخر؛ عندما أدركوا قوة خصمهم، وانتهت المعركة لصالح الجانب الأقل عددًا، ووقف "كورني" يلهث وهو يتأمل شريكه في المعركة الذي وقف جامدًا ينظر حيث اختفى الموهادز المعتدون.

قال "كورني" بامتنان وهو يمد يده للرجل مصافحًا: أشكرك.

نظر الرجل إلى يده الممتدة، وكم كانت دهشة "كورني" عظيمة عندما تجاهل يده ولم يصافحه، وقال بجمود شديد: عليك الرحيل الآن فربما يعودون بأعداد أكبر، وعندها لن تتمكن أبدًا من مغادرة هذا القمر على قدميك.

رحل الرجل، لكن "كورني" سارع يقول: أنت والد "باي"، أليس كذلك؟

توقف الرجل والتفت ببطء ليواجه "كورني" الذي شعر برجفة غريبة تسري في جسده، كانت ملامح الرجل جامدة تمامًا، لكن عيناه تشعان بنظرات مخيفة للغاية وهو يقول بلهجة غريبة: "باي"! تستطيع أن تلتقيها في الحفل، وقد تدعو أصدقاءك أيضًا.

اشتدت وطأة نظراته وازدادت قسوة وهو يكمل: الموهادز تابع، وجدوا ليحيا الساموز ويتمتعون.

ابتلع "كورني" ريقه بصعوبة، ولم يجرؤ على النطق، وظل يحدق في الرجل الغريب وهو يبتعد حتى اختفى..

اختفى بعد أن ترك خلفه علامة قاسية في نفس "كورني" لم تزدهُ سوى ألمٍ ويأس.

EEE

(5)

سماء سوداء، نجوم بعيدة، أجرام كثيرة لا حصر لها تسبح في فضاء لا نهائي، كواكب، نيازك، صخور

نجم بعيد يومض، يتوهج وينطفئ، ويتوهج وينطفئ في إيقاع رتيب، نجم يحتضر، يوشك على الفناء، يأتيه الموت من داخله، ينفجر ويستحيل إلى قطع متناثرة هنا وهناك، ويذوب في عالم لا نهائي تمامًا كقلب "كورني" يتوهج وينطفئ، ويتوهج وينطفئ في طريقه للاحتضار، لقد بدأ يتفتت بالفعل.

هكذا كان يشعر وهو يراقب نهاية ذلك النجم البعيد من خلال نافذة كبيرة شفافة في مركبة صديقه "إد"، كانت مركبة كبيرة سداسية الشكل، وفي كل جانب من جوانبها الستة نافذة شفافة عريضة يظهر من خلالها الفضاء الشاسع بصورته الرائعة التي تخلب القلوب والألباب.

تنهد "كورني" بعمق، وقال دون أن يدير عينيه عن ذلك المشهد الرائع: ألم تنتهِ بعد؟

لم يأتِه ردٌّ، التفت إلى صديقه "إد" الجالس في مقعد وثير تحت جهاز نصف كرويّ يخرج من منتصفه أسطوانة قصيرة في آخرها كرة صغيرة، ترسل أشعة ضوئية تسقط مباشرة على رأس ووجه "إد" وتلونه بظلال وألوان غريبة.

زفر "كورني" بضيق شديد وانتظر حتى توقف الجهاز، وأخذ يتأمل "إد" بإشفاق وهو ينهض من المقعد ببطء ويلهث ووجهه شاحب بشدة، وتحت عينيه هالتان من السواد القاتم.

كورني: أتعلم أنك ستلقى حتفك بأسرع مما تتخيل بسبب تلك الأشعة.

انتفض "إد" بنشوة، وقال بسعادة غريبة: ووووه.. لو ذاقها جلدك لما قلت هذا، إنها لا تقاوم، تتخلل مسامك، تنفذ إلى أنسجتك، تحتل خلاياك، تمنحك لذة لا يعرفها إلا من جربها.

"كورني" بأسف: لكنها تدمر الخلايا تدريجيًّا.

"إد" بلامبالاة وقد بدأ وجهه يعود إلى لونه الطبيعي: فليكن.. أتخشى أن أموت، اطمئن، إن بقيت تعاني من تلك الحالة؛ فستسبقني إلى هناك بالتأكيد، يجب أن تنسى حتى تستطيع الاستمرار في الحياة.

اعتصر "كورني" عينيه ألمًا: هل حقًّا أستطيع؟، إن ما عرفته في المدة القليلة الماضية، لم أتعرف إلى ربعه في سنوات عمري بأكملها، هل أستطيع أن أتجاهل كلَّ هذا الكم الهائل من الحقد والغل والكراهية، وأمضي في حياتي وكأن شيئًا لم يكن؟، هل أستطيع أن أسير في أيّ مكان على سطح الكوكب متجاهلًا أن هناك مختارين من الموهادز يملأون سطح الكوكب يسهرون على خدمتي وراحتي، وأنا أدري ما تحمله قلوبهم من كراهية لي

ولكل الساموز!، بت أخشى أن أسلم على أحد الساموز فقد تكون يد أحد بدلاء الموهادز، لم أعد أطيق رؤية أي طفل من الساموز وأنا أعلم أن أمه الرحمية من الموهادز يتمزق قلبها لفراقه رغمًا عنها.

"إد" بعجب: أكلُّ هذا بسبب ذلك الرجل الغريب؟

"كورني" بشرود: أنت لم ترَ وجهه، لا زالت نظراته تحاصرني، لم أشعر بالخوف أبدًا أمام أي إنسان، لكن هذا الرجل أرعبتني نظراته بحق، أتدري ما نحن مقدمون عليه؟ إننا نصنع أعداءنا بأيدينا، أخرجنا الموهادز من الأرض، وربيناهم على كوكبنا، وغذيناهم غلًّا وكراهية؛ ليتحولوا إلى سلاح فتَّاك موجه إلى صدورنا، وهاهم قد بدأوا.

ضحك "إد" بسخرية مريرة وترنح بطريقة غريبة وهو يقول: هأهأهأ.. أيها المسكين الساذج، أتظن حقًّا أنهم قادرون على الوقوف في وجه الساموز والزايانز مهما بلغت قوتهم!؟ إن أرواحهم وأرواح أطفالهم بين أيدينا

قذيفة واحدة من الكوكب تدمر التابع «فايري» بمن عليه في ثوان معدودة، ولكن هذا لن يحدث..

أتدرى لماذا؟ لأن الساموز والزايانز لا يستطيعون الحياة بدون الموهادز.

"كورني" بضجر: عدت لجنونك من جديد.

"إد" ساخرًا: إن كنت مجنونًا حقًّا، فلم تصاحبني؟

نظر إليه "كورني" بصمت ولم يرد.

لمعت عينا "إد" ولوح بيديه قائلًا: سأقول أنا؛ لأن كلماتي المجنونة تجد صدى داخل نفسك، أنت لم تأت إلى هنا لتناقش معي خطر الموهادز، فأنت أدرى الناس بأن خطرهم ليس حقيقيًّا، كل ما يقدرون عليه إحداث بعض التخريب في جزء صغير من سطح الكوكب، أو قتل بضعة أشخاص من جنود الساموز، ومهما بلغت أسلحتهم فلن تكون أبدًا بنفس القوة والتطور الذي نمتلكه، أنت هنا الآن لسبب آخر، لقد حطموا شيئًا ما بداخلك.

تأمله "كورني" قليلًا، وبدا أن "إد" قد ضغط بيده على جرح غائر في نفسه، ولكنه أدار وجهه إلى النافذة بصمت ولم يرد.

هتف "إد" ساخرًا: لماذا تهرب من الحقيقة؟، ألم ينهار ويتفتت تمثال المبادئ والقيم الذي عشت تبنيه عمرك؟

كل مبادئ وقيم الساموز عن الحرية والعدالة والمساواة والرحمة!، كل الذي تربيت عليه وتعلمته طوال حياتك

تحطم أمام عينيك في لحظة واحدة.

لمعت عيناه بجنون، وأخذ يشيح بذراعيه في حركات مسرحية: انكشف أمامك الوجه الأقبح للساموز، وانهار التمثال العظيم الذي عشت تفخر به دومًا بداخلك، وظهر الساموز على حقيقتهم، تعلم تمامًا أن

الموهادز لايمثلون أيّ خطر على الساموز؛ لأن أقصى ما يطمحون إليه، هو الحرية، أما الخطر الأعظم، فهو يأتي من أقرب حلفائنا إلينا، فطموحهم للقوة والسيطرة لاحدود له، يفعلون من أجله أي شيء وكل شيء، ونحن لا نمثل لهم إلا معراجًا يحملهم إلى تحقيق أحلامهم.

التفت إليه "كورني" ببطء وعقد حاجبيه بشدة وظل يحدق به طويلًا لا يجد ما يقوله.

فجأة انقلبت سخرية "إد" إلى حزن وألم عميق احتل ملامح وجهه وهو يردد بشجن غريب: الخطر الحقيقي فيمن يقتلون الأرواح، إنهم يتسللون إلى داخلك كما تتسلل الأشعة عبر مسام جلدك ويحتلون خلاياك ويذيبونها ببطء شديد دون أن تشعر؛ لتفاجأ في النهاية وقد أصبحت عبدًا لكل رغباتهم، لا تعصي لهم أمرًا.

استند بذراعه إلى الجدار حتى لا يسقط من فرط الانفعال وهو يقول بأسًى: هكذا قتلوها.

تأمله "كورني" بدهشة واستمع إليه بصمت.

أراح "إد" جبهته إلى ساعده وبدأت الدموع تظهر في عينيه وصوته: كانوا جميعًا أصدقاءها، هكذا كانت تظنهم

تأمن إليهم، تستمتع معهم، تذهب معهم إلى حفلات العبث المجنونة، كانت حفلاتهم عجيبة، مفعمة بالمجون والممارسات الغريبة والأفكار

الشاذة، وفي هذا اليوم، أصرت أن أصطحبها إلى الحفل، ذهبت معها، واتخذت مقعد المتفرج السلبي، وكلما مرَّ الوقت، ازدادت الإثارة واشتعل الجو والتهبت الأعصاب.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يكمل بألم: أقنعوها بتجربة لعبة الموت.... وهي..

لم تقاوم، بل كانت شغوفة بتلك الفكرة المثيرة، كان فضولها طاغيًا لتعرف ماذا هناك في الثقب الأسود، وكيف يشعر من يذهب إلى هناك؟، هل كانت ترغب بلقاء جدها الذي أرسلوه إلى هناك؟

أسند ظهره للحائط واعتصر عينيه بألم ومرارة: لم يعد السبب مهمًّا، فقد ذهبت، ولكنها لم تعد أبدًا.

رحلت (باي) ، وكأنما وُجِدت فقط لأحبها وأتعذب بفقدها!، ولم يرحل أصدقاؤها، بل داروا يبحثون عن ضحية أخرى وأخرى وأخرى يتسلَّون بها.

قال "كورني" بإشفاق كبير: من وقتها لم تعد للكوكب أبدًا، تقضي حياتك هائمًا على وجهك في الفضاء، لا تحاول حتى تشغيل أجهزة التحكم والسرعة في مركبتك، تترك نفسك تدور في مسارات الفضاء بفعل الجاذبية، علها تلقي بك يومًا في الثقب الأسود، أبعد مرور كلِّ هذا الوقت تعجز عن نسيانها؟

التفت إليه "إد" وقال بحزن عميق: وهل يستطيع القاتل أن ينسى ضحيته؟

عقد "كورني" حاجبيه بتأثر شديد، وقال باستنكار: ما هذا الذي تهذي به!!، أنت لم...

صرخ "إد" بألم: نعم، ضحيتي أنا. أنا من تركها لعبة بين أيديهم، لم أبذل أيّ جهد حقيقي لإنقاذها.

اشتد صراخه الأليم: ماتت أمام عيني، ماتت بين ذراعيّ وأنا عاجز عن حمايتها، كنت جبانًا، جبانًا، جبنت حتى عن اللحاق بها، وهاأنا أقضي ما بقي لي من حياة جبانًا هاربًا من كل شيء.

ارتعشت يداه بشدة، وبدأ يترنح كما لو كان على وشك السقوط وهو يقول بغضب: لماذا أتيت؟، لقد أيقظت كل جراحي ومحَوْت تأثير الأشعة من رأسي.

"كورني" بأسف: "إد"، الهروب ليس حلًّا.

"إد" بيأس: وما الحل في نظرك؟ العودة! المواجهة! أن أعيش حياتي كما كانت؟، أتنصحني بما تعجز أنت نفسك عنه؟.

ظل "كورني" واقفًا كتمثال يحدق في وجه "إد" بصمت، ظن أنه عندما يأتي إلى هنا سيشعر ببعض الراحة، لكن صراحة "إد" وكلماته الصادقة قضت على آخر جزء سليم من روحه، عاد "إد" إلى جهاز الأشعة من جديد

ليتلقى دفقة جديدة من الأشعة، بينما أخذ "كورني" يتأمل من جديد الضوء الوامض المحتضر لنجم ميت لم يعد له وجود من أحقاب بعيدة، إنما أمام عينيه ماهو إلا ضوء لامع يخدع الأبصار.

نهض "إد" من تحت جهاز الأشعة يترنح، تعلو وجهه النشوى وهَمَّ أن يقول شيئًا ما عندما سمع صوت جهاز الاتصال الشخصي الخاص بـ"كورني" ينبهه بأن "سيفا" تتصل به.

أغمض "كورني" عينيه بضجر شديد وهو يزفر بضيق: أوه، لا، ليس الآن.

فتح جهاز الاتصال، وعلى الفور تكونت أمامه في المكان صورة لـ"سيفا" محاكية للواقع تمامًا ثلاثية الأبعاد، وبالحجم الطبيعي وهي تقول بصوتها الممتلئ بالصلف والغرور: مرحبًا "كورني"، اشتقت إليك.

دارت بعينيها في المكان حتى توقفت عند "إد" فقالت بسخرية: ألا زلت تصادق الفاشلين والمدمنين؟ لك ذوق عجيب في اختيار المقربين منك.

قال بغلظة: ليس هذا من شأنك، ولا أظنك تتصلين بي لتسألين عن "إد".

قالت بتعالٍ، وصورتها تتمايل بينهما: بالتأكيد، فهناك أشياء أكثر أهمية، أنا أدعوك لحفل.

"كورني" بضجر: لا أستطيع تلبية الدعوة، فلا أحب الحفلات، ولا وقت لدي للعبث.

ضحكت ضحكة ماجنة وهي تقول ساخرة: عرفت أنك ستقول هذا، وقتك ثمين للغاية، أليس كذلك؟

رفعت إحدى حاجبيها لأعلى وهي تكمل بلهجة ذات مغذًى: فقط أرجو أن تضيِّعه على من يستحقونه، تأكد من أنني لا أدعوك لشيء إلا لو كان يهمك حقًّا، وأرجو ألا تندم على رفضك هذا، سيقام الحفل بك أو بدونك، تذكر أنني دعوتك، وأنت رفضت. وداعًا ياعزيزي.

لمعت عيناها بشدة ولوحت له بيدها، ثم أدارت له ظهرها واختفت صورتها تمامًا، أغلق "كورني" جهاز الاتصال بعصبية كبيرة وضبطه على خاصية منع استقبال اتصالات.

قال "إد" بشكٍّ: ماذا تعني بحديثها هذا؟

"كورني" بغضب: لا أعرف، ولا أريد أن أعرف، دعك مما قالته، فلا أهتم.

"إد" بتفكير: على العكس، يجب أن تهتم، فالأنثى عندما تتلوى هكذا كالمذيّل، فاعلم أن هناك كارثة على وشك الوقوع.

"كورني" بدهشة: ماذا تعني؟

"إد": يجب أن تأخذ حذرك، فكلامها لا يريحني، يمتلئ بالتهديد والوعيد، يجب أن تذهب للحفل.

نظر إليه "كورني" طويلًا، وهو يفكر بعمق كبير، ثم هز رأسه موافقًا.

ابتسم "إد" نصف ابتسامة: وسأذهب معك.

EEE

أخذ "إد" و"كورني" يدوران في الحفل يتأملان ما حولهما من البشر وأفعالهم العجيبة.

"كورني" والدهشة تملأ صوته: لا أصدق ما يحدث، سمعت كثيرًا عن حفلات العبث التي يقيمها شباب الساموز والزايانز، ولكنها المرة الأولى التي أراها حقيقة.

"إد" ساخرًا: أنت لم ترَ شيئًا بعد.

"كورني" بذهول وهو يجول بعينيه فيما حوله: أتذكر كلمة قالتها أمي لم أفهمها في حينها، قالت لي «إن ما يحدث لفتيات الموهادز قسرًا تحت مسمى قانون السادسة عشر، يحدث على سطح الكوكب باسم آخر وقانون آخر، ولكن بموافقة الفتيات وتأييدهن»، الآن فقط أصدق.

وقف "إد" فجأة، وأخذ يتأمل أحد المشاهد الغريبة أمامه؛ مما دفع "كورني" لينظر هو الآخر، وتبدو أمامهما مجموعة كبيرة من الشباب والفتيات داخل حجرة أسطوانية شفافة يتلوون بطريقة غريبة ويصرخون بنشوى وسعادة، وهم يسبحون في أطياف من ألوان كثيرة تتدفق من أجهزة معلقة في سقف الحجرة.

قال "إد" بنشوى: كنت معترضًا على جلوسي تحت جهاز الأشعة، فهل يمكنك الاعتراض على ما يحدث هنا الآن؟.

زفر "كورني" بضيق شديد، وقال وهو يستمر في السير: هيا بنا.

"إد" وعيناه تتطلعان للألوان والأطياف بشوق عارم: لكم أتمنى أن أدخل هناك وأتذوق، هذا ما أسميه النشوى الطاغية، الأشعة التي يستخدمونها على أعلى مستوى من النقاء والقوة والتأثير.

"كورني" بضجر: هل نسيت لمَ جئنا إلى هنا؟ هيا تحرك.

سار معه وعيناه معلقتان بغرفة الأشعة الشفافة ومن فيها، وبعد عدة خطوات سمع "كورني" صوتًا عالي الصخب، تصفيقًا وصراخًا حماسيًّا شديدًا، فاتجه نحو الصوت، لكن "إد" أوقفه: هاي، انتظر لا تذهب هناك، فما ستراه لن يعجبك بالتأكيد.

سأله بدهشة وفضول: ماذا هناك؟

"إد": يسمونه مسرح المتعة، هناك يقوم الشباب بتفريغ كل طاقاتهم في فريسة من الموهادز.

"كورني" بقلق: أيّ طاقة تقصد؟

"إد": كل أنواع الطاقات التي تعرفها والتي لاتعرفها، هنا لاحدود للمسموح به.

عقد "كورني" حاجبيه بشدة، واتجه مباشرة إلى المسرح.

حاول "إد" إيقافه قائلًا: قلت لك لا تذهب.

قال وهو يجدُّ في السير: لديَّ شعور قويٌّ ينبئني بأن "سيفا" لم تدعُنِي إلى هنا إلا من أجل هذا.

عبرَ الاثنان جسرًا أسطوانيًّا شفافًا يصب في نهايته إلى مبنى كرويّ ضخم، وبمجرد أن دخلا حتى صم آذانهما صراخ المتفرجين المجنون.

وجد "كورني" نفسه بين زحام كبير من شباب وبنات الزايانز والساموز، وهم يصرخون بحماسة بالغة ويهتفون بكلمات لم يستطع "كورني" أن يتبينها من كثرة اختلاط الأصوات والضجيج الشديد، كان المسرح عبارة عن مبنى كرويّ كبير له جدران شفافة، ويقف المتفرجون في شرفة ضخمة تمتد دائريًّا عبر الكرة بكاملها، وهي تسهل لهم رؤية المسرح الموجود في الأسفل على هيئة دائرة كبيرة ملونة في أرض المبنى.

اقترب "كورني" من حاجز الشرفة المنخفض وأمسك بحافته، وأخذ يتأمل ما يحدث على المسرح بذهول تام،

فعَلَى المسرح وقف أربعة من الشباب يختالون بقوتهم، وفي وسطهم جسد عارٍ ملقًى أرضًا لا يتحرك، لم يتبين "كورني" إن كان جسد رجل أو امرأة من كثرة ماغطته الدماء والجروح.

في البداية لم يستوعب "كورني" الصدمة، ولم يفهم ما يحدث، وشيئًا فشيئًا بدأت عضلاته تتقلص ويعتريه الاشمئزاز مما يحدث على أرض المسرح، أخذت عيناه تتفحصان المكان والمتفرجين، وتتوقف عند أشخاص يرتدون سترات صفراء اللون..

قال "إد" قبل أن يسأله: رجال المراهنات، يسجلون رهانات الشباب، هل تقتل الفريسة نفسها أولًا، أم يقتلها اللاعبون؟

عقد "كورني" حاجبيه بشدة، وتجمدت ملامح وجهه تمامًا، وهو ينظر إلى ذلك الجسد النحيل الأزرق الشبه ميت، وارتج قلبه من الخوف (ترى أتكون هي؟) لم يستطع أن يتبين الوجه الذي غطته الدماء، أخذ اللاعبون الأربعة يدورون حول الفريسة، وأخرج أحدهم سكينًا ليزريًّا، وأخذ يلوح به بطريقة استعراضية أمام الجمهور المجنون،

نزل على إحدى ركبتيه وقرَّب السكين من الفريسة، وقال بصوت سمعه كلُّ من في المكان عبر تقنيات تكبير الصوت الحديثة: والآن أيتها الفريسة اللذيذة، هذا هو أكثر جزء إثارة في اللعبة، لك حق الاختيار، تقتلين نفسك، أو نقوم نحن عنك بتلك المهمة.

ارتج المكان بصرخات الجماهير، بعضهم يصرخ: اقتلي نفسك، والبعض الآخر يقول: اقتلوها، كلٌّ حسب ما راهن عليه، والكل يريد الفوز.

نظر الشاب الممسك بالسكين إلى الجمهور بصلف شديد، ثم رفع يديه محاولًا تهدئة الجمهور وهو يهتف: دعوها تختار ماتريد.

ألقى السكين بجوارها، وأخذ يدور حولها مع اللاعبين الآخرين ينتظرون ما ستفعله، نظرت الفريسة إلى السكين الملقى بجوارها، وببقايا من قوة واهنة مدت يدها الشبه سليمة وتناولت السكين، هبط الصمت المترقب على المسرح، وتعلقت أعين الجميع بالضحية في انتظار ما سيحدث، ووقف "كورني" يراقب وهو لا يكاد يصدق أن ما يحدث أمامه حقيقة، ترددت الفريسة قليلًا وتوقفت يدها، لكن ركلة عنيفة من قدم أحد اللاعبين دفعتها للإمساك بالسكين، ووجهته مباشرة إلى قلبها وضغطت الزر ليخرج شعاع الليزر أخيرًا مُنهيًا المسرحية بهزيمة الفريسة وانتصار اللاعبين، واشتعل المسرح بصرخات المتفرجين الهستيرية، واللاعبون يرفعون أيديهم يحيون الجمهور وتساقطت فوقهم الغازات الملونة والزهور.

تأمل "كورني" كل ما حوله بمشاعر تنضح بالغضب والاشمئزاز والضيق والذهول، وهو يسأل "إد": لا أفهم، ما هذا الجنون! ما الذي فعلوه ليستحقّوا كل هذا الفرح والاحتفال؟

"إد" ساخرًا: ألم تفهم بعد؟ لقد انتصروا على الفريسة، أجبروها على قتل نفسها.

"كورني": وماذا لو لم تفعل؟

"إد": سيقتلها أحدهم، ولكن عندها ستتغير النتيجة، وتنتصر الفريسة ويفوز من راهنوا عليها، ولكنها لن تحتفل بانتصارها، فستكون ميتة.

"كورني" بأسًى: وهل هناك من يرفض الانتحار في ظل كل هذا التعذيب والسادية المقيتة؟

"إد": نعم، في بعض الأحيان تنتصر الفريسة وتأبى الانتحار.

التفت إليه، وقال بسخرية مريرة: ألا تعلم في أي كوْنٍ أنت!

إنه العالم السفلي للساموز والزايانز؛ حيث لا قواعد ولا قوانين ولا أخلاق، حيث اللا معقول.

نظر له "كورني" بدهشة وهو يتساءل في نفسه: أي انتصار تحققه الفريسة إن ماتت بيدها أو بأيديهم؟

خرج من شروده، وعاد يلتفت إلى المسرح عندما أعلن عن قدوم الفريسة الجديدة، فجأة ارتجفت كل ذرة من خلاياه واقشعر بدنه بشدة، واعتصرت قبضتيه حافة الشرفة عندما وقعت عيناه على وجه الفريسة الجديدة، وأحدهم يدفعها بعنف إلى المسرح.

عقد "إد" حاجبيه عندما لاحظ توتره الشديد: هل تعرفها؟

لم يجِبْه، فقد كانت كل حواسه مُركّزة على مَن في المسرح، على الفريسة التي رفعت رأسها بشموخ غير عادي برغم علمها التام بما سيحدث لها، لكنها

أخذت تدور في المسرح تتفحص وجوه المتفرجين بتحدٍ شديد، ونظراتها تنضح بالمقت والكراهية العنيفة، حتى توقفت فجأة عندما رأت "كورني" وعقدت حاجبيها بشدة، ثم ما لبثت أن نبتت على زاوية فمها ابتسامة شامتة محتقرة، ابتعد "كورني" عن حافة الشرفة فجأة كمن أصابه شعاع قاتل، والتصق بجدار القاعة وهو يلهث بشدة، والألم واليأس يحفر ملامحه وقسماته.

اقترب منه "إد" وسأله بتعاطف: هي! أليس كذلك؟

هز رأسه بالإيجاب، فقد كان عاجزًا تمامًا عن الكلام.

التفت "إد" عندما سمع صراخ الجماهير يشتد، واقترب من حافة الشرفة مخترقًا الزحام، وأخذ يتابع ما يحدث على المسرح، ثم عاد بعد قليل إلى "كورني" ووجهه ينطق بالقلق: الأمر ليس طبيعيًّا.

"كورني": ماذا تعني؟

"إد": في الحفلات العادية تنزل الفريسة إلى المسرح وأمامها لاعب أو اثنان، بحد أقصى أربعة لاعبين، لكنهم أنزلوا أمامها عشرة، مما يعني أن الحفل ليس للمتعة.. بل للانتقام.

اتسعت عينا "كورني" برعب، واندفع يخترق البشر حتى وصل إلى حافة الشرفة، ووقف ينظر إلى ما يحدث في المسرح، "باي" وحيدة بين عشرة من الساموز يتفننون ويبتكرون كل الطرق لتعذيبها، تحفزت كل عضلاته وتوقفت كل شعرة في جسده، وتجمدت عيناه على المسرح وما يحدث فيه.

اقترب منه "إد" وقال بإشفاق: هيا نغادر. لا داعي للمزيد.

"كورني": يجب أن أتصرف، لا أستطيع أن أتركهم يقتلونها وأنا أتفرج بلا حيلة.

"إد" بأسًى: اطمئن، لن يقتلوها، فقط سيجبرونها على الانتحار.

"كورني" بعناد: يجب أن أنقذها.

"إد" بمرارة: وما الذي تستطيع أن تفعله أيها المسكين؟ لقد أجادت "سيفا" اللعبة وأحكمتها تمامًا ودفعتك مرغمًا إليها، وهي تعرف أنك ضعيف وعاجز، تعرف أنك سامو.

نظر إليه "كورني" بغضب، فوجد وجهه متجمدًا على المسرح، ودمعة كبيرة معلقة بين جفنيه، وصوته يخرج متألمًا: بدأوا الآن مرحلة تكسير العظام.

ارتدت عيناه إلى المسرح، وتعلقت بجسد "باي" المسجى بين عشرين قدمًا تهرسه وتطحن عظامه، وأخذ جسده يرتعش بشدة، ويتصبب عرقًا برغم الرداء المكيف الذي يحتويه.

وضع "إد" يده على كتفه قائلًا بإشفاق: هيا، يجب أن أخرجك من هنا، لا داعي لتعذيب نفسك بقضية خاسرة.

مال "كورني" فجأة للأمام بحدة، فنظر "إد" إلى المسرح ليجد "سيفا" تسير أمامه بخطوات متمهلة تنضح بالغرور والكبرياء، وفي يدها يلمع سكين

ليزريّ كبير، وتوقفت تمامًا أمام الفريسة، وتراجع الساموز العشرة للخلف ليفسحوا لها المكان وهدأت الجماهير بعض الشيء في ترقب لما سوف تفعله.

رفعت "سيفا" وجهها لأعلى، وجالت بعينيها بين الجماهير بحثًا عن "كورني"، حتى توقفت عنده ورفعت إحدى حاجبيها، وأطلت من عينيها الشماتة والشراسة والسادية. تجمد "كورني" تمامًا ولم يطرف له رمش وهو يرقب ما سوف تفعله تلك المتوحشة بـ"باي" التي ترقد تحت قدميها، ودماؤها تغطؤ الأرض من حولها.

انحنت "سيفا" قليلًا، ولوحت بالسكين أمام عيني "باي" وهي تقول بشماتة: انظري، أحضرت لك هدية جميلة ستريحك من كل آلامك، فقط ضغطة زر صغيرة وتشعرين بتحسن.

وضعت "سيفا" السكين في كفها السليمة، لكن أصابع "باي" لم تتحرك، ولم تحاول حتى الالتفاف حول السكين،

هز "كورني" رأسه، وقال بصوت خنقه الانفعال: ستقتلها.. ستقتلها، يجب أن أفعل شيئًا، لا يمكن أن أتركها تموت بهذه الطريقة.

"إد" بأسًى: ليس بيدك حيلة. «كان يتحدث إليه وكأنما يكلم نفسه»

أنت عاجز تمامًا، انظر إليها، إنها أقوى منك بكثير، لديها الحرية والشجاعة لتختار الطريقة التي تموت بها،

عصرت كلماته قلب "كورني" عصرًا، وشعر وكأن دقاته تكاد تعلو على صوت صراخ الجماهير، وأخذت "سيفا" تدور ببطء حول "باي" الفريسة في انتظار أن تطبق أصابعها على السكين، لكن "باي" أبت.. أبت أن تستسلم لرغباتها السادية، تحركت عيناها حتى توقفت على السكين، ثم قلبت كفها بضعف شديد إلى الأرض ليسقط السكين معلنًا رفضها القاطع للانهزام والاستسلام للانتحار.

استشاطت "سيفا" غضبًا، وصرخت وهي تخطف السكين: أيتها الموهادز القذرة.

ثم أخفت أعصابها المشتعلة خلف قناع من البرود المغرور بمقدرة تحسد عليها، رفعت وجهها للجماهير وهي تدور في الحلبة وهي تهتف: هناك من يظن أن الموهادز بشر، انظروا، هؤلاء هم الموهادز ليسوا سوى قاذورات نسحقها بأقدامنا، رعاع، منحطين، ولدوا لنحيا ونرتقي، وجدوا لمتعتنا.

تأملها "كورني" بمقت شديد، وعيناها تلقي بسهام الكراهية نحوه، وهي تقول وكأنما تحدثه وحده وقدمها فوق صدر "باي" والمقت ينضح من كل خلية من جسدها: الموهادز تحت أقدامنا.

اشتعل المكان بصراخ الجماهير الهستيري: اقتليها.. اقتليها.

أومأت برأسها بغرور شديد وشماتة رهيبة، وأمسكت بالسكين بكلتا يديها ورفعته عاليًا استعدادًا لتسحق به قلب "باي"، أخيرًا تحرك "كورني"، وجرى نحو باب الشرفة وحاول فتحه بكل قوته، لكن الباب لم يستجِبْ،

جرى للاتجاه الآخر بكل قوته مقتحمًا الأجساد المتلاصقة حتى وصل إلى الباب الثاني، لكنه لم ينفتح أيضًا، نظر إليه "إد" بإشفاق وهو يجري بكل اتجاه محاولًا النزول من الشرفة إلى المسرح، لكنه فشل وهمس قائلًا: لقد أحكمت "سيفا" اللعبة حقًّا وغلّقت الأبواب.

تحركت متأخرًا جدًّا يا صديقي، أتظن أن باستطاعتك إنقاذها! يالك من بائس مسكين، مصيرك كمصير من سبقك، نهايتك المحتومة ضائعٌ في الفضاء على المقعد المجاور لي تحت جهاز الأشعة، فهذه الحياة المتوحشة لا تسع من لهم قلوب تنبض بالحب.

عادت عيناه ترقب "سيفا" التي بدأت تهبط بكلتا يديها نحو قلب "باي"...

"باي" التي اتسعت ابتسامتها برغم كل ما بها لتظهر بها روح الانتصار، تأملت "سيفا" ابتسامة الانتصار على وجه "باي" فجن جنونها وصرخت من الغيظ وهي تهبط بسلاحها بكل قوة وشراسة: أيتها القذرة.

ولكن...

توقفت "سيفا" فجأة، توقفت قبل أن يصل السلاح إلى قلب "باي"، فقد كان هناك شيء أسبق، شيء تعرفه هي جيدًا، وتعرف العلامة التي تلمع من جانبه... علامة قائد فريق.

عقدت "سيفا" حاجبيها بغضب وهي تتأمل ذلك الشيء الذي يغطي "باي"، ثم رفعت وجهها لتصطدم بـ"كورني" الذي وقف في طرف المسرح يلهث بشدة بعد تلك القفزة الهائلة من سور الشرفة العالية إلى أرض المسرح، تأملته بعينين تنضح منهما الكراهية، وصدره عارٍ بعد أن نزع سترته العسكرية وألقاها فوق جسد "باي" المحطم عندما خشي ألا يصل إليها في الوقت المناسب، صمت الجمهور تمامًا بترقب بعد تلك النتيجة الجديدة، ومال "إد" على سور الشرفة وأسند كفيه إلى حافتها وأضاءت وجهه تعبيرات جديدة ولمعت عيناه بالأمل.

أخيرًا نطق "كورني" بالتحدي: هذه الموهادز لي، هي الآن مختارتي، من يمد إليها أصبعًا سيكون عقابه وخيمًا، القانون صريح.

أخيرًا رحل بها "كورني" من ذلك المكان الخبيث وخلَّف وراءه وحشًا ساديًّا تضاعفت رغبته في الكراهية والانتقام حتى صارت كمارد عملاق يكاد يفتك بكل من حوله.

نظر "إد" برضا إلى صديقه الذي نجح فيما فشل فيه هو، وقال وابتسامته تتسع: أحسنت أيها الفتى، يجب أن تكون ممتنًّا لها فقد أنقذتك من مصير مظلم وعذاب لن ينتهي.

EEE

(6)

صرخات مشتعلة تأتي من كل مكان

هتافات ساخنة... تصفيق يصم الآذان

آلام... آلام.. آلام.

أنفاسها معلقة في صدرها المختنق لا تستطيع الدخول أو الخروج، كم هو قاس ذلك السجن الضيق، كان جسدها يزداد ضيقًا وإحكامًا على روحها الحبيسة، تريد أن تصرخ... لا تستطيع.

بدأ اللون الأسود يغزو كل شيء، ومن بين كل هذا السواد، تطل عينان أنثويَّتان تمتلئان بالكراهية والشراسة،

التماعة ضوء سكين ليزريّ يقترب من وجهها، ابتلع اللون الأسود كل الألوان والأشكال.

آلامها تزول تدريجيًّا. تشعر بخفة في جسدها، وكأن روحها حلت أخيرًا من قيودها، تطلعت عيناها نحو السماء، لم تكن كالسماء التي تعرفها، لقد ذابت الخطوط الليزرية الحمراء اللامعة السميكة، ولم يتبق سوى سماء سوداء جميلة تتزين بنجومها اللامعة، أرادت أن تلمس النجوم بأناملها.

شعرت أخيرًا بأن روحها تحررت، وتحلق عاليًا، تقترب من السماء، أو تقترب السماء منها، سعادة غريبة ذاقتها، ونشوى عارمة غمرتها، لأول مرة عبر سنين عمرها بأكمله تعرف الابتسامة طريقًا لشفتيها، ابتسامة سعادة كبيرة، لقد تذوقت أخيرًا طعم الحرية.

«عجبًا!! أنت تبتسمين، حقًّا تبتسمين»

انتفض جسدها بشدة، لم تعد خفيفة كما كانت، بل ثقيلة، ثقيلة، والآلام المبرحة تسيطر على كل جزء في جسمها،

فتحت عينيها فجأة وتطلعت مباشرة إلى السماء، بدأت دقات قلبها تتسارع، والضيق يكاد يخنقها عندما رأت الخطوط الحمراء اللامعة السميكة تغطي السماء، أدركت أخيرًا أن روحها السجينة عجزت عن الهروب من القضبان الحمراء، أغمضت عينيها والألم يكاد يقتلها... «هل أنت بخير؟»

فتحت عينيها ثانية وأدارت حدقتيها نحو صاحب الصوت المألوف، وتطلعت إلى وجه "كورني" القلق وهو يسأل بلهفة: هل تشعرين بأيّ ألم؟

لم ترد، كانت تحاول استيعاب الموقف، والإجابة عن كل الأسئلة التي تدور في رأسها... أين أنا؟ ماذا حدث؟ ما الذي أتى بذلك السامو هنا؟

أخذت تحملق فيه بصمت وهو يقول: لكم أشعر بالسعادة والراحة لأنك نجوت أخيرًا، الطبيب يقول إن عليك الخلود للراحة التامة والعلاج، وسوف تتعافين قريبًا.

بدأت تشعر بجسدها الموضوع في حقيبة طبية لدنة ومعلق به عشرات الأجهزة الطبية الصغيرة موزعة على كل جسدها لتراقب عمل أجهزتها الداخلية ومعدل سريان الدم، وترسلها على شكل نبضات لاسلكية إلى الجهاز الرئيسي في عيادة الطبيب المعالج المتابع للحالة.

تنهد بأسف: لم يكن أنا- صدقيني- لم يكن لي دخل بإيذائك، قد أكون السبب الرئيسي لما حدث لك، ولكني لم أدرِ.. صدقيني، أعدك أن ما حدث لن يتكرر أبدًا، أنت هنا في أمان.. أمان!!

تردد صدى الكلمة في عقلها كما لو كانت لا تستطيع أن تستوعب معناها، عقدت حاجبيها وظلت على صمتها

قال: هنا لن يستطيع أي إنسان الوصول إليك، فأنت الآن مختارتي.

ظلت تحدق به كتمثال أصم، دون أن تفتح فمها، أو يظهر على وجهها أيّ تعبير، كانت عاجزة تمامًا عن استيعاب ما يقوله، لكن الفكرة التي سيطرت على عقلها في تلك اللحظة، هي أن هذا السامو ليس طبيعيًّا على الإطلاق.

أخيرًا حررت وجهه من نظراتها عندما عادت تنظر إلى السماء من خلال سقف الحجرة الشفاف، وأخذت حدقتاها تروح وتجيء صعودًا وهبوطًا مع الخطوط الحمراء التي تغطي السماء، وبعد صمت طويل قالت: هل هذه هي سماء كوكب الساموز؟

قال باسمًا: بل سماء التابع فاست، أنت الآن في بيتي.

قالت وعيناها تتفحصان الخطوط الحمراء: كنت أعتقد أن كوكب الساموز وتوابعه المضيئة، سماؤه تختلف عن سمائنا، لكنهما متشابهتان إلى حد بعيد، فلهم نفس القضبان الحمراء السميكة.

رفع "كورني" عينيه بتلقائية، وتطلع إلى السماء، ثم عاد ينظر إليها: تقصدين النظام الأمني الدفاعي للكوكب؟

إن كان يضايقك أغلقت سقف الحجرة الشفاف وجعلته معتمًا، فقط اطلبي أيّ شيء.

تعجبت كثيرًا من كلماته الغريبة التي لم تسمع مثلها طوال حياتها، مما جعلها تقول ببطء: الموهادز تابع، وُجِدوا ليحيا الساموز ويتمتعون.

آلمته عبارتها أيَّما ألم، فقال مشفقًا: أرجوك لا تقولي هذا، لقد تغير كل شيء، سأعوضك عن كل معاناتك وآلامك، لن تعودي أبدًا إلى ما كنت فيه، لقد تحررت أخيرًا من كل قيودك، أنت الآن حرة... حرة!!

رددت الكلمة بصوت خافت وعيناها معلقة بالسماء، ثم قالت: لكن السماء لا زالت تمتلئ بالقضبان.

نظر إلى السماء وعقد حاجبيه وصمت تمامًا بعد أن عجز عن فهم عبارتها.

EEE

تماثلت "باي" للشفاء، وعادت عظامها تلتحم من جديد، واندملت جراح جسدها النحيل، وسعد "كورني" كثيرًا بشفائها، بل كان يعيش أروع لحظات السعادة، فقد هدأت نفسه واستقرت مشاعره، وتخلى عنه الحزن، كان يقضي معظم وقته في البيت، لم يكن يغادره إلا نادرًا بعد انتهاء عمله في التدريب، وبرغم صمت "باي" الثقيل حتى إنها قد تمضي الأيام دون أن تفتح فمها بكلمة واحدة، إلا أنه لم يكف لحظة واحدة عن محاولاته المستمرة لتحطيم حاجز الكراهية بينه وبينها، كان يحاول بإستماتة جذبها للحديث إليه وإخراج ما في صدرها من مشاعر أيًّا كانت، لم ييأس أبدًا برغم فشل محاولاته فشلًا ذريعًا، كانت "باي" صامتة تمامًا لا تتحدث إليه إلا نادرًا، بل ربما لا تنظر إليه أيضًا، حتى عندما تعافت وعادت تسير على قدميها من جديد، إلا أن لسانها لم يخرج من فمها مطلقًا.

"باي"..

وقفت في مكانها وظهرها إليه، اقترب منها ودار حولها ووقف قبالتها تمامًا، وأخذت عيناه تتأملان ملامح وجهها بعطف، وكما اعتاد منها لم ترفع عينيها أبدًا إلى وجهه، أبقت جفنيها مسبلين وعضلات وجهها متجمدة لا تتحرك.

قال باسمًا: أعلم أنك لن تجيبينني، ورغم هذا يكفيني أن تسمعيني، لن أكفّ أبدًا عن محاولة هدم الكراهية التي بداخلك، ولديّ أمل كبير أنني يومًا ما سأنجح، لن أيأس من طلب رفقتك حتى تصفحين وتقبلين بي رفيقًا لك،

وحتى لو لم تقبلي، يكفيني أنك هنا آمنة.. بجواري، لا أنتظر منك ردًّا، فأنا أعلم أنك لن تتكلمي، ولن تنظري إليّ،

يكفيني أن أنظر أنا إليك، سمع صوت جهاز الاتصال يصدر إشارات تنبيه.

تنهد بضيق: عليَّ المغادرة الآن، فهم يطلبونني على الكوكب لأمر عاجل.

أراد الرحيل، لكن قدماه لم تطاوعه، فظل واقفًا أمامها ينظر إلى وجهها وعينيها المسبلة، فجأة تحركت يده بشكل تلقائي واستقرت على وجهها وهو يبتسم.

مرر أنامله برقة على خديها وشعرها وهو ينظر إليها بحنان بالغ قائلًا: تغيرت كثيرًا، أصبحت أجمل، طال شعرك وكاد يلامس كتفيك، تبدل لونك وكاد الأزرق يختفي من وجنتيك، أصبحت أكثر شبهًا بفتيات الساموز

تنهد بإحباط عندما لم يتلق منها ردًّا أو أيّ انفعال بكلماته.

قال باسمًا وهو يرحل: سأعود سريعًا.

ظلت واقفة بعد رحيله كتمثال متجمد، فجأة التفتت خلفها واقتربت من الجدار ولمسته بأناملها في مكان محدد ليتحول جزء منه إلى مرآة عكست صورتها بوضوح، تأملت وجهها وبدأت تتحسس مكان أصابعه على وجنتيها فجأة عقدت حاجبيها بشدة وظهر تعبير غريب على وجهها.

EEE

شد "كورني" جسمه بقوة في وقفته العسكرية، ووجهه متجهم بشدة، لم تكن تتحرك فيه سوى قبضتيه اللتين استقامتا على جانبيه وهو يعصرهما عصرًا بغضب، وعيناه ترقبان الحاكم وهو يغدو ويروح أمامه يقرع الأرض بقدميه بغضب هائل وكأنما يفرغ فيهما غضبه، وهو يصرخ: ماذا أقول لمجلس الحكماء؟ وكيف أواجه شعب الساموز؟

ابني أنا، حاكم الساموز المستقبلي الذي من المفترض أن يكون قدوة لهم، يقدم على تلك الفعلة؟

وأمام كل هذا الجمع الغفير من شباب الساموز والزايانز؟

أين كان عقلك!

أتريد أن تضعني في موقف حرج مع الزايانز؟

لقد دمرت ببراعة علاقتك بـ"سيفا"

"كورني" بهدوء: لم يكن ممكنًا أن أرافق تلك المخلوقة السادية المتوحشة.

الحاكم بثورة: لقد فقدت عقلك بالتأكيد.

ألا تعلم من هي "سيفا"! هل هذا هو "كورني" الذي يقف أمامي؟

انقلب حالك، وأصبحت شخصًا آخر، وكل هذا بسبب حقيرة من سفلة الموهادز؟

"كورني" بثبات: تلك التي تدعوها بالحقيرة ستصبح يومًا ما رفيقتي.

تجمد الحاكم تمامًا من المفاجأة الصاعقة، ونظر إليه بذهول: ماذا تقول؟

"كورني" برجاء: اسمعني يا أبي، أنا لا..

قاطعه الحاكم بصراخ زلزل الجدران: لست أباك، أنا الحاكم، وأنت واحد من أفراد جيشي، إن لم تكن قادرًا على استيعاب واجباتك كحاكم الساموز المستقبلي، فعليك أن تخضع للأوامر كأحد أفراد جيش الساموز، واعلم جيدًا أنني لن أسمح لك بإفساد العلاقات بيننا وبين الزايانز، ألا تدري ما نحن مقدمون عليه؟، الوحدة بين الساموز والزايانز يجب أن تتم بأية وسيلة لنتعاون معًا في صد الخطر القادم، لدي معلومات مؤكدة أن الفرقاء من كوكب «سيا» يجمعون شتاتهم ليكونوا قوة جديدة ستغير ترتيب الكواكب في المجرة، وها هي البداية.. ثلاثة كويكبات متفرقة أعلنت الاتحاد، وليس هذا فحسب، بل اتفقا مع اثنين آخرين على وثيقة تحالف قوية، وسرعان ما سيكتمل الاتحاد والتحالف فيما بينهم ويعود لنا الماضي من جديد، هم يعملون بجدٍّ، وحاكم الساموز المستقبلي مشغول بإحدى سفلة الموهادز، حاكم الساموز إن لم يكن قويًّا وذكيًّا كما ينبغي فسيسحقه الساموز بأحذيتهم ويختاروا من هو أقوى منه.

قال وهو يضغط كلماته بغيظ شديد: إن لم تعد إلى رشدك وتلقي بتلك السفلية الحقيرة إلى تابع النفايات، أو الثقب الأسود فسأسحقك أنت وهي على السواء، وتأكد أنك إن لم ترافق "سيفا" فعليك أن تنسى أمر حاكم الساموز المستقبلي.

غادر "كورني" الكوكب، وكل ذرة في جسده تشتعل بالغضب، أصبح لزامًا عليه الآن الاختيار بين قلبه الذي ينبض بحب "باي" وبين حياته على كوكب الساموز، وحتى لو انتصر لحبه، فكيف يستطيع حمايتها بعد أن يفقد رتبته وموقعه المميز كابن لحاكم الساموز، وفي لحظة تذكر صديقه "إد" وحياته الشاردة الغريبة.

كان شاردًا يتطلع إلى السماء السوداء من خلال نوافذ مركبته، وعقله في الجانب الآخر من الكوكب في الجانب المظلم، ومن بين سواد السماء ظهرت خطوط حمراء سميكة لامعة ذكرته بـ"باي"، لكم تكره تلك الخطوط أو القضبان كما تسميها، وفي لحظة انتقل ذلك الشعور تلقائيًّا إليه، ووجد نفسه يكره تلك الخطوط، بل يكره اللون الأحمر، وشعر بضيق شديد يكاد يزهق روحه.

EEE

لم يتغيب "كورني" وعاد سريعًا كما وعد "باي"، لكنه كان يحمل وجهًا غير وجهه الباسم الودود، وروحًا غير روحه المرحة، ولم يبحث عن "باي" كعادته ليطمئن عليها، فهو في هذه اللحظة يتمنى أن يكون وحيدًا أكثر من أي شيء آخر، لكنه وجدها على غير العادة تجلس في بهو البيت، كانت تجلس بشكل غريب يثير الريبة، تجلس أرضًا في ركن مظلم ووجهها للجدار، كاد أن يتجاوز الأمر ويتجه إلى غرفته؛ فهو في حالة نفسية سيئة لا تسمح له بالتحدث إليها، لكن شيئًا ما رابه في مظهرها وجلستها الغريبة،

«باي» قالها بصوت يمتلئ ريبة، رفعت رأسها فاشتعل قلبه، فلم تكن تلك هيئتها التي تركها عليها، لقد زال شعرها تمامًا، التهبت أعصابه من المفاجأة واندفع إليها وأمسك بكتفيها وأدارها باتجاهه، استسلمت له والتفتت تواجهه وفي عينيها نظرات غريبة، أما هو فقد جمده الذهول من هول المفاجأة وهو يرى وجهها مشوهًا، وشعرها قد زال عن رأسها، ظل على صمته لا يحرك ساكنًا، لكن الغضب بدأ يغلي في عروقه ثم يجتاح ملامحه ووجهه، ولم تمضِ لحظات حتى تفجَّر غضبه حممًا مستعرة في وجهها، وتحول ذلك الإنسان الوديع الهادئ الودود إلى وحش شديد الشراسة، وأخذ يكيل لها الصفعات العنيفة والسباب الصارخ، وتلقت "باي" كل هذا العنف على وجهها وجسدها دون أن تحاول أدنى محاولة صد هجومه الشرس، أو حتى تفادي صفعاته العنيفة التي أدمت وجهها من جديد، استفزه بقوة عدم قيامها بأية ردة فعل تجاهه أو اتقاء شره، فضاعف ذلك من غضبه، وأخذ يصرخ في وجهها: أيتها الحقيرة السافلة، من تظنينني؟ أتعتقدين أنك بهذا ستحمين نفسك مني؟ هل صوَّر لك عقلك أنك ستجبرينني أن ألفظك إلى القمامة التي أتيت منها؟، رغمًا عن أنفك أيتها الحقيرة لن أنزل إلى دناءتك ووضاعتك، لو أردتك لنفسي لكنت أول المشاركين في حفل العبث، بل لصنعت منك حفلًا لي وحدي.

ضغط أسنانه بغيظ شديد: كيف تنظرين إليّ؟

صفعها صفعة عنيفة ألقتها على وجهها، وأسالت الدماء من شفتيها وهو يكمل بغِلٍّ: أترينني سافلًا، حقيرًا، وحشًا، ساديًّا، مقيتًا، أتعتقدين أنني...

«ساموز»

نطقت بالكلمة بصوت خفيض يكاد يسمع، لكن كان له دويُّ الانفجار في عقله، أجابته بالكلمة التي أخرسته تمامًا وجمدت خلاياه، استندت بكفيها على الأرض والتفتت إليه وفي عينيها كراهية لا مثيل لها، أفاق من غضبه الهائل على نظرات الكراهية القاسية التي تملأ عينيها ووجهها المغطى بالدماء بفعل صفعاته العنيفة، رفع أصابعه الملوثة بدمائها أمام عينيه، وهو يرتجف ويلهث من أثر الانفعال الشديد، لقد أدرك أخيرًا كيف تنظر "باي" إليه؟، وكيف هي مشاعرها نحوه؟، وفي لحظة شعر بالعجز عن مواجهتها فالتفت إلى الجدار؛ ليتجنب قسوة نظراتها النارية، واستند بكفيه إلى الجدار فتحول جزء منه دون قصد إلى مرآة، فأغمض عينيه بألم حتى لا يواجه ذلك الوحش المقيت الذي أخرجته "باي" من تحت جلده.

EEE

(لا أدري كيف أتصرف؟ لأول مرة في حياتي أشعر بكل هذا العجز والإحباط)

قال "كورني" وهو في حجرة أمه، والحزن والندم يكاد يقتله.

أكمل بألم: استفزتني لدرجة أنها أخرجت من داخلي وحشًا شرسًا لم أكن أتخيل أنه موجود، كنت أظن أننا أصحاب الحضارة المتقدمين المتمدِّنين نحمل بداخلنا مخلوقات إنسانية راقية، لكن في أول مواجهة حقيقية سقط القناع، لم يكن سوى مجرد قناع نخفي به دناءتنا وخستنا، ذلك الوحش الذي يسكن بداخلي لا يختلف أبدًا عن أيّ وحش آخر داخل شباب الساموز أوالزايانز في المسرح، أو حتى الموهادز الرقباء، أدركت أخيرًا أنني لست بأفضل منهم، فكلٌّ منا يحمل قناعًا يخفي به ذلك الوحش القابع في أعماقه، ويجمِّل به صورته أمام الآخرين.

وضعت الأم كفها على كتفه مواسية، ولم تجد سوى دموعها تعبر بها عن مدى شفقتها وألمها لأجله.

التفت إليها ببطء، ونظر في عينيها بأسى: ما الذي فعلوه بنا يا أمي؟ كيف تردَّيْنا إلى تلك الدرجة المزرية

لا أفهم كيف يخرج وحش مثلي من نطفة أرق إنسانة في الوجود!

قالت بحنان وهي تغالب دموعها: تذكر دائمًا يا بني أنك بشر يخطئ ويجرم، ويعود ويندم، طالما مازلنا أحياء تتردد أنفاسنا في صدورنا، إذًا لا زال هناك وقت نصلح فيه ما أفسدناه.

صمت "كورني" متأملًا في كلمات أمه التي هدَّأت قليلًا من روعه، ثم قال بعد تفكير: أصبحت بين خيارين، أو بمعنى آخر وضعني الحاكم في موقف لا أستطيع أن أتملص منه، حياة "باي"، أو أطرد من الكوكب وأحرم

من كل ما أتنعم فيه من ميزات، لكن هذا أيضًا لا يضمن لي حياة "باي"، فعندها لن أكون قادرًا على حمايتها.

قال برجاء: أنت الوحيدة القادرة على إنقاذي من هذا الموقف، فمن يستطيع أن يؤذي واحدة من مختارات رفيقة الحاكم؟

الأم بدهشة: تقصد أن...

قاطعها بلهفة: نعم، أريدك أن تختاريها لتكون في خدمتك، إنها الوسيلة الوحيدة التي أستطيع بها إنقاذ حياتها.

ظهر الأسى في ملامحه: تمنيت لو كانت الأمور تسير بشكل مختلف، أعلم أن هذا سيحرمني منها إلى الأبد، ولكنها ترفضني، بل تكرهني، وتعمل جهدها لألفظها إلى «فايري»، والآن أصبحت مسؤلًا عن حياتها وسلامتها، يجب أن تبقى في أمان يا أمي.

نهض من مكانه وتوجه إلى الباب بسرعة وهو يقول: لقد أحضرتها معي، انتظري حتى ترينها.

تأملته الأم بمزيج من الدهشة والإشفاق، وهو يتغيب لحظات ويعود وهي خلفه بملامحها الجامدة المتجهمة في وجهها المشوه وصمتها المستمر، تأملتها الأم طويلًا بصمت، وبادلتها "باي" النظرات الصامتة، حتى تكلمت الأم أخيرًا وهي تمد لها كفها وتشير إلى الحديقة التي في حجرتها: تعالَيْ.

نظرت "باي" إلى كفها الممدودة ولم تتكلم، لكنها تبعت الأم إلى الحديقة.

تأملهما "كورني" وتنهد براحة وهو يسترد بعضًا من هدوئه، ثم رحل مطمئنًا، وعاد إلى التابع فاست يمارس عمله المعتاد، ويحيا حياته الرتيبة كواحد من أفراد جيش الساموز، لكنه كان يفتقد شيئًا كبيرًا للغاية، كان يفتقد "باي"، شيء ما بداخله يجذبه بشدة نحوها، حتى لو بقيت على صمتها، حتى لو كانت نظراتها في كل لحظة تنضح بالغضب والكراهية، حتى لو حلقت شعرها وشوهت وجهها لا زال يشتاق إليها، ولا يطيق صبرًا على فراقها، لقد اعتاد بالفعل على وجودها، عاد مسرعًا إلى الكوكب، واتجه مباشرة إلى حجرة أمه، وسألها بلهفة: أين هي؟

قالت الأم بهدوء، وهي تحاول شغل يديها وعينيها بتنسيق زهورها حتى لا تواجه نظراته: رحلت.

هتف بحدة: رحلت! كيف؟ ولم تركتِها ترحل؟

قالت دون أن تنظر إليه: لا يمكنني إبقاءها دون إرادتها، قد يفعل هذا غيري أما أنا فلا، لقد خيرتها فاختارت الرحيل.

هتف بانفعال: لكن حياتها في خطر داهم، "سيفا" لن تتركها أبدًا، أصبح وجود "باي" ساحقًا لكرامتها وأنوثتها، لن تنسى أبدًا أنني رفضتها من أجل واحدة من سفلة الموهادز.

تعمدت أن تبقي ظهرها إليه حتى لا يرى تعبيرات وجهها: عليك أن تنساها فهي تكره الساموز، وترفض البقاء هنا أو في أي مكان يعيشون فيه.

قال بدهشة: ولكن لماذا؟ لماذا تسعى للموت؟ لماذا تقبل لنفسها حياة دنية كحياة السفليين، وترفض أن تتنعم هنا مع المختارين؟

قالت الأم ببطء: ربما.. ربما كان قلبها مشغولًا.

عقد حاجبيه بدهشة وقال بتفكير: تقصدين أن قلبها معلق بشخص ما من الموهادز، وترفض البقاء بعيدة عنه؟

حاولت أن تخفي الألم في صوتها وهي تتنهد: لكل قلب أسراره.

غادر "كورني" المكان والتفتت الأم أخيرًا تنظر إلى الباب المغلق؛ حيث خرج وحررت دموعها التي أخفتها طويلًا وهي تعتصر بين كفيها زهرة بيضاء صغيرة، ودون أن تشعر سحقتها تمامًا.

وصل "كورني" إلى تابع النفايات، وصعد التلة قفزًا؛ حيث تجلس "باي" وحيدة كعادتها، نظرت إليه بصمت ثم أدارت وجهها.

جلس بجوارها وهو يسألها مباشرة: لماذا غادرت الكوكب؟

لم ترد ولم تلتفت إليه كعادتها، فاستمر في حواره من جانب واحد: أعلم كم تكرهين الساموز لكن المسألة الآن اختلفت، فحياتك باتت مهددة، هناك من يسعى بإصرار لقتلك.

تنهد بمرارة: إنّ كل ما أريده هو أن تحيي بسلام دون أن يمسك أحد بسوء، أنت تستحقين حياة أفضل.

إنتظر أن تلتفت إليه أو تبْدُر منها أية حركة تدل على أنها سمِعَته، لكنها لم تفعل، فقال بحزن: صدقيني، إننى أحمل لك في قلبي مشاعر كثيرة، لن أقبل بأن يؤذيك أحد، كما لا أتصور أبدًا أن تعودي لحياتك البائسة وتتعرضين كل يوم لحفلات العبث السادية.

أخذ يراقب ملامح وجهها لعله يحظى بتعبير ما أو تتحرك أية عضلة في وجهها، أكمل بصدق: أنا أعرض عليك أن تحيي معي حياة هادئة آمنة، أعرض عليك الحب والسلام والأمان والراحة والسعادة، أعرض عليك الحرية.

ظهرت رجفة خفيفة في عضلات وجهها أحيت الأمل في قلبه وأشعرته أن كلماته بدأت تؤثر فيها، فكرر كلماته بصوت يمتلئ بالمشاعر وبصدق أكبر، وبرغم أنها لم تلتفت إليه إلا أن ملامح وجهها بدأت تلين ويظهر التأثر في عينيها، وبدأ يشعر باقتراب نجاحه، وبدا متأكدًا أنها لن ترفض، كان يعرض عليها كل ما يتمناه الإنسان السلام والأمان والراحة والحرية والحب.

أكمل بحب: أرجوك وافقي، فلن تندمي أبدًا، ما الذي يمكن أن تخسرينه؟

بدأ وجهها يتحرك إليه ببطء، ولأول مرة تنظر إلى عينيه، كان الصدق والحب يشع منهما وهو ينتظر ردها بلهفة.

قال عندما شعر باقتراب ما يتمناه: "باي"، هيا قوليها، أرجوك.

انفرجت شفتاها ببطء وظهر التردد في ملامحها، وشعر "كورني" وكأنها تصارع شيئًا ما بداخلها، تحرك لسانها وبدأت تتكلم بتردد: أنا..أنا.. أوا..

«باي»

انتفضت فجأة على اسمها يناديه صوت شديد الألفة لأذنيها، التفتت نحو الصوت ورأت شبح شخص قادم من خلف أحد التلال القريبة يخترق الضباب، وبرغم أن الضباب أخفى وجهه، لكنها عرفته من صوته، هبت قائمة ولمعت عيناها بقوة وهي تهمس بانفعال: شاهي!.

نظر إليها "كورني" بدهشة وعجب من تبدل ملامح وجهها وصوتها، ثم نظر إلى ذلك القادم من خلف الضباب

انطلقت "باي" تجري نحوه بكل قوتها ونسيت أي شيء آخر، وأخذت تصعد التلة قفزًا وألقت نفسها بين ذراعيه في عناق حميم هبت حرارته على وجه "كورني" لتنزل على قلبه تحرقه حرقًا، والحسرة والألم يحفران ملامحه وكلمات أمه تدوِّي في أذنيه «لكل قلب أسراره»

«شاهيي»

همست "باي" في أذنه بحب كبير، وبصوت يمتلئ بالدموع

«كدت أرتكب أكبر خطأ في حياتي، كدت أفقد آخر ما بقي لي من قدرة على المقاومة».

كان الدمع يغمر عينيها، وذراعاها تطبقان حوله خشية أن يفارقها من جديد، وقالت بحسرة: كم كنت بحاجة لرؤياك، كدت أنهار، أحتاج لصوت عقلك يرد إليَّ عقلي، أحتاج لساعدك أتقوَّى به.

ضمَّها بحنان كبير وربت على ظهرها ورأسها وقال: هيا لنعد إلى البيت.

انسحب "كورني" من المكان يترنح من آلام الهزيمة والإحباط بعد أن رآهما يغادران متعانقي الأيدي، والحب يحيطهما بهالته، لقد فقدها إلى الأبد، وليس هناك قوة في الكون يمكن أن تعيدها إليه.

EEE

(7)

وصل "كورني" إلى الكوكب، إلى بيته، إلى أمه، ذلك المخلوق الوحيد في هذا الكون الذي يحبه بصدق،

ضاقت عليه مركبته، ضاق عليه الكوكب على وسعه، بل ضاق عليه الكون بأسره، لم يتسع له سوى قلب أمه،

أخذ يستعيد ذكرياته ويجتر أحزانه وهو مستند إلى إحدى الشجيرات الصغيرة في حديقة أمه: الآن فقط فهمت كلماتك عن أسرار القلوب.

ولكن.. هل ما رأيته كان وهمًا أم حقيقة؟ أهناك حبٌّ كهذا؟ أي حب هذا الذي تضحي من أجله بكل شيء؟ إنني أحسده. نعم، برغم كل ما يقاسيه الموهادز في هذا الكون إلا إنني أحسدهم، بل أحسده على وجه الخصوص، ذلك الذي...

قطع كلامه وتنهد بحسرة، ثم قال: إنهم يعرفون كيف يحبون، يقاسون أهوالًا تجمد أشد القلوب، أهوالًا تسحق أقوى القلوب، يكرهوننا بعنف، لكنهم يحتفظون بالحب في قلوبهم بمكان خفيّ لا يراه سواهم، ولا يمنحونه إلا لمن يحبونه بصدق، لكم تمنيت أن يحبني أحد ما بهذا القدر،

يحبني أنا "كورني" وليس ابن الحاكم!، مستعد أن أدفع عمري كله فقط لأشتري به بعضًا من حبها الذي أغدقته بلا حساب على ذلك ال....

لم تشاهدي كيف بدلها الحب من مخلوقة باردة قاسية متجمدة كريهة، إلى قلب يمتلئ بالمشاعر والعاطفة!!.

قالت بأسى: لا تحسدهم، فهم يكابدون أهوالًا لا نطيقها نحن، نعم يحبون، يحبون بملء قلوبهم، لكن في لحظة واحدة قد يصبح حبهم ذكرى.

التفت إليها وقال ببطء: "إد" أيضًا حبه الكبير أصبح ذكرى.

زفرت بمرارة: أخبرتك من قبل أن تبتعد عنها فلن تستطيع شيئًا لأجلها.

قال بصدق: ولكن يا أمي لم أعد أريد حبها، إن كل ما أريده الآن أن أنقذها.

قالت بتأكيد: أنت على وجه الخصوص اقترابك منها يعني هلاكها.

قال بعناد: ولكني ابن حاكم الساموز.

قالت بشرود: لهذا يجب أن تبتعد عنها.. لأنك ساموز.

بهت "كورني" من أسلوب أمه وهمس بذهول: أمي، أتكرهين الساموز؟

لا يدري لم قال هذا، لكن طريقة أمه في الحديث أوحت له بهذا، أفاق على صوت جهاز اتصاله ينبئه أن الحاكم يستدعيه على الفور.

انطلق إلى حجرة الاجتماعات السرية، وهناك وجد بانتظاره "دافي" و"سيفا"، وبدأ "دافي" الحديث دون مقدمات: لقد استطعنا التوصل إلى حقيقة الجمريين.

هتف "كورني" بضيق: الجمريين.. الجمريين! أليس لديك عمل سواهم؟ هناك أشياء أخرى أشد خطرًا على أمن كوكبنا من عصابة صغيرة لا تجيد سوى التهاوش بمجموعة مركبات قديمة متهالكة.

قال "دافي" ببطء وعيناه تضيقان: مثل ماذا؟

مثل تحالف مجموعة كواكب «سيا»،هؤلاء هم عدونا الحقيقي، مثل حفلات شباب الزاينز والساموز السادية المجنونة التي تحطم أرواحهم وتمسخهم إلى مجموعة من البائسين المحطمين لا نفع لهم.

ارتسم تعبير شرس على وجه "سيفا" وامتلأت عينا الحاكم بنظرات اللوم والاستنكار، أما "دافي" فقد قال بهدوء: أحترم تمامًا وجهة نظرك، وأحب أن أطمئنك بالنسبة لاتحاد كواكب «سيا»، فهناك فريق كامل يعمل على تلك القضية ومجهز بأفضل الوسائل والتقنيات، وأما حفلات العبث فيمكنك إحالة الأمر إلى عالم من علماء الاجتماع ربما يفيدك، أما أنا فالجمريُّون هم اختصاصي، ولقد كلفت رسميًّا من قِبَل حكومة الزايانز وحكومة الساموز بتولي أمرهم، ومعي فريق من أمهر العاملين في الأمن، وكما تعلم لم أفشل في أية قضية توليتها، ولا أنوي أن أفشل الآن.

كانت "سيفا" تستمع إلى الحوار وهي تهز ساقها بعصبية كبيرة، وفي عينيها نظرات الحقد والكراهية.

صمت "كورني" مكرهًا، وتابع "دافي": والآن.. أين كنا؟ نعم، لم نبدأ بعد، كنت أقول إننا تمكنا من التعرف على هوية الجمريين.

ضغط زرًا في الطاولة التي أمامه لتتكون في الفراغ الذي فوق الطاولة صورة نقية واضحة ثلاثية الأبعاد مكبرة لكفَّيْن مفتوحين.

"دافي": تأملا جيدًا في هذه الصورة.

أخذت "سيفا" تنبش بقوة في ذاكرتها التي استثيرت لمرأى هذين الكفين، كانت تحاول اكتشاف أين ومتى رأت كفَّيْن مماثلين!.

أما "كورني" فقد عرف على الفور هذين الكفين.

"دافي": أريدكما أن تحفظا تلك الصورة جيدًا، فهذه صورة لكفين لأحد الجمريين.

عقد "كورني" حاجبيه، واشتعل قلبه بالقلق لكنه ظل صامتًا محاولا إبداء الهدوء وهو يستمع لـ"دافي" وهو يكمل: من خلال اعترافات لبعض الجمريين الذين سقطوا بين أيدينا ومن خلال بحث القرائن عرفنا أن هذه هي العلامة المميزة والموحدة للجمريين، فكل الجمريين رجالًا ونساء يشتركون في هذه العلامة التي أطلقنا عليها الكف المحروق، فكلهم يحملون ذلك الكف المحروق.

"سيفا" باهتمام: وماذا تعني هذه العلامة؟ ولِمَ هي موجودة في أكفهم؟

انطلق "دافي" يشرح بتأنٍ كما لو كان أحد العلماء: منذ أزمنة بعيدة تقترب من تاريخ الهجرة إلى الفضاء والساموز يحاولون بشتى الطرق ترويض الموهادز، وتعليمهم السلوك الحضاري والأخلاق الراقية، ونجحنا مع الكثير منهم وحوَّلناهم إلى مختارين يشاركوننا الحياة على سطح الكوكب ويتنفسون هواءنا ويأكلون طعامنا، وبعضهم روَّضْناهم بالقسوة، وحولناهم إلى جنود تابعين لنا، وعملهم الأساسي أن يكونوا رقباء على الفئة الثالثة، وتلك الفئة الثالثة هم فئة الموهادز السفليين وهي الفئة التي فشلت معها كل أساليب الترويض، تلك الفئة أعيتنا الحيل معها، فاضطررنا إلى تركهم في أحد التوابع تحت سلطة الرقباء وحوَّلنا طاقاتهم التخريبية إلى أعمال مفيدة كاستخراج وتصنيع بلوسترونج، ورغم رقابتنا الشديدة عليهم وحرصنا الدائم على كسر روح التمرد فيهم وأن يكونوا دائمًا هادئين، لكنهم وبصورة ما وبعيدًا عن رقابتنا المشددة استطاعوا تجميع أنفسهم وتنظيم صفوفهم، ونتيجة لذلك وضعوا لهم ميثاقًا سريًّا وقانونًا لايعرفه غيرهم، يتوارثونه من جد لأب لابن. قانون مستقل يختلف عن قانون الساموز، بل ويعارضه في الأغلب، ويبث فيهم روح التمرد والتحدي ويشعل الثورات التي لا تخمد أبدًا، مما يشكل خطرًا كبيرًا على أمن واستقرار الكوكب.

قال "كورني" بشرود: ولكن كيف يحفظونه كلَّ هذا الزمن الطويل، وفي ظل هذه الظروف التي يعيشونها؟

لم يلاحظ "كورني" نظرات الحقد والاشمئزاز التي أغرقته بها "سيفا".

أما "دافي" فقد أجاب بسخرية: اجتمع شيوخ الموهادز معًا- كما لو كانوا مجلس حكماء الكواكب- وقرروا أن يحفظ كل فرد من الموهادز هذا القانون في عقله حفظًا تامًّا، وكل من ينجح في هذه المهمه عليه أن يجري اختبارًا للقوة والتحمل ليضمنوا مدى ولائه لقانونهم واستعداده للدفاع عنه وعن ما يحمله في عقله، وإذا ما اجتاز الاختبار بنجاح، يبدأ المرحلة الأصعب وهي نقله إلى عشرة من الموهادز غيره حتى يحفظوه ويصيروا من الجمريين، ويستمر الأمر حيًّا بينهم إلى الأبد، وقد يستغرق عمره بأكمله في تلك المهمة.

"كورني" بدهشة: ولكن لِمَ عشرة بالتحديد؟

هز "دافي" كتفيه: لا أدري، قد يكون الأمر مرتبطًا بشيء معين في قانونهم، عمومًا هذه النقطة لن تهمنا كثيرًا، حتى قانونهم نفسه لا يهمنا أن نعرفه؛ فهو لا يتعدى مجموعة من الأكاذيب والترَّهات، حتى أنهم صنعوا له لغة مخصوصة لا يفهمها غيرهم، لكن ما يهمنا حقًّا هو أنهم يصدقونه ويؤمنون به إلى درجة أن حياتهم نفسها لا تهمهم قدر هذا القانون الغريب حتى أنهم قادرون على تحمل ذلك الاختبار القاسي الذي وضعه أجدادهم، ففي وسط طقوس غريبة يأتون بمن حفظ القانون، ثم يأتون بصخر درجة حرارته مرتفعة إلى درجة الاحمرار ويجبرونه على أن يطبق يديه على الجمر المشتعل فإذا ما تحمل الألم وصبر عليه يصبح من الجمريين وتظل

تلك العلامة إلى الأبد في كفيه تذكره دومًا بأنه من الجمريين، وأن واجبه في الحياة أن ينقل ما تعلمه إلى مَن بعده وتحويل غيره إلى جمريين.

تلك الممارسات الشاذة قائمة من أزمان بعيدة، دائرة لا تنتهي وخطر ينبئ بانفجار قادم لامحالة، طقوس عجيبة أخرجت لنا جيلًا من الموهادز لا يعرف الخوف، عصابة تؤرقنا ليل نهار، لا نعرفهم ولا نعرف أين يختبئون ولا من أين يخرجون لنا، حتى الموهادز الذين اعترفوا لا يعرفون، يأخذون حذرهم حتى من بني جلدتهم.

علينا وضع نهاية سريعة لهذا الخطر، وتلك مهمتكما معًا.

قال "كورني" بنفاذ صبر: هلَّا أخبرتنا ما هو المطلوب الآن؟

تأمله "دافي" قليلًا بصمت وابتلع غضبه وقال متظاهرًا بالهدوء: المطلوب هو إلقاء القبض على كل من يحمل مثل هذين الكفين، واستجوابه بكل الطرق، وعليَّ أن أقول إنه لا حدود للمسموح به مع فئة كتلك تهدد أمن الكوكب فعلينا استخراج كل المعلومات اللازمة منهم حتى نتوصل إلى مكان الجمريين المحاربين.

"كورني" باستهزاء: ولم لا تنسف التابع «فايري» بكل من فيه إن كان مجموعة من النساء والشيوخ والأطفال هم من يؤرقونك؟

"دافي" ببرود شديد: لا زال الوقت مبكرًا على تلك الخطوة، التابع «فايري» لا يهمني أمره، فغالبية من عليه ليسوا من الجمريين المحاربين،

فكل من يتحول إلى جمري وينهي ما اتفق عليه شيوخ الموهادز، يغادر التابع إلى مكان لا يعلمه أحد، فالجمريّون المحاربون يتمتعون بالحرص الشديد والتفكير الخبيث، كما أن هناك خطرًا آخر لم ننتبه إليه وهم المختارون الذين يعيشون معنا على سطح الكوكب وتوابعه المضيئة ويتجولون بيننا بحرية، هؤلاء خطرهم عظيم؛ فالكثير منهم يساعد عصابة الجمريين، وبعضهم يعمل جاسوسًا لحسابهم ويمدهم بمعلومات عنا وعن الكوكب، وربما يعرفون مكانهم؛ لذا فعلينا القبض على كل مخلوق على سطح الكوكب وتوابعه يحمل في كفيه هذه العلامة.

خرج "كورني" بعد انتهاء الاجتماع بخطوات سريعة صارمة وكأنما يسابق الزمن قبل أن تقع الكارثة وكلمات "دافي" تحاصر أذنيه: أريد إنهاء هذا الأمر على وجه السرعة، وبمجرد أن نعرف مكان عصابة الجمريين سأقضي على كلِّ من تحمل كفاه هذه العلامة في جميع أنحاء الكوكب وكل توابعه المضيئة والمظلمة.

كان صوت أفكاره عاليًا لدرجة أنه عجز عن سماع "سيفا" وهي تصرخ وتناديه بغيظ مهرولة خلفه، لكنه كان قد سبقها بمسافة كبيرة، فيئست من أن يرد عليها مما ملأ روحها بالسخط والانتقام عليه.

EEE

«سامحني»

قالها "شاهي" بصوت يقطر أسفًا وندمًا، وعندما لم يتلقّ أية إجابة كرر بندم أكبر: أرجوك سامحني، لا يمكنني الحياة وأنا أعلم أنك غاضبٌ علي، أتوسل إليك أن تعفو عني.

قالت "باي" بإشفاق: سامحه يا أبتِ، فقد مضى وقت طويل بالفعل.

ألقى الأب قطع البلوسترونج من يديه إلى الطاولة والتفت إليها ووجهه يمتلئ بالصرامة والجمود: لقد خالف العهد وعليه أن يدفع ثمن ذلك.

"شاهي" بألم: كنت مضطرًا، سامحني، كما أنني لم أرتكب ذنبًا كبيرًا فهذا العهد وضعه الأجداد وليس لزامًا علينا اتباعه بحذافيره، وقد يأتي اليوم الذي نستطيع فيه أن نعلن عن قانون الموهادز دون خوف، وعندها لن نكون بحاجة إلى العهد الذي قطعه الأجداد ولا..

قاطعه الأب بصرامة: ليس لي أن أتحدث عن المستقبل فهو غيب لا نعرفه، لكن الحاضر يقول إنه لولا العهد الذي وضعه الأجداد للحفاظ على كياننا كموهادز لمُحِيَ قانون الموهادز من الوجود من أزمان طويلة، ولم يصل إلينا الآن، ولم نصبح "موهادز" لنا هويتنا وأفكارنا وقانوننا الخاص، لقد حافظ الأجداد على قانون الموهادز بأرواحهم وبالعهد الذي قطعوه على أنفسهم قبل خلفهم، نجحوا في توصيل الأمانة إلينا، وواجب علينا التزام العهد والحفاظ على قانون الموهادز، ونقله إلى من

بعدنا، لولا هذا العهد لم يصبح هناك جمريّون محاربون، ولم تصبح أنت "شاهي".

قال بأسًى: شهيد يا أبي، شهيد هل نسيت اسمي!

التفت إلى "باي"، وكأنما تذكر شيئًا: هل قمتِ بتعطيل كاميرات المراقبة حتى أرحل؟

هزت رأسها بالموافقة: نعم ككل مرة تأتي فيها إلينا.

تنهد ومسح وجهه بحزن وقال لأبيه: كنت مضطرًا للرحيل، لم يعد بإمكاني الصمود أكثر، لو كنت بقيت لربما كنت فقدت عقلي.

الأب بجمود: أنا لم أطلب منك البقاء طوال عمرك، فقط حتى تنجز العهد، وبعدها لتذهب حيث تريد كما فعل إخوتك.

صرخ "شاهي" والذكريات الأليمة تهاجمه من جديد: ما كان بإمكاني الانتظار، لقد تبقى لي أربعة، عليَّ أن أنقل إليهم ما تعلمته، وهذا سيستغرق زمنًا طويلًا، ما كان باستطاعتي البقاء بعد ما حدث.

غيَّمت سحابة من الحزن الجارف على كل من في المكان، وصمت الجميع يملأ حلوقهم المرار، وترقرق الدمع في عيني الأم، وأطرق الأب بصمت، واعتصرت "باي" عينيها بحسرة.

هتف "شاهي" بتوسل: أرجوك يا أبي، سامحني إنّ غضبك عليَّ

يسحق قلبي، ماذا لو قُتِلت في أية مهمة نقوم بها قبل أن تصفح عني؟ لا يمكنني تخيل ذلك، الجمريون المحاربون تقبلوني بينهم.

شعر بالضيق الشديد عندما لم يتلقّ ردًّا؛ فهتف بحدة: يا أبي، العهد سيستمر بي أو بدوني، لن يتغير حال الموهادز بإنجازي العهد أو مخالفته، فالحياة ستستمر بي أو بدوني.

الأب بصرامة: مخطئ، أنت بمخالفتك العهد تفتح الباب لمن بعدك أن يخالفوه، وبدلًا من أن تكون واحدًا سيليك العشرات ليصبح ما حافظنا عليه كلَّ هذا الزمن في طيِّ النسيان، لكنك لم تفهم، قضيت عمرك كله وحتى الآن لم تفهم سبب وجودك في هذا الكون، وهو أن تحافظ على قانون الموهادز، وبالتالي تحافظ على حياتك قدر ما تستطيع حتى تنقله لمن بعدك، وهذا هو الهدف من العهد أن يظل قانون الموهادز حيًّا فينا لا يندثر أبدًا كما اندثر كل شيء له علاقة بالموهادز، لن أسمح أبدًا بضياع قانون الموهادز فيما بيننا وأنا حيي.

اتجهت نظراته إلى "باي" وهو يؤكد بتصميم: لن أسمح لك بهذا.. ولا لغيرك.

شعرت "باي" بالاختناق، وزفرت بضيق شديد، لكن الأب لم يبالِ وهو يكمل: لو سامحتك فأنا أفتح الباب لغيرك ليفعل ما فعلته، وهناك من يتمنى تلك الفرصة.

هتف "شاهي" بغضب: أتعاقبني؛ لأنني أصبحت من الجمريين! أكنت تسامحني لو أنني تركت الأمر برمته ورفضت أن أصير جمريًّا من البداية؟

ذهل "شاهي" تمامًا عندما قال الأب بحزم: ومن قال إن لك حق الاختيار!.

تكلم الجد المستند إلى الجدار وهو مغمض العينين وكان يظنه الجميع نائمًا: من أزمان بعيدة أخبرني جدي عن زمن التهجير.

صمت الجميع يستمعون للقصة للمرة الألف، واعتبروها فرصة لأخذ هدنة من المناقشة المرهقة للأعصاب، والتخلص من التوتر العنيف الذي سيطر على المكان، وأكمل الجدُّ حكاياته: عندما هبط الموهادز على سطح كوكب الساموز، كانوا يحملون معهم أوعية عديدة يحفظون بها قانون الموهادز، أوعية كثيرة منها ما يسمعونه بآذانهم ومنها ما يملئون منه عيونهم، وحاولوا قدر جهدهم الحفاظ على ذلك الكنز الذي لا يمتلكون سواه، وبمجرد أن اكتشف الساموز تلك الأوعية وخطرها الشديد عليهم دمروها تمامًا، وظنوا أنهم بهذا قد أحكموا سيطرتهم على الموهادز، وتحكموا في عقلهم وأفكارهم، لكن تبقى وعاءٌ واحدٌ عجزوا عن تدميره.... أشار إلى رأسه وطرقها بإصبعه عدة مرات، لهذا تعاهد الموهادز وأقسموا على الحفاظ على قانون الموهادز حتى لو فَنَوْا عن آخرهم في سبيل ذلك، ومن أجل ذلك وضعوا هذا العهد وألزموه أنفسهم ومن بعدهم، وحتى الآن

وبعد كل هذا الزمن نجحوا في إنجاز العهد والحفاظ على قانون الموهادز، سلبوا منَّا كل شيء مالنا، أبناءنا، أجسادنا، حريتنا، ولم يتبقَّ لنا سوى هذا الكنز، عجزوا أن ينتزعوه منا، وسنظل نحفظه لمن بعدنا.

مضت فترة صمت طويلة بعد أن سكت الجد، وكلٌّ عقله في وادٍ، حتى تكلم "شاهي" والحزن يلف كلماته: أبي، يجب أن تقدر مشاعري، لقد حاولت، أقسم بالله أنني حاولت، لكني لم أستطع، الأمر كان فوق طاقتي.

"باي" برجاء: سامحه يا أبي، أنت تعلم أنه كان أكثرنا قربًا لـ...

صمتت قليلًا بعد أن طافت بها ذكرى أليمة، ثم ابتلعت ألمها وأكملت: لتوأمه.

قال "شاهي" والدمع يغزو مقلتيه وعقله يعجز عن الهروب من الذكرى الأليمة: لم أتحمل أن أراها وهي تموت أمام عيني بتلك الطريقة البشعة.

قال الأب ببطء ووجهه يُنبي ملامح كالصخر تحجب مشاعره: ليست أول القتلى ولا آخرهم.

انهمرت دموع الحسرة بصمت من عيني الأم وهي تستند للجدار حتى لا تنهار.

وهتف "شاهي" بغِلٍّ شديد: لقد تحملنا كل شيء، كل شيء، فقدنا أسماءنا، هويتنا، تجرعنا الذل بصبر؛ أملًا فيما هو خير وأبقى، لكن.. أن يقتلوها بهذه الطريقة! يجبرونها على الانتحار!

اعتصرت "باي" عينيها بألم وهي تستعيد الذكرى الأليمة، وتذكرت أنها مرَّت بنفس الموقف الذي تعرضت له أختها وعجزت عن تحمله، ولم تستطع أن تكبح جماح عقلها عندما شرد قليلًا فيمن أنقذها وأخرجها من ذلك المكان الذي يستحيل أن يخرج منه أحد الضحايا حيًّا.

"شاهي" بأسًى: لقد ماتت منتحرة، وأنت تعلم جيدًا معنى ذلك.

الجد باستنكار ساخر لاذع: وهل تعلم أنت أيها الأحمق!، وهل يعلم أيّ منَّا إلى ماذا سيؤول مصيره أو مصير غيره؟، ليس لك أن تحكم عليها بعقلك المحدود، فمصيرها بين يدي من يغدق الرحمة والغفران بلا حساب.

وجَّه "شاهي" كلامه للأب دون أن يرد على كلمات الجد: لقد هربت، نعم هربت، لقد سئمت كل شيء، سئمت أن نعيش بأسماء ليست لنا، أن أقبل مرغمًا وجود أخواتي في حفلات العبث اليومية، أن أراك منكبًّا محْنيَ الظهر على تصنيع مواد أسلحتهم وهم لا يطعموننا سوى الذل.

تنهد ودموعه تنهمر: هربت حتى لا أضطر لرؤية واحدة من أخواتي في ذلك الموقف، حتى لا تموت أخرى بنفس الطريقة وأنا عاجز أمامها، هربت إلى إخوتي زكريا ويوسف وجهاد وعمر وخالد لننتقم منهم.

ابتلع دموعه وخرّ على ركبتيه أمام الطاولة التي يجلس اليها الأب، وقال بفخر: انظر ما فعلناه بهم، إنها فقط البداية وسيأتي اليوم الذي نتحرر فيه جميعًا، صدقني إنه قريب للغاية، وقد تشهده بعينيك.

قال الأب بجمود: أخبرتك من قبل، ليس لي أو لك أن نتحدث عن المستقبل، لكن الماضي يثبت ومن خلال الحاضر أنه بدون إنجاز العهد، فلا تأمل في أيّ شيء من المستقبل.

رحل "شاهي" والأسى يغرقه بعد أن رفض الأب أن يعفو ويسامح، وصحبته "باي" حتى قمر النفايات بصمت، وحانت لحظة الوداع من جديد، وقال "شاهي" بأسًى: رفض أن يسامحني، سأرحل ولا زال غاضبًا عليّ.

"باي" بإشفاق: ربما يداوي الزمن ما عجزنا عنه.

قال باهتمام: ما بك؟ لست "باي" التي أعرفها.

اندفع القهر الذي حاولت أن تدفنه طويلًا في قلبها، وأخذت تبكي على صدره بحرقة، وتقول بصوت متقطع: "شهيد" أخي، أنقذني من هنا، لست متأكدة أنني أستطيع الصمود أكثر.

قال بألم: ليتني أستطيع، لكني لا يمكنني أن أُغضب أبي ثانية، ولا أن أعرِّضك لغضبه.

قالت بحزن: أمواج الأسى أكبر بكثير من قدرتي على اجتيازها.

قال مشجعًا: لاتقولي هذا،أنت أقوى منا جميعًا، كنا دائمًا نستمد منك الشجاعة، لا أريد أن أرحل وأنا قلق عليك، كوني دائمًا كاسمك (أبية) أي عصيَّة على التحطيم، رافضة للذل، لا تلتوي ولا تنثني.

كانت كلماته تبث فيها الشجاعة، فتوقفت دموعها وأغمضت عينيها وهزت رأسها ببطء، فابتسم وهو يستمع إليها وهي تقول: إذًا لا تغب عني كثيرًا، أحتاج دائمًا لمساندتك ودعمك، ألا يكفي أنني حُرمْت من رؤية إخوتي!.

قال: التمسي لهم العذر، فالحمل ثقيل للغاية والعيون كلها عليهم، خاصة بعد استشهاد عمر ورحيل زكريا، ويعلم الله إن كان نجح في مهمته أم لحق بأخيه.

أغمضت عينيها بألم: لِمَ لمْ تخبر أبي؟

قال: لم يكن هذا مهمًّا، هو يتوقع ذلك في أيّ وقت، كما أنني حاولت أن أجنب أمي الألم، يكفي أنها تتحمل بعادنا بصبر الجبال، هي تعلم أنهم لن يعودوا.

قالت: وأنت هل ستعود ثانية؟ تذكر أنني لا زلت بحاجة إليك.

قال بتصميم: عليّ أن أعود مرة ومرات على أن أستجدي أبي ربما يلين مرة ويسامحني، اطمئني سأكون قريبًا كلما احتجتي إليّ.

استوقفته من جديد قبل أن يرحل: "شهيد"، إن كنت أنا لا أستطيع الرحيل من هنا، فيجب أن تأخذ "مريم".

عقد حاجبيه بتساؤل: مريم!

قالت برجاء: نعم، هي ليست من الجمريين ولا يسري عليها العهد، كما أنها مرصودة من الرقباء، يترقبون وصولها للسادسة عشر؛ ليسحبونها قسرًا إلى حفلات العبث المقيتة، أتوسل إليك، أنقذها من ذلك المصير.

"شاهي" بتردد: أنت لا تدركين كم هي حياتنا صعبة، لا نستقر أبدًا في مكان، وقد تمر بنا الأوقات الطويلة دون طعام، نعيش في خطر دائم من أن ينكشف مكاننا للساموز أو الزايانز.

قالت بألم: صدقني، إن وجودها بين إخوتها لهو أهون بكثير مما يمكن أن يحدث لها هنا، منذ أن رحلت والزمن يمضي بنا من سيئ لأسوأ، أنا متأكدة أنها ستجد في كنفكم الحماية والأمن الذي نفتقده هنا، أرجوك خذها معك.

لأول مرة تتنفس الراحة وهي تراقب مركبة "شاهي" ترتفع مبتعدة عن قمر النفايات و"مار" على متنها، لقد استطاعت حماية أختها من العذاب المهين.

أتى "شاهي" في توقيت مذهل، قبل وقت قليل للغاية من بلوغ "مار" السادسة عشر، الآن فقط صدقت كلام جدها «الزمن قد يداوي كل شيء طالما أنه لا زال هناك وقت»

غادرت الناقلة الجماعية إلى القمر «فايري»، وسارت بخطوات بطيئة وعقل شارد يفكر بعمق في قدوم "شاهي" المنقذ وما فعله بها، كادت أن تستسلم في أقسى لحظات حياتها ضعفًا، فما مرت به لم يكن هينًا، وما عرضه عليها ذلك السامو كان حلمًا بانفراج أشد أوقاتها سوادًا، لكن الثمن كان غاليًا، لا تستطيع دفعه، فهو يعني التخلي عن كل ما نشأت وتربت عليه، عن قانون الموهادز، عن العهد، عن إيمانها بضرورة التمسك بما

عاشت لأجله لتقضي وهي قابضة عليه، لكن عودة "شاهي" أنقذتها من الاستسلام، أو من الانهيار، لقد تحملت أشد الآلام قسوة، وصبرت على مالا يطيقه البشر ولم تستسلم أبدًا، لكن، هذه المرة لا تدري من أين دخل إليها ذلك السامو، وكيف اخترقها بهذه الطريقة حتى كادت أن تستسلم لكلماته، كيف تسلل إليها وعَبَر إلى نقطة ضعفها؟

نقطة ضعفها التي لم تكن تفكر فيها أبدًا، ولا تدري عنها شيئًا، كيف جسدتها كلماته أمام عينيها؟، كادت أن تستسلم بالفعل لكن عودة "شاهي" كانت هي الحد الفارق الذي أيقظها في الوقت المناسب، وذكَّرها بواجبها وحملها الذي تحمله على عاتقها، والآن بعد أن تراءت لها نقاط ضعفها؛ عليها التصدي له، وإغلاق كل باب يمكن أن يدخل لها منه ذلك السامو، عليها أن تبعده عنها بأية وسيلة.

أفاقت من ذكرياتها على ذلك الذي يعترض طريقها، كان يقف متحفزًا، والشرر ينضح من عينيه، والعصا الإلكترونية الغليظة تتحرك بتوعد وتهديد بين أصابعه، لم تشعر "باي" بذرَّة واحدة من الخوف، فرؤية ذلك المخلوق الكريه لا تثير في نفسها سوى شعور واحد فقط وهو الاشمئزاز والاحتقار، وضعت كفيها في خاصرتها وباعدت ما بين ساقيها في وقفة تحدٍّ صامت، وعيناها تطلقان نظرات الاحتقار والشماتة، قال بصوت يرجف غضبًا: أين هي؟

قالت بتحدٍّ ساخر: ابحث عنها في الثقب الأسود، ربما تنتظرك هناك.

عقد حاجبيه: الثقب الأسود؟

هتف بعنف: إياك والكذب، وإلا سأمزق لحمك وأطحن عظامك بتلك العصا.

قالت بتحدٍّ أكبر: أتظن أن باستطاعتك أن تأكلها سائغة! لقد أفلتت من تحت أسنانك، ولن تستطيع الوصول إليها أبدًا.

صرخ بغضب هائل: أيتها الحقيرة السفلية.

هجم عليها وهو يعتصر عصاه بغضب، فتوهجت بضوء أحمر لامع، لكن "باي" ظلت ثابتة في مكانها وهو يتجه ناحيتها كقذيفة نارية لا تدري أين ستسقط، وقبل أن تنهال عليها العصا الإلكترونية المؤلمة تحركت جانبًا فجأة؛ فنزلت العصا في المكان الخالي الذي كانت تقف فيه.

فقد الرقيب السيطرة على عقله وأعصابه بعد أن أعماه الغضب، ففي تلك اللحظة قرر قتلها بلا رحمة، فهاجمها ثانية بوحشية، لكن "باي" الواثقة الثابتة قفزت للخلف برشاقة، وتفادت ضربته العنيفة ولم تلمسها العصا فقد كانت تعلم جيدًا ما الذي سيحدث إن لمستها العصا، فكم من مرة تعرضت لآلامها الرهيبة، التفتت إليه وأرجحت ساقها في الهواء لتركل بها يده الممسكة بالعصا فأفلتها رغمًا عنه من قوة الركلة لتطير بعيدًا وتسقط على الأرض ويخبو وهجها الأحمر.

وقَفَا لحظة ينظر كلاهما للآخر بتحدٍّ، وكأنما قرأ الرقيب أفكارها فتسابق الاثنان نحو العصا، ولأنها كانت منه أقرب وصل إليها الرقيب أولًا، وبالفعل

أمسكها لكنه شعر بأضلاع صدره تتحطم عندما ركلته "باي" في صدره بقوة، فسقط على وجهه وأفلت العصا، وتناولتها "باي" بسرعة، ووقفت أمامه وعيناها تمتلئان بشماتة هائلة، نهض ببطء متألمًا ونظر إليها وهي تهز العصا بتهديد؛ فملأه الرعب وزلزل أركان نفسه وهتف بخوف: ماذا تفعلين! هاتي العصا، أجننتي؟ أتعلمين عاقبة ما تفعلينه؟ إنه القتل، سيأتي الرقباء الآن ويأخذونك.

قالت ببطء: وماذا ستقول لهم؟ أنني تغلبت عليك وضربتك وأخذت عصاك!؟

أخرج من جيبه جهاز استدعاء فرقته من الرقباء، وقبل أن يضغط الزر تلقى صعقة عنيفة مؤلمة من العصا على فكه ألقته بعيدًا، نهض ببطء على يديه وركبتيه وهو يحاول أن يتمالك أعصابه ويمسك عضلاته المرتجفة، ويحاول أن يستعيد الرؤية بعد الصعقة الهائلة التي تلقاها، لكن صعقة أخرى من العصا الإلكترونية على ظهره أغرقت وجهه وجسده في التراب الأزرق وأفقدته الوعي تمامًا، لكن أطرافه ظلت تنتفض بعنف بفعل الصعقات المؤلمة التي تلقاها.

أرخت "باي" أصابعها من على العصا فخفت توهجها، فألقتها فوق جسده وسارت بخطوات واثقة متجهة إلى البيت وهي تقول بسخرية: الآن تستطيع استدعاءهم ليلملموا بقاياك.

EEE

(8)

قالت "سيفا" بغرور وهي تهز ساقها اليمنى بتعالٍ بعد أن وضعتها فوق الأخرى: أرجو أن تكون كفؤًا للمهمة التي اخترتك لها، أعلم أنك الرقيب الأول المسئول عن تابع الموهادز.

هتف بصرامة وهو يشد جسده باعتدال: نعم قائدة.

قالت بشكٍّ: ولكن يجب أولًا أن أعرف سر تلك الإصابة التي في فكِّك.

تجهم وجهه وملأ الحقد قلبه وهو يتذكر السفلية التي أصابته تلك الإصابة، لكنه بلع مشاعره وقال بلهجة عادية: شجار نشب بيني وبين مجموعة من الرقباء في وقت الراحة لكنني تغلبت عليهم.

تأملت وجهه بشكٍّ، وكأنما تقرأ ملامحه وتعبيرات وجهه ثم قالت: أتمنى أن يكون الأمر كذلك، عمومًا هذا لا يهمني، كل ما أريده هو أن تصغي إليّ جيدًا وتنفذ كل ما آمرك به.

أمسكت بجهاز تحكم صغير وضغطته لتظهر أمامها صورة ثلاثية الأبعاد لوجه امرأة ما إن رآها الرقيب حتى اشتعلت بداخله نيران الحقد والانتقام، نظرت "سيفا" في وجهه وأدركت أن ما تريده منه سوف ينجزه كأفضل ما يكون، قالت بمكر: يبدو أنك تعرفها جيدًا.

كتم غضبه وحاول أن يبدو طبيعيًّا وهو يقول: نعم، جيدًا جدًّا.

قالت ببطء: أريد تلك السفلية، أريدها هنا تحت قدمي وفي أسرع وقت.

قال بغِلٍّ: اطمئني، ستكون تحت قدميك هنا في وقت قريب للغاية.

قالت: ليس الأمر بتلك السهولة، فلسنا وحدنا من يبحث عنها، هناك ابن حاكم الساموز، وقد يكون سبقك إليها الآن.

قال مباشرة: أيتها القائدة، ما هي المهمة بالضبط؟

قالت بغِلٍّ: المهمة هي أن تحضرها إليّ ذليلة مهينة، وإذا لم تستطع فعليك إذلالها وإيلامها بأقسى وسيلة وبأكثر شيء تحبه.

اتقدت عيناه بشرار الحقد وهو يقول: سمعًا وطاعة.

EEE

كانت تعتقد أنها نجحت في ترميم ذلك الثقب الذي نفذ إليها منه، لكنها لم تدرك مدى فشلها إلا عندما التقته وجهًا لوجه على قمر النفايات، أدركت لحظتها كم هو متسع ذلك الثقب، وكم هو صعب غلقه، تمنت لو كان "شهيد" هنا، لكنه رحل، حاولت أن تستعيد كلماته في أذنيها، لكنها نسيت كل شيء، كانت نظراته تشغل عقلها عن أيّ شيء، لم يكن هذا هو وجهه الذي تعرفه، الودود الباسم دائمًا، في عينيه نظرة لم تستطع أن تفهمها، وكأنها نظرة لوم أو عتاب، لكن الحنان لم يتخلَّ عن ملامحه أبدًا، استنشقت

بعمق وكأنما تريد أن تزوِّد روحها بالشجاعة في مواجهته، كان يتقدم منها وهي تجلس في نفس مكانها على فوهة البركان، نفس المكان الذي التقاها فيه أول مرة وكأنما تنتظره، لم تعد الكراهية تملأ نظراتها، واختفى الغضب من ملامحها، لم يفهم لِمَ راوده شعور غريب ورغبة في أن يرى الكراهية في عينيها والغضب على وجهها بدلًا من ذلك التعبير الذي عجز عن تفسيره.

جلس بجوارها دون أن يتكلم، وبدأ يشرد بعيدًا خلف أفكاره المشتتة، لم تجرؤ هي على كسر ذلك الصمت الذي لفَّهُما، كانت تخشى أن يتكلم، كانت تتوجس مما سيقوله، فشعورها ينبئها بأن هناك شيئًا خلف صمته، لكنه بعد فترة تنهد بعمق، وقال بلهجة غريبة على أذنيها: لم أكن أنوي العودة صدقيني، لكن شيئًا أقوى مني أرغمني على ذلك.

احتمت بصمتها، لكنها ظلت مصغية دون أن تلتفت إليه وهو يقول: لا يمكنني التعايش مع إحساس أنك في خطر داهم، ولا يمكنني تصور أن أفقدك، الأمر غريب لكنه حقيقي، واقع أعيشه كلَّ يوم، لا أستطيع أن آكل أو أنام أو أعود إلى حياتي السابقة وأنا أنتظر في كل لحظة نبأ موتك، لو طالتك "سيفا" ستمزقك بلا رحمة، يجب ألا تصل إليك، يجب أن تهربي من هنا.

رفعت وجهها إلى السماء، وتأملت تلك القضبان الحمراء التي تسحق كل أمل للنجاة، ثم ارتد بصرها إلى تراب التلال الممتدة أمامها على تابع النفايات، ثم التوت شفتاها بسخرية مريرة يأسًا من كل شيء.

لا يدري كيف شعر بما كانت تفكر فيه فأجابها دون أن تسأله: أستطيع أن آخذك من هنا إلى مكان بعيد لا يعرفك فيه أحد، هناك كواكب بعيدة في آخر المجموعة بيننا وبينها تحالفات وتعاون علمي وصناعي، أستطيع أن أقلك بمركبتي إلى هناك ولن يعرفك أحد، ستكونين في أمان تام.

خرجت الكلمة مريرة على شفتيها: أمان!

ثم تنهدت بأسًى: لا أمان في هذا الكون، ففي أي مكان آخر سأعامل أيضًا كسفلية، كما لا يمكنني أن أترك أسرتي وأرحل.

التقت نظراتهما لبرهة احتدت فيها نظرة اللوم والعتاب في عينيه وخالطهما الحزن في مزيج عجيب، مما حدا بها أن تبعد عينيها بسرعة، وتهرب بنظراتها إلى التلال الزرقاء.

سمعته يقول: أفهم لم ترفضين الرحيل والنجاة بنفسك، وأقدر ذلك كثيرًا، الحقيقة...

بدا مترددًا قليلًا، لكنه قال: الحقيقة أنني تمنيت لو أننا التقينا في ظروف أخرى، في كوكب آخر، في مجرة أخرى، في كون آخر، تمنيت لو لم تكوني أنت أنت، ولا أنا هو أنا؛ لربما تغيرت الأمور.

صمت لحظة، ثم قال بيأس: أو ربما ما تغير شيء، وبقي الألم كما هو، أعلم أنك ترفضين الرحيل دونه.

انتبهت جيدًا إلى كلماته التي أثارت العجب في نفسها! ولم تفهم عمن يتحدث؟

خرج صوته حزينًا وهو يقول: لم أتمنَّ شيئًا في حياتي قدر أمنيتي أن أكون مكانه.

نظرت إليه تحاول أن تفهم عمن يتكلم، وهو شارد بعيدًا: يبدو أن هناك أشياء يعجز الساموز والرقباء عن إخضاعها أو السيطرة عليها، رغم كل ما يفعلونه بالموهادز، لكنهم عاجزون عن تحطيم حبٍّ كهذا، ذلك الحب الذي لو عشت آلاف السنين، ما استطعت الحصول عليه.

تنهد بأسًى: لم يعد هذا يجدي الآن، يجب أن تهربي بحياتك، أستطيع أن أقلكما معًا، أنت وهو إلى كوكب بعيد، يمكنكما أن تصبحا من المختارين، وتبدءا معًا حياة جديدة، أعلم أن هذا سيحرمني من رؤياك، لكن لا مفر، لم يعد وجودك هنا آمنًا، في كل الأحوال سأفقدك لا محالة، المهم أن أعيش وأنا مدرك أنك آمنة وسعيدة، ولا تلقِ بالًا إلى "سيفا"، ستكف عن ملاحقتك فور أن أرضخ لرغباتها، عندها فقط ستستقر الأمور.

اكتسى صوته بالألم: وأعود كما كنت.

اتضحت الصورة في عقلها تمامًا، ورغم أنها كانت مدركة أن فهمه خاطئ، إلا أنها فضلت البقاء صامتة دون أن تحاول أن تغير فكرته، تركته

يظن ما يشاء، فربما كان هذا هو حصنها الذي تحتمي به، وجُنتها التي تغلق ثقوب نفسها.

قالت بعد صمت: لا يمكنني الرحيل، حياتي بدأت هنا وستنتهي هنا، لن أترك أسرتي وأرحل وحدي أو مع أي كائن من كان.

تملكه الغضب وصرخ فيها: لم لا تريدين الفهم؟ لم ترفضين الاستماع إليّ؟ لا أحد هنا يمكنه حمايتك، ستقتلك "سيفا" لا محالة، وهذه المرة القانون معها، لن أستطيع حمايتك مهما حاولت.

قالت بهدوء: لم يكن أحد يستطيع حمايتي، كما لن يكون أحد بقادر على حمايتي.

ازداد غضبه: أنتِ لا تفهمين، لقد أدركت "سيفا" حقيقتك.

أشار إلى كفيها وقال: لقد عرفت "سيفا" حقيقتك، عرفت أنك من الجمريين، والآن جيش الساموز والزايانز سينطلق خلفكم، الجمريون مطلوبون في كل مكان على سطح الكوكب وتوابعه، ولن ينجو أحد.

هبت قائمة ونزلت التلة بسرعة، وهي تهتف: عليَّ العودة إلى «فايري» الآن.

جرى خلفها وهو يصرخ بغضب: أقول لك إن "سيفا" ستذبحك إن رأتك وتريدين العودة إلى «فايري»! ألا تخافين الموت!

قالت بهدوء دون أن تتوقف: صدقني، الموت ليس مخيفًا إلى هذه الدرجة، بالنسبة لحياة كحياة الموهادز، ربما يكون هو السبيل الوحيد للحرية.

صرخ: إن كان الأمر كذلك فلِمَ لمْ تنْهِ حياتك بيديك في المسرح، وتشتري حريتك؟

توقفت قليلًا والتفتت إليه، وقالت: صدقني، مهما حاولت أن أشرح لك فلن تستطيع أن تفهم.

تركته ونزلت بسرعة لتعود إلى «فايري»، أما هو فقد ركب مركبته الخاصة وسبقها إلى «فايري» ، ووقف ينتظرها عند موقف الحافلات الجامعة وهو مصِرٌّ أن يقنعها بتغيير رأيها والرحيل عن الكوكب، وجدها تخرج من الحافلة بخطوات سريعة قلقة، فسار إلى جوارها يحاول أن يقنعها بكل السبل وهي لا تلين ولا ترد، حتى وصلا إلى الحي، وعندما اقتربت من البيت شعرت بأن هناك خطبًا ما، فالصمت يطبق على المكان وكل ما فيه يبدو غريب الشكل، توجست خيفة وتباطأت خطواتها وهي تحاول أن تستنتج ماذا خلف الوجوه الواجمة والنظرات الذاهلة.

جلست أمها الحزينة ووجهها للجدار، الغضب الذي يملأ وجه الجد وهو الذي نادرًا ما كان يفتح عينيه، أما الذي استوقفها طويلًا هو ذلك التعبير

المخيف الذي بدا في وجه أبيها وهو يمسك بالسكين الليزري، لكنه لا يعمل كعادته. صور من النادر أن تراها في المكان رغم موجات الأسى التي تمر بهم باستمرار.

انتابها الخوف من أن تسأل، فالإجابة بالتأكيد ستكون كارثة جديدة، لكن السؤال تجاوزها وانفلت ولم تستطع إيقافه على لسان "كورني" الذي هالَهُ ذلك الصمت المخيف والذي لم يعتد أن يراه كلما زار المكان: ماذا يحدث هنا؟

حاولت "باي" أن تصدق نفسها وتبعد الشر عن ذهنها؛ فقالت مباشرة: أتوا للبحث عني، أليس كذلك!

اشتعلت هواجسها عندما لم يلتفت إليها أحد أو يريحها بإجابة، وكأنما ضرب المكان زلزال من الصدمة.

كررت بوجل شديد: لم لا يجيب أحد؟ لقد أتوا من أجلي أنا.

لو لم يكن الصوت الذي أجابها صادرًا مباشرة من أبيها لأقسمت أنه ليس صوته، فلأول مرة تسمعه يتحدث بهذا الصوت الملئ باليأس والألم: نعم، كانوا يبحثون عنك، ولم يجدوك، وأخذوا..

لم يستطع أن يكمل، ولم يكن بحاجة لذلك فقد فهمت على الفور من يقصد.

وجرت عيناها بسرعة إلى المكان الذي اعتادت أن تلعب فيه لكنها لم تجدها، وتفجر الغضب عارمًا في أعماقها عندما رأت آثار أقدام صغيرة غارزة في التربة وحولها آثار أحذية الرقباء، ظلت عيناها تدوران بجنون تبحثان عن الصغيرة، حتى توقفت عند الأم الجالسة أرضًا ووجهها للجدار، وانتبهت لأول مرة إلى الدمية القذرة التي بين أحضانها وهي تمسح على شعرها بحركة رتيبة ودموعها تسيل بصمت وعيناها تحملق في لا شيء.

هتف "كورني" الذي اشتعل غضبه عندما فهم ما حدث: مستحيل، ولم يأخذونها؟ ماذا سيفعلون بطفلة صغيرة؟

قال الجد بألم: إنه انتقام الرقيب، أعطى الطفلة الصغيرة لـ... لـ... لدكتور بوتشر

قال "كورني" بصوت كالفحيح، وعيناه تكاد أن تخرج من وجهه: بل انتقام "سيفا".

كان وقع الصدمة هائلًا على "باي"، كانت تتوقع أن يفعلوا أي شيء في الصغيرة إلا هذا، فقدت كل سيطرة على مشاعرها، واحمرت عيناها وهي تلتفت إلى "كورني" الذي هالَهُ مرأى كل هذه الكراهية في عينيها.

هجمت "باي" على أبيها واختطفت من يده السكين الليزري وأمسكته بكلتا يديها ودفعته بعنف نحو قلب "كورني" وهي تصرخ بجنون: مجرمون،

قتلة، ساديون.

وقبل أن تشق السكين طريقها إلى قلبه أمسك معصميها بقوة وأوقف تقدم السكين نحوه، وتدافع الاثنان لكن غضبها الهادر منحها قوة رهيبة انهزم أمامها جسده القوي فاندفع إلى الخلف وسقط على ظهره، وسقطت هي فوقه، ولولا قوة ذراعيه لاستطاع السكين أن يصل إلى صدره من ضغطها الرهيب عليه.

لم يتوقع "كورني" أن تكون "باي" بمثل هذه القوة، فقد بدأت عضلات ذراعيه ترتخي قليلًا تحت ضغط قوة ذراعيها والسكين في يديها، كان السكين يتجه نحوه ببطء وهو يحاول بكل جهده أن يبعد يديها المتشبثتين بالسكين، وهي تصرخ وتسبه بكل الألفاظ، والغضب والكراهية يتفجران حممًا من جوارحها.

انتابه شعور باليأس فكلما حاول إصلاح ما بينهما، تأتي كارثة جديدة تؤصل الكراهية في نفسها تجاهه، والآن ماذا يمكن أن يحدث أسوأ من هذا؟

فكر جديًّا أن يستسلم لسكينها ويدعها تقتله، لعل موته يشعرها بالتحسن، أو ينهي عذاب ضميره المشتعل، فبالنسبة إليه انقطع آخر أمل له معها، ولكن قبل أن تستسلم يداه لضغط قوتها وتترك السكين يعمل في جسده، وجد "باي" تشهق بقوة، وجحظت عيناها بألم، ثم يرتج جسدها مع آهة ألم عميقة بفعل ركلات أبيها في خصرها، ومع الركلة الثالثة طار جسدها بعيدًا عن "كورني"، ووجد أباها يقف فوقه والغضب الهادر في

ملامحه.

نظر إلى "باي" التي طارت من فوقه واستقرت على وجهها في التراب لا تحرك ساكنًا بالقرب منه، حاول النهوض إليها، لكن أباها سبقه إليها ونزل على ركبتيه بجوارها وقبض على رقبتها من الخلف بعنف وهمس في أذنها بوعيد: لا تعتقدي أنني سأتركك تقتلين نفسك بسبب ذلك السامو الحقير قبل أن تنجزي العهد.

همست بحسرة قاتلة ودموعها تشق التراب الأزرق على وجنتيها: "إيما"، "إيما"، "إيما" الصغيرة، "إيما" الجميلة، أخذها د. بوتشر.

همس بقسوة وهو يضغط عنقها بأصابعه: "إيما" رحلت ولن تعود. انتبهي لنفسك جيدًا فعليك مسئوليات جسام، ولديك عمل يجب أن تتميه.

نهض "كورني" أخيرًا وأمسك بذراع الأب وهو يهتف: لا يمكن أن تعاملها بهذه القسوة، لن أسمح لك بضربها ثانية.

لم يتخيل "كورني" لحظة واحدة كم القوة الرهيبة التي يمتلكها هذا الموهادز الصامت دومًا، فقد ترك عنق "باي" وأطبق بيمناه على عنق "كورني"، وجذبه إلى أعلى حتى أوقفه، ثم دفعه بقوة إلى الجدار و"كورني" يحاول التملص من ضغط أصابعه الخانقة، وشعر بظهره يصطدم بعنف بالجدار، وبروحه تكاد أن تخرج من جسده من الاختناق، والأب يقول بغِلٍّ: من أنت لتحشر أنفك بيني وبينها! هل ستعلمني كيف أربي أبنائي؟ ارحل، ارحل من هنا الآن قبل أن يشرب

تراب القمر دماءك، لا تظن أنني تركتك تعيش المرة السابقة من أجلك، أو من أجل مساعداتك لها، بل لأن قطرة دم واحدة تسيل منك ستحيل القمر بمن عليه إلى رماد، فلا تغتر بنفسك، واعلم حجمك جيدًا، ارحل ولا تعد، ففي المرة القادمة لا أضمن أنني أستطيع التحكم بأعصابي كي لا أقتلك.

تركه ملتصقًا بالجدار، وعاد إلى جلسته المعتادة أمام طاولة البلوسترونج وأخذ يعمل بهمة، وكأنما يفرغ غضبه في العمل الشاق.

هوى "كورني" أرضًا، وأخذ يجر الهواء جرًّا إلى رئتيه، ويسعل بقوة ويفرك عنقه بأصابعه غير مصدق أنه نجا من الموت بين أصابع هذا الرجل القوي، إن قوته الرهيبة تجعله قادرًا على فعل الكثير، لكنه لا يفعل.

والآن عرف "كورني" السبب الحقيقي لإنقاذه له من بين أيدي الموهادز؛ لأن ابن حاكم الساموز إن قتل على تابع مثل «فايري» فسيحرق الساموز التابعَ بمن عليه، وليس هذا من أجل شخصه، بل من أجل هيبة الساموز.

نهض "كورني" ببطء، والإحباط يكاد يقتله، واتجه إلى "باي" التي لا زالت على رقدتها، والأرض تشرب دموعها، وقال بحرارة صادقة: أقسم لك أنني لم أكن أعرف إلى أي مدى يمكن أن يبلغ شر آلة القتل الرهيبة التي تدعى "سيفا"، سأرحل الآن ولن أعود إلّا ومعي "إيما"، أو.. لن تريني ثانية.

رحل "كورني" مهرولًا ليلحق بالصغيرة عله يستطيع إنقاذها، ورغمًا عنه ملأت الدموع عينيه، ووجه الصغيرة لا يفارق مخيلته، ابتسامتها البريئة،

دموعها الطفولية، كف يدها الصغير وهو يحتضن أصبعه الكبير، ضحكاتها التي ملأت فؤاده وهي تلعب بدميتها الإلكترونية التي أهداها إياها، لم يكن يتخيل أبدًا أن تصل الوحشية بـ"سيفا" أن تحول تلك المخلوقة البريئة الصغيرة إلى إحدى بدلاء د. بوتشر.

انتفض جسده اشمئزازًا؛ مما أجبر جفنيه على لفظ الدموع التي سكنتهما وهو يتخيل "إيما" الصغيرة وقد تحولت إلى "فور" جديد؛ فأسرع بمركبته الخاصة مسابقًا الزمن ربما يستطيع إنقاذ الصغيرة من ذلك المصير المرعب.

EEE

عادت "سيفا" إلى "دافي" والحقد يأكل قلبها وصرخت بغيظ: القذرة، ليست موجودة في أي مكان، ولا أحد يعلم أين هي، الرقباء جميعًا ينطلقون خلفها ولا أحد منهم يستطيع الإمساك بها، لم أرَ سفلية أكثر حظًّا من تلك الحقيرة، ترفض الانهزام في المسرح، ثم تفلت من سكيني بأعجوبة، والآن...

صمتت قليلًا، ثم أكملت والغِلُّ يقطر من حروف كلماتها: فقط أضع يدي عليها وسيرى "كورني" ما سيجري لحبيبته السفلية الحقيرة.

التفتت إلى "دافي" عندما لم تلقَ ردًّا: هاي، ما بك؟ صمتك يوحي بأن هناك خطبًا ما.

التفت إليها ببطء، وقال بصوت ينضح الحقد من بين حروفه: هؤلاء الأوغاد السفلة لم يعد لهم وجود على «فايري»، اختفى كل الجمريين من هناك، ولم يتبق سوى بضعة شيوخ على شفا الموت لا قيمة لهم، ومن أوقعه حظه السيئ بين أيدينا لا يعرف مكانهم أو أية معلومات عنهم، فشلت كل أدوات التعذيب في استخرج أية معلومة جديدة، هؤلاء الأوغاد أجادوا إخفاء أنفسهم حتى عن السفليين وكل من على التابع، حتى موجات الإرسال التي رصدناها لهم بالصدفة عجزنا عن تتبعها؛ لأنهم لم يكرروها ثانية أبدًا.

قالت بحقد: لكن تلك السفلية تعرف.

التفت إليها باهتمام: ماذا!

قالت: نعم تعرف، بالتأكيد تعرف، فقط لو تساعدني لأمسك بها سأجبرها على الاعتراف.

قال ساخرًا: وهل استطعت إجبارها على الهزيمة في المسرح حتى تستطيعي استخراج أية معلومة منها؟

شأنها كشأن أغلب الجمريين، قتلها أسهل بكثير من انتزاع أية معلومة منها.

قالت بعصبية: لا أفهم ذلك النوع من الجنون! ما هو الشيئ الذي فيهم وليس فينا؟ كيف يتمسكون بالحياة لهذه الدرجة، وفي نفس الوقت لا مانع

لديهم أن يموتوا فداءً لبعضهم البعض.

رفع لها عينيه؛ فانتابتها رجفة قوية عندما رأت نظراته الحارقة وهو يقول: إنه شيء يسمونه الإيمان..

- الإيمان! نطقت الكلمة باستغراب كبير...

فشرح لها: نعم، يصدقون أن لديهم فردوسًا يحيا فيه موتاهم حياة نعيم لا ينتهي.

شردت مفكرة في كلماته الغريبة تمامًا على أذنيها، وهي تسأل: فردوسًا! أهو في الثقب الأسود؟

انتبهت فجأة وقالت: ولكن إن كان هذا صحيحًا فلِمَ لمْ يقتلوا أنفسهم جميعًا، لم يتحملون كلَّ هذا العذاب والهوان؟

قال: لأنه كما لديهم فردوسٌ لموتاهم لديهم جحيمٌ لمن يقتل نفسه.

زفر بغضب: لولا ذلك الهراء الذي يصدقونه لم تظهر حركات التمرد فيما بينهم، ولم يظهر الجمريون المحاربون، ولم يحدثوا كل هذا الهرج، هؤلاء الأوغاد لا يوقفهم شيء، ولا يخيفهم شيء.

نهض من مكانه وجلس إلى منضدة الاجتماعات، وأخذ يعمل في المفاتيح التي أمامه بتتابع سريع، فظهرت في الفراغ الذي أمامه فوق

المنضدة صورة مصغرة ثلاثية الأبعاد لـ"كورني" وأمه وهو في حجرتها، كان يبحث في مجموعة من الأحاديث القديمة التي سجلها لـ"كورني" وأمه دون أن يشعرا.

تساءلت "سيفا": ماذا تفعل؟

قال وهو يدرس الصور التي أمامه بتمعن: أعيد دراسة تلك التسجيلات، بالتأكيد أخبر أمه عن مكان السفلية أو أين يلتقيها.

قالت هازئة: أتعتقد ذلك! إن تلك المرأة غريبة الأطوار لا تدري شيئًا عن العالم، فهي لا تغادر حجرتها إلا إذا اضطرت لذلك، وتعيش معزولة عن العالم، وكأن لا شيء في الكون يعنيها.

عقد حاجبيه بشدة وظهر على وجهه الاهتمام الكبير، وأخذ يضغط المفاتيح التي أمامه بتعجل، وجعل الصورة التي أمامه تتباطأ، مما أدهش "سيفا" كثيرًا؛ فسألته: ماذا تفعل؟

لم يرد، بل استمر يحدق باهتمام بالغ في الصورة التي أمامه ويقربها ويكبرها حتى أوقفها تمامًا، وظهر في عينيه بريق الخبث والمكر، فقالت "سيفا" بإلحاح: ما الذي يثير اهتمامك إلى هذه الدرجة؟

قال ببطء وذهنه مشغول بترتيب خطة محكمة: إن صدق ما أراه أمامي، فقد امتلكنا كوكب الساموز، وإن سارت الأمور كما أخطط لها، فستصبحين

عما قريب حاكمة الساموز.

هتفت: ما هذا السخف الذي تقوله! أنت تعلم جيدًا أن "كورني" لن يقبل أبدًا أن يكون رفيقي.

أجاب بثقة: لكن حاكم الساموز بالتأكيد لن يرفض.

هتفت والدهشة تتضاعف بداخلها: حاكم الساموز؟ أنا رفيقة حاكم الساموز!

لكن الساموز لن يقبلوا به بعد أن يتجاوز السن القانونية في الحكم، القانون يرفض هذا.

هتف هازئًا: قانون! أنا القانون.

أكمل بغرور شديد: نحن من يصنع القانون ويقنع الناس به، حاكم الساموز سوف يصبح أحد أبطال العصر، وستخرج الجماهير أفواجًا مطالبين بتغيير القانون ومدِّ فترة حكمه.

قالت بدهشة: ولكن كيف؟

قال ببساطة من يرى الأمر رأي العين: سندير حملة إعلانية مدروسة بعناية تصور الحاكم وهو يكشف المؤامرة الرهيبة التي تدبر لشعب الساموز ومستقبله، وليس هذا فحسب، بل سيضحي بنبل كبير بأغلى ما لديه من أجل حرية ومستقبل شعبه؛ سيضحي برفيقة عمره التي يعشقها

وبابنه الوحيد، أما أنتِ فسيكون دورك هو مساعدته في كشف المتآمرين والقضاء عليهم، والآن علينا الذهاب للحاكم لنستصدر منه أصعب قرار سيتخذه في حياته.

كانت أقدام "كورني" تتسابق وهو يعبر المدخل بعد أن هبطت مركبته في مهبط بنك البدلاء، وصل إلى ممر طويل على جانبيه حجرات كثيرة وانتابته الحيرة، أين سيبحث عن الصغيرة؟، وكيف سيسأل عنها دون إثارة الشكوك؟، فجأة وجد أمامه أحد أفراد الأمن، فابتسم بهدوء محاولًا ألا يثير شكوكه.

سأله الحارس: مرحبًا بك سيدي، كيف أخدمك؟

قال ببساطة: أود اختيار أحد البدلاء

الحارس: عليك مقابلة د. بوتشر

قال: عفوًا، ولكني متعجل وكما ترى أعمل في جيش الساموز، وعليّ الخروج في مهمة قتالية، ويجب أن أكون مستعدًا لكل الاحتمالات إذا ما حدث ما يسوء.

الحارس: اطمئن، لن يستغرق الأمر طويلًا، هاهو د. بوتشر قادم.

نظر "كورني" إلى الرجل الأشقر الطويل المقبل عليه، ورسم ابتسامة مهذبة على شفتيه، وعقله يعمل بسرعة ليصل إلى خطة مناسبة يجد بها

الصغيرة.

EEE

قال الحاكم بغضب: ما هذا الهراء الذي تقوله! رفيقتي أنا!! مستحيل!!! أنت مخطئ، عليك أن تعرف عمن تتحدث.

قال "دافي" بصوت كالفحيح: أستطيع أن أتفهم مدى حبك وتقديرك لها، لكن الحقيقة التي لا شك فيها هي أنها خائنة.

التفت إليه الحاكم، وقال بغضب: احفظ لسانك، وإياك أن تسئ إليها.

قال بثقة: أنا لا أقول كلمة إلا لو كنت موقنًا منها، ولديّ أدلة دامغة لا شك فيها، عليك استصدار أمر باعتقالها والتحقيق معها، ليتبين لك صدق ما أقوله، وإن لم يكن كذلك فأنا مستعد لتحمل النتائج مهما كانت حتى لو وصل الأمر إلى اعدامي.

انهار الحاكم على كرسيه، والصدمة على وجهه، لم يكن بحاجة لأن يقسم "دافي"، أو أن يقر بتحمل نتيجة اتهامه لسيدة الساموز، فمعرفته اليقينية به تجعله يدرك أن "دافي" لا يقول كلمة إلا لو كان واثقًا منها، وهذا ما أرعبه بشدة، فهو يعني أن رفيقة عمره قد وقعت في شرك "دافي" ولن تنجو أبدًا.

بدا مترددًا في اتخاذ القرار ولم يمهله "دافي" بل حاصره بكلماته:

أعلم مدى إخلاصك لشعب الساموز، وأنك قد تضحي من أجلهم بأغلى ما لديك، وتأكد أن شعب الساموز يقدر من يضحي من أجله، ولن ينسى أبدًا إخلاصك وتضحياتك، أنا متأكد أن الشعب سيطالبك بتمديد فترة حكمك، فلن يجد من هو أكثر وفاءً وإخلاصًا منك ليطالب به حاكمًا عليه.

التفت الحاكم إليه، فأكمل "دافي" بصوت مشجع: إن للإخلاص ضريبة يجب أن يدفعها الإنسان برضاه... أو رغمًا عنه.

لم تخفى على الحاكم لهجة التهديد الواضحة في حروفه، لقد وضعه في مأزق حقيقي، واختيار مرير، ولا وقت لديه ليختار.

EEE

(9)

كان "كورني" يسير مع د. بوتشر في الممر الطويل ويدخل من حجرة إلى أخرى، ود. بوتشر يشرح له نظام العمل في بنك البدلاء، وكيف يختار البديل المناسب له، ونظام المعاملات المالية، و"كورني" يستمع إليه بنصف عقله، وبنصفه الآخر يمعن النظر في المكان محاولًا إيجاد خطة ليعثر على الصغيرة.

دخلا إلى حجرة من حجرات الممر، وحاول "كورني" قدر ما يستطيع إخفاء أثر الصدمة التي انتابته، فالحجرة كانت كلها أقفاص ضيقة متلاصقة على الجانبين، وفي كل قفص يقبع أحد الموهادز البدلاء، والكثير منهم كان يشبه "فور"، فقد عضوًا أو أكثر من أعضائه.

انتبه "كورني" فجأة إلى أن كل قفص له رقم واضح على بابه.

وتذكر كلمات "باي" (فور اختصار لرقم 1004) انتبه من أفكاره لد. بوتشر وهو يقول: أرجو أن أكون قد أفدتك.

رد بهدوء: أشكرك كثيرًا، والآن، من أين أبدأ؟

أجاب: عليك أولًا التحدث إلى موظفة الاستقبال، وتسجيل بياناتك لديها.

قال: أشكرك ثانية.

رحل د. بوتشر، وخرج "كورني" إلى الممر من جديد، وعينه على كاميرات المراقبة المنتشرة في المكان، ولم يجد بدًّا من أن يلتف ويعدو في الممر وهو يراقب أرقام الحجرات، كان يائسًا تمامًا وهو يشعر بتسرب الوقت من بين أصابعه والصغيرة في خطر، توقف فجأة أمام إحدى الحجرات، وألقى نظرة سريعة على الأرقام التي كتبت على بابها، ثم دخل جريًا، ومرَّ بين الأقفاص الكثيرة على الجانبين وهو يراقب أرقامها بسرعة، حتى توقف أمام أحد الأقفاص كتب عليه رقم 1004، ونظر إلى الكائن الضئيل الجالس في القفص، وأزعجه كثيرًا ما رأى.

لقد فقد "فور" كل أطرافه، تجاوز "كورني" الصدمة بسرعة، وقال بصوت خفيض: "فور"، "فور"، هل أنت مستيقظ؟

أدار "فور" رأسه تجاهه، وهو يقول: من! من يناديني؟

أدرك "كورني" أنه لم يفقد فقط أطرافه، بل فقد أيضًا عينه الوحيدة، ولم يعد لديه ما يبصر به.

ابتلع ريقه بألم وقال: ألا تذكرني؟ أنا السامو صديق "باي" الطيبة.

رد بصوت فرح: نعم، أنت السامو ذو الجسم الجميل، هل بدلت رأيك وتريدني أن أكون بديلًا لجسدك؟ هل أصبت؟ هل أحضرت معك حلوى الساموز؟.

قال وهو يحاول بصعوبة أن يتجاهل ألمه العميق: لا، ولكني أريد منك شيئًا، ليس من أجلي، بل من أجل "باي" الطيبة، أتذكرها؟ هي التي كانت تطعمك، إنها الآن تتألم، لقد أخذوا أختها "إيما" الصغيرة، أخبرني، أين يضعون البدلاء الجدد؟

قال "فور" بصوت حزين: أهي طفلة صغيرة؟

أجاب بلهفة: نعم، نعم هي صغيرة.

قال ستجدها هناك في الحجرة التي في آخر الممر الرئيسي للمبنى، أعلى مدخلها دائرة كبيرة، أتمنى ألا يكونوا أصابوها بسوء.

قال بعجلة: "فور"، أشكرك كثيرًا، أنت حقًّا طيب.

قال بأسًى: "باي" الطيبة، أخبرها ألا تحزن، فهناك من يحبها.

قال "كورني" بصوت بدا فيه الألم: أعدك أنني سأخبرها، وداعًا "فور".

كان "كورنيط على يقين وهو يتجه جريًا إلى آخر الممر نحو الحجرة التي وصفها "فور" له أن هذه هي المرة الأخيرة التي سيرى فيها "فور" المسكين؛ لذلك فقد غمره ألم عميق أوجع قلبه، واتجه إليه تفكيره رغمًا عنه ورغم الموقف الصعب الذي يمر به الآن، وتوقعه لظهور أفراد الحراسة بأسلحتهم في كل لحظة، لكن كان من الصعب حقًّا تخيل كم تبلغ معاناة إنسان مسكين مثل "فور"، وكيف يكون شعوره وهو يرقب جسده وهو

يتغير كل وقت قصير، وكيف ينام وهو لا يدري عندما يستيقظ كيف سيكون شكله، وأي الأعضاء سيفقد هذه المرة.

شعر فجأة بنقمة هائلة على الساموز وقوانينهم وظلمهم الفادح للموهادز، وذلك عندما خطر له للحظة أنه من الممكن أن يحدث له مثلما يحدث لـ"فور" فقط لو أنه ولد ليجد نفسه موهادزًا وليس ساموزًا.

كان يحمل له في قلبه تعاطفًا كبيرًا برغم مظهره المثير للاشمئزاز وبرغم ضعف عقله، واحترم بشدة تلك المشاعر التي يحملها تجاه "باي" وتجاه البشر، ورغم كل ما يحدث له لكنه لا يحقد ولا يكره، سيطر بقوة على ألمه وسجن مشاعره في صدره، وركَّز كل تفكيره في الوصول إلى هدفه، ولم تبرح عيناه تلك الكاميرات التي تتبعه أينما ذهب، لكن لا حيلة لديه، ولم يسفر ذهنه عن خطة أفضل، فضيق الوقت لا يسعفه بفكرة عبقرية وحياة الصغيرة في خطر، و"باي" أيضًا يطاردها كل من على الكوكب وتوابعه.

وصل إلى مدخل الحجرة التي وصفها له "فور"، ورأى الدائرة الكبيرة في أعلى مدخلها، فاندفع إلى الداخل دون تردد وهو يسمع أصوات أقدام تقترب عدوًا من أول الممر، أخذ يتفحص من بداخل الأقفاص بتوتر وينظر في وجوه أطفال الموهادز، ولم يسمح لذلك الألم الذي ملأه أن يعطله عن المهمة التي أتى لأجلها، وكبت في أعماقه مشاعر الشفقة والرحمة التي غمرته نحوهم وهو يسمع صوت نحيبهم وعويلهم، تجاوز الأقفاص

بسرعة حتى توقف عند إحداها.. وهناك وجدها.

كانت جالسة في الركن ضامَّة ركبتيها إلى صدرها، دافنة وجهها في ساقيها وهي ترتجف، وصوت نحيبها يمزق أوتار قلبه.

قال بعجلة: "إيما"، "إيما".

رفعت رأسها إليه وكأنما رأت طوق نجاتها فهتفت بفرح: السامو صديق "باي"!

قال وهو يحرك قفل باب القفص: هيا، سأعيدك إلى البيت.

عجز عن فتح القفل، ورأى الحرس وصلوا إلى باب الحجرة، فأمسك بسلاحه ووجَّهَه إلى القفل وبضغطة سريعة حطمه، وفتح الباب لتقفز الصغيرة بين ذراعيه، وتتعلق بعنقه، ووجد نفسه هو وهي في مواجهة الحرس.

EEE

كانت أم "كورني" تمسك بزهراتها الصغيرات وهي تسمع بخوف ذلك الصوت القادم من جهاز الاستقبال يأمرها أن تفتح الباب، ورغم أنها استشعرت الخطر الداهم في نبرة صوته، وأدركت أن هناك خطبًا ما، ولكن لا مناص من أن تفتح.

ضغطت زرًّا في الجدار فانفتح الباب على الفور، ودخل الحاكم و"دافي" و"سيفا" ومعهم اثنان من الحرس،

اعتصمت بالصمت في انتظار ما سيقوله الحاكم وقلبها غير مطمئن، وقد راودها شبه يقين بقرب هلاكها، لكنها كانت رابطة الجأش هادئة ثابتة في مواجهتهم ومواجهة الموت القادم في عيونهم.

انتظر "دافي" أن يتكلم الحاكم، لكنه لم ينطق، كان متجمدًا تمامًا عند نظرات عينيها، قتلته تلك النظرات المملوءة باللوم والحزن والإشفاق في آن واحد، كان دومًا يعجز عن الصمود أمام نظرات عينيها، نظرات الحنان ترفعه إلى أعالي السماء، ونظرات الألم تلقي به إلى بئر سحيق، لكم تعجب دومًا من ذلك التأثير الهائل الذي تحدثه فيه، لدرجة أن يجعله أسيرًا لرغباتها، كانت كل كلمة تصدر منها يعتبرها أمرًا واجب النفاذ، ما كان يطيق ألمها أو حزنها، كانت ابتسامة صغيرة منها تشرق لها شموس حياته، ورغم أنه كان يعاملها كما لو كان عبدًا ذليلًا لها، وهي سيدته الآمرة، لكنها أبدًا لم تستغل ذلك الخضوع الراضي منه، بل لم تستغل حتى منصبه كحاكم للساموز، بل لم تكن تطلب منه شيئًا، لا يتذكر أي طلب لها أصرت عليه سوى طلبها بأن تحمل طفلها وترضعه بنفسها ورضخ لها، فقد كان من داخله يؤمن بأحقيتها في هذا الاختيار.

كان شريط حياتهما معًا يدور في ذهنه في تلك اللحظات القليلة ولا يرى فيه أي سوء، لا يرى فيه سوى حب كبير منه، وإخلاص أكبر وعطاء لا ينقطع منها رغم يقينه أنها لا تحبه وأنها مرغمة على لعب دور رفيقة الحاكم ببراعة ورغم كراهيتها لهذا الدور، لكنها لم تتذمر يومًا ولم تصارحه أبدًا بمشاعرها أو ألمها،

كيف بعد مرور كل هذا العمر، والحياة السعيدة التي عاشها معها يتهمها بالخيانة ويسلمها بيديه للجلاد، يسلم حبيبة روحه ورفيقة عمره، وأم ابنه الوحيد؟

ابنه!

كيف سيواجهه؟ وماذا يمكن أن يقول له؟ وأيّ مبرر يمكن أن يقنعه أن أمه خائنة لشعب الساموز؟

أدرك "دافي" مدى ضعف الحاكم أمامها، فقرر أن يقطع عليه أي خط للرجعة؛ فقال بأسلوب رسمي: سيدتي، عفوًا، نعتذر عن إزعاجك، لكن حاكم الساموز أصدر قرارًا باعتقالك والتحقيق معك.

لم تبالِ لكلماته، ولم يبدُ عليها أثر لخوف أو جزع، بل اتجهت نظراتها إلى الحاكم، وامتلأت بالتساؤل والعجب واللوم والحزن.

شعر "دافي" بتردد الحاكم، وخشى أن يهم بتصرف ما قد يكون مفاجئًا له، فقال بسرعة: سيدتي، أستميحك عذرًا، فقط نود أن نرى كفيك.

التفت إليه الحاكم، وقال بدهشة: ما هذا الذي تقوله!

أجاب بحزم: أثبت لك بالدليل القاطع صدق كلامي، مُرْها أن تفرد كفيها، وسترى بعينيك صدقي.

نظر الحاكم بشكٍّ إلى يديها المطبقتين على الزهرات البيضاء، ولم يجرؤ على النظر في عينيها، فأشاح بوجهه وهو يقول: افردي كفَّيكِ.

هزت رأسها باستسلام، وفردت كفيها أمامهم فتساقطت منهما الزهرات الصغيرات.

فهتف ”دافي“ بحماس: انظر، انظر.

نظر الحاكم إلى كفيها فوجدهما وقد تحول لونهما إلى البني، وتعجب تمامًا كيف لم يلاحظ ذلك سوى الآن!

كيف استطاعت إخفاء ذلك السر عنه وعن ”كورني“ كل هذه السنوات وهما أقرب الناس إليها!

استخرجته كلمات ”دافي“ من شروده: إنها من الجمريين، علينا اعتقالها، والتحقيق معها فورًا.

أشار للحارسين فالتفَّا حولها بسرعة، سارت معهما بهدوء دون أن تفتح فمها بكلمة، وطأطأ الحاكم رأسه بأسًى وملأت عينيه الدموع وهو ينظر إلى الزهرات البيضاء الصغيرات الملقاة أرضًا، وقد سحقتها أقدام الحرس سحقًا، همس ”دافي“ في أذنه قبل أن يخرج خلف الحرس: لن ينسى لك شعب الساموز ما فعلته، وسيخلد اسمك في التاريخ مثلك مثل كل من ضحى من أجل شعبه.

EEE

لم يدر ”كورني“ كيف يتصرف والحرس مقبلون عليه والصغيرة بين

يديه، لوح بسلاحه مهددًا وهو يتراجع بسرعة إلى الخلف، شعر بالخوف، فلم يكن يدري إلى أين يمكن أن يذهب، لم يكن لديه مجال سوى التراجع للخلف حتى وصل إلى منتصف الحجرة وهو ينظر يمنة ويسرة، وجد بابًا جانبيًّا يفتح فجأة لتخرج منه امرأة في زي طبيبة، جرى نحوه بسرعة واجتازه بقفزة سريعة قبل أن يغلق أوتوماتيكيًّا.

تأمل الحجرة التي دخلها، كانت عبارة عن معمل كبير يمتلئ بأوعية شفافة تحوي سوائل مختلفة، وأجهزة كبيرة وصغيرة خاصة بتحليل الدم والأنسجة والعظام وكل ما يتعلق بجسم الإنسان، انفتح الباب الذي دخل منه ودخل الحرس إلى المعمل، ولم يدرِ كيف يتصرف، لكن يأسه دفعه للتهور فصرخ فيهم: إن اقترب أحدكم فسأطلق سلاحي في وجهه.

حاول أحد الحرس أن يتقدم فأصابته طلقة مباشرة من سلاح "كورني" في ساقه، فسقط أرضًا وهو يتأوه بألم.

دخل د. بوتشر إلى المعمل، وقال "كورني" بتهديد: عليكم أن تتركونا نرحل بسلام، وإلا حطمت هذا المعمل بسلاحي، ولن يستطيع أي منكم إيقافي، هذه الصغيرة من المختارات لكنكم سرقتموها، ولقد أتيت لاستعادتها.

قال د. بوتشر ببرود: اتركوه يأخذها.

ثم التفت إلى "كورني": يمكنك أن ترحل بها ولا داعي للتهديد، ولكني حقًّا مندهش، فلأول مرة أرى أحد الساموز يهتم لأمر أحد من

الموهادز بهذه الطريقة، أما إن كانت مسروقة أم لا، فأترك الأمر لـ"سيفا"، فمن المؤكد أن هذا لن يعجبها أبدًا.

لم يصدق "كورني" نفسه إلا عندما وطأ مركبته ومعه "إيما"، لم يكن لديه أدنى أمل في استعادتها، لكن ها هي معه على المركبة لتتجه بهما إلى «فايري».

هبطت المركبة على سطح التابع وقفز منها "كورني" ومعه الصغيرة وفي وقت قصير وصلا عند بيتها، نظر "كورني" حوله كان المكان كما تركه، الأب يجلس في مكانه خلف طاولة البلوسترونج، والأم كما هي تجلس أرضًا بجوار البيت ووجهها للجدار والدمية بين يديها، والجد في مكانه المعتاد يسند رأسه إلى الجدار وعيناه مغمضتان. المتغير الوحيد هو أن "باي" لم تكن هنا، دق قلبه بخوف وخشي أن تكون "سيفا" قد وصلت إليها.

هتفت الصغيرة بفرح: أمي، التفتت الأم ببطء، وتنبه الأب لها ونهض من جلسته غير مصدق أن يرى صغيرته ثانية، وفتح الجد عينيه، وكسا وجهه المتغضن ابتسامة كبيرة.

زحفت الأم على يديها وركبتيها بلهفة فلم تكن قدماها تقويان على حملها وهي تردد بصوت بُحَّ من البكاء: "إيما"، "إيما" صغيرتي، "إيما".

ارتمت الصغيرة بين أحضانها، وتناولت منها دميتها الصغيرة، وتأثر "كورني" بعمق بذلك المشهد الذي يذيب القلوب، وذكرته دموع الأم الرحيمة بأمه التي يحبها أكثر من أي شيء آخر في الكون، ورغمًا عنه تذكر كلماتها

المؤلمة عن معاناة نساء الموهادز بفقد أبنائهن الرحميّين، وعاد إليه الشعور بالنقمة على الساموز، وتذكر كلمات "باي" «الموهادز لا يقتلون الصغار»

"باي"، ترى أين هي؟ هل وصلت إليها "سيفا"؟

انتفض قلبه بسعادة عندما خرجت عليهم من فتحة البيت، لأول مرة يراها تبتسم ابتسامة كبيرة وهي تقول بحنان: "إيما".

هتفت "إيما" بسعادة كبيرة: "كورني" حررني من القفص الكبير الذي حبسوني فيه، وركبت مركبته، إنها كبيرة للغاية وفيها مفاتيح كثيرة ومليئة باللمبات الملونة، لقد تركني أقودها لبعض الوقت.

نظرت إليه الأم بامتنان كبير، ونهضت أخيرًا من الأرض وغمرته بنظرات امتنان وتقديرعميقة، وقالت من بين نحيبها: لقد أعدت إليّ روحي، كيف أستطيع أن أشكرك؟

قال بتأثر: أرجوك لا تشكريني، كان يجب عليّ أن أفعل هذا، وفعلته.

التفت إلى "باي" التي تقدمت منه وأخذت تنظر إليه بصمت، كانت نظراتها تقول أكثر من مجرد كلمات، وشعر "كورني" بتغير كامل في نظراتها.

نظر فجأة نحو الأب فوجده واقفًا لا يتحرك ووجهه الجامد لا يوحي بأيّ تعبير، فجأة شعر بشعور مألوف لديه، وأدرك أن "إيما" تجذبه كعادتها من حزامه اللامع كلما أرادت أن تتحدث إليه، نظر إليها فأشارت إليه أن يقترب منها، نزل على إحدى ركبتيه لتتساوى رؤوسهما، فجأة تعلقت الصغيرة بعنقه

وقبلته قبلة حميمة على خده شعر "كورني" بها تخترق جسده لتستقر داخل قلبه، وهتفت هي بسعادة كبيرة: أنا أحبك لأنك أعدتني إلى أمي.

نهض "كورني" وهو يشعر أنه يطير في الفضاء بلا مركبة، وربت على شعر الصغيرة بحب، وأخذ نفسًا عميقًا؛ ليمنع دمعة حنان من أن تفر من عينيه، ثم التفت إلى "باي" وقال بجدية: يجب أن أرحل الآن لأعرف إلى أين وصلت "سيفا"، اعتني بنفسك أرجوك وتواريْ عن الأنظار، ولا تدعيهم يصلوا إليك، فهناك من يحبك.

ارتسمت علامات الدهشة في ملامحها، فأكمل قائلًا: هكذا يقول "فور"، طلب مني أن أبلغك هذا.

ابتلع ريقه وقال: أتمنى عند عودتي في المرة القادمة أن تكوني قد بدلت رأيك، وأنا مستعد لتنفيذ وعدي لك حتى تصبحي في أمان أنت... وهو

بدا مترددًا قليلًا، وكأنما يريد أن يسالها عن شيء، ثم حسم أمره سريعًا وقال: فقط كنت أريد أن أعرف ما الذي يعنيه هذا الموهادز بالنسبة لك؟.

خفضت عينيها متجنبة نظراته وصمتت ولم تجب.

رحل "كورني" حاملًا معه شعورًا هائلًا بالحسرة والألم والغيرة، وتباطأت مركبته بأمر منه، فلم يكن يرغب في الوصول إلى الكوكب، كان يودُّ أن يظل أطول فترة ممكنة تحت تأثير الحالة التي غمرته، شعور غريب انتابه وسيطر على كيانه، ولا يستطيع وصفه أو حتى تفسيره، ورغم أن الشعور العام الظاهر له كان عبارة

عن نوع من الشجن أو الحزن الموجع في القلب، إلا أنه لم يكن ضائقًا بذلك الشعور، على العكس، تمنى أن يظل محتفظًا به إلى الأبد، كان يعلم أن عودته للكوكب بكل صراعاته وآلامه والمعركة التي تنتظره مع "سيفا" لهي أسوأ ما يمكن أن يواجهه، استفاق من أفكاره على صوت أزيز يصدر من جهاز الاستقبال في مركبته مما جعل أعصابه تتوتر وذهنه يتحفز، فهذا الصوت يعني إعلان حالة الطوارئ ورفع درجة الاستعداد القصوى في الجيش، مما يعني أن يتوجه فورًا إلى فرقته، ويستعد استعدادًا كاملًا فهناك معركة قادمة والعدو كالعادة كوكب «سيا»، ولكن التوقيت غريب، منذ فترة وهو يتوقع معركة جديدة بسبب التحرشات والاستفزازات المتتالية لكوكب «سيا» لمركبات الساموز العابرة والناقلة، لكنه لم يتوقع أن تكون بهذه السرعة، أم إنه ابتعد عن الساحة وانشغل بأشياء أخرى؟

انتابته فكرة غريبة، أن اندلاع حرب في هذا التوقيت سيلهي الساموز عن الجمريين، مما يعني أنه بقليل من الجهد يمكن لـ"باي" أن تختفي عن أعينهم، ولكن إلى متى؟، إلى أن يجد حلًّا جذريًّا لهذه المشكلة.

قرر أن يتوجه إلى فرقته ولكن قبل هذا عليه أن يفعل ما تعود أن يفعله دائمًا قبل أن يخرج إلى أية معركة، أن يرى أمه ويودعها.

EEE

كان الحاكم يجلس مطأطأ الرأس على كرسيه، حزينًا، محطمًا، عاجزًا عن أن يغلق عينيه أو يفتحهما، ففي كل الأحوال يطارده طيفها، نظراتها الحزينة، صمتها الدائم، ابتسامتها، دمعتها، كان يحبها في كل الأحوال،

والآن عليه أن يضحي بها، لقد تحققت كلماته التي قالها لـ"كورني" فيما مضى، وهاهو يضحي بها من أجل شعب الساموز.

ولكن هل فعلًا تضحياته من أجل شعبه أم من أجل أن يظل حاكمًا عليهم؟ لم يرغب في أن يعرف الإجابة، وانتزعه من أفكاره الحزينة دخول "دافي" و"سيفا" وهي ترتدي زيها العسكري كاملًا، وقالت بتوتر: سيدي الحاكم، صدرت الأوامر من القيادات الحربية برفع درجة الاستعداد القصوى للجيش، والتجهز لصد هجوم الأعداء.

قال بشرود وأثر الصدمة يسيطر على عقله: أين رفيقتي؟

تبادل "دافي" و"سيفا" نظرات قلقة، ثم توجه "دافي" إليه، وقال بصوت لين: لقد اعترفت بكل شيء، اعترفت أنها من الجمريين، وأن من علَّمها ذلك هي أمها الرحمية، وهي التي صارت مرضعتها ومربيتها، كانت من المختارات لكن لم يمنعها ذلك من ممارسة أفكارها الشاذة الغريبة مع الطفلة التي ربَّتها، فحولتها إلى جمرية.

إن طائفة الموهادز كلهم لا أمان لهم، سفليين أو رقباء أو مختارين، كلهم لا أمان لهم، من خلال اعترافات الجمريين علمنا أن بعض الرقباء آمن بفكرهم وانضم إليهم، والآن لا يمكننا أن نثق بهم أبدًا، أصبح خطرهم مستفحلًا، أفكارهم المدمرة تسللت إلى كثير من الساموز، لن أندهش إذا ما قمنا بحملة واسعة للتفتيش عن الجمريين بين الساموز فسنجد الكثير منهم.

هتف الحاكم بغضب يائس: أين رفيقتي؟

قال "دافي" بصوت كالفحيح: لقد ارتأينا إعدامها بإلقائها في الثقب الأسود؛ لذلك أرسلناها إلى هناك.

نظر إليه الحاكم وهو يهم أن يفتك به، وقال بصراخ: ماذا فعلت! هل أمرتك بذلك؟

"دافي" كان مدركًا تمامًا أن الحاكم لا يجب أن يرى رفيقته أبدًا، لأنه بالتأكيد سينهار أمامها ويفسد كل ما يبنيه، وخاصة إذا ما رأى ما فعله بها هو و"سيفا" لينتزعا اعترافاتها، لذلك فقد أخذ يداهنه: سيدي الحاكم، لقد كنت أنوي تقديمها للمحاكمة لولا أننا الآن على شفا حرب ولا وقت لدينا لمعارك جانبية، قضية هامة كتلك ستثير الناس وتقسمهم إلى فريقين، فريق يؤيد اتهام رفيقة الحاكم، وفريق يريد تبرئتها والعفو عنها، ونحن الآن في أمسِّ الحاجة للوحدة في مواجهة الأعداء، لا نريد أن يلتهى الناس بأي شيء سوى بالحرب القادمة، نريد تأييدًا كاملًا لك ولقراراتك، فمن يعلم إلى أي طريق ستقودنا المعركة القادمة وأية قرارات ستدفعنا لاتخاذها؟، لقد فعلت هذا لمصلحتك، لمصلحتك أنت، فأنت الحاكم الذي سيجتمع عليه الناس ويؤيدونه في كل قراراته، السيدة اعترفت واعترافها مسجل بالصوت والصورة، وتم عقابها حسب القانون، والآن عليك أن تعد نفسك للحمل الثقيل الذي ينتظرك، ولتشحذ كل أفكارك في كيفية الفوز على خصومك والانتصار في الحرب القادمة لتزداد شعبيتك لدى شعب الساموز.

ولكن قبل ذلك، عليك استصدار أمر بتدمير التابع «فايري» بمن فيه، بالسفلة والرقباء، فكلهم جراثيم للخيانة، ولا نستطيع أن نتركهم يتكاثرون

ويصيبون كوكبنا بالعدوى الخبيثة، يجب أن نستأصلهم جميعًا، لا يمكن أن نسمح بإعدام أفراد آخرين من شعب الساموز، وكذلك علينا مطاردة الجمريين من المختارين والقضاء عليهم، فتوغلهم داخل حياة الساموز جعلهم أشد خطرًا علينا من السفلة والرقباء.

أخذ "دافي" يوغر صدره ويستثير في قلبه الحقد والغل تجاه الموهادز، واستطاع بدهاء توجيه كل مشاعر الغضب والكراهية التي بداخله ومشاعر الحزن والأسى على رفيقته التي فقدها إلى حممٍ مستعرة تجاه الموهادز جميعًا.

رفع رأسه وقال والغضب يتقاطر من عينيه: دمر التابع.

ارتسمت ابتسامة انتصار على وجه "دافي"، وقال بهدوء: هذا هو عين الصواب، الآن أيها الحاكم الحالي (والقادم) ، استعد جيدًا، فالمرحلة القادمة هي أهم المراحل في حياتك.

انسحب بسرعة من المكان ولم يدع أية فرصة للحاكم يفكر فيها أو يعيد حساباته أو يغير رأيه، وذهب لتنفيذ الأوامر بسرعة.

EEE

(10)

لم يكن "كورني" يتوقع أن عودته للكوكب ستتسبب له في أكبر صدمة في حياته، لم يصدق ما سمع عندما علم أن أمه رفيقة الحاكم تم اعتقالها، فتوجه من فوره إلى الحاكم والغيظ يأكل قلبه، والحاكم لا يزال جالسًا بجمود في كرسيه ورأسه بين كفيه والشرود الحزين يذهله عن العالم.

صرخ "كورني" فيه: لا يمكن أن تصل إلى هذه الدرجة، لا يمكن أن تبلغ بك الأنانية وحب السلطة إلى التضحية بأطهر امرأة في هذا الكون!.

رفع رأسه ببطء وقال بشرود: لقد اعترفت، وتمت إدانتها بالأدلة.

صرخ بجنون: اعترفت وأُدينت! بأية تهمة؟ وما الجريمة التي ارتكبتها؟ هل سرقت! قتلت! استغلّت منصب الحاكم! استخدمت سلطاتها في استعباد الآخرين! ضحت بأقرب الناس إليها من أجل كرسي الحكم!

رد الحاكم بصوت مهزوز وعيناه زائغتان: إنها من الموهادز.

أصيب "كورني" بصدمة هائلة، وقال بصوت أشبه بالهمس: من الموهادز!

لم يكن يعرف ماذا يمكن أن يقول، وتوالت في ذهنه بسرعة البرق

مواقف شتى بينه وبين أمه لم يكن وقتها لها أي معنى، ولكن الآن يمكن أن يكون لها آلاف المعاني، حتى توقف عند الموقف الذي جمعهما مع "باي" وردة فعلها تجاهها، فهمس بفهم وكأنما توصل ذهنه إلى الحقيقة: "باي".

ولكن ما لبث أن راوده خاطر لمع في عقله، فاستعاد رباطة جأشه وصرخ في وجه الحاكم: وماذا لو كانت من الموهادز؟ أهذا يدينها؟ وهل ارتكبت جرمًا لأنها من الموهادز؟

أكمل الحاكم ببطء: بل لأنها من الجمريين. أقدر مدى صدمتك حتى أنك لا تدري ما تقول، حتى أنا كان وقع الخبر عليّ رهيبًا، و"دافي"...

صرخ بعنف: "دافي"! "دافيط و"سيفا"، أهؤلاء هم من أوغروا صدرك ضد رفيقة عمرك؟ أهؤلاء هم من أقنعوك أنها مدانة؟، لقد يئست "سيفا" من أن تصبح رفيقة لحاكم مستقبلي، والآن أصبح الطريق خاليًا أمامها لتصبح رفيقة لحاكم حالي.

نظر إليه الحاكم بذهول وكأنما فاجأه كشفه لما يدور في ذهن "دافي" وخططه الماكرة.

أكمل بحسرة: أيها الحاكم لأكبر كوكب للمجموعة الشمسية وأهم أعضاء مجلس الحكماء، ألم يخطر ببالك أن تلك المتوحشة هي مخلوقة سادية بلا أخلاق أو إحساس، ألم يدر بخلدك أنها تنتقم مني؛ لأنني رفضتها، لقد فشلت في قتل السفلية التي فضلتها عليها، والآن تنتقم مني في أغلى ما لدي، في أمي،

خطة محكمة تنال بها كل مآربها، يخلو لها المكان لتصبح حاكمة للساموز، وفي نفس الوقت تؤلمني أشد الألم، وتتلذذ بالانتقام مني، لم أرَ في حياتي خسة ولا نذالة ولا بشاعة كتلك!، أهذه هي التي كنت تريدني أن أرافقها!

ولكن، أنت، كيف تقبل بهذا!

كيف تصدق بهتانهم وافتراءهم على أمي!، أمي التي كنت تريد أن تأتي لها بالنجم لو طلبته، لقد قلتها لي مرة، هل تذكر؟، أن مصلحة شعب الساموز فوق كل شيء، وقتها لم أفهم، لكنها لم تكن أبدًا مصلحة شعب الساموز، بل مصلحتك أنت. بم وعدوك؟

التفت إليه بحدة مصدومًا لكنه لم ينطق، وأكمل "كورني" بغيظ ودموعه تجري أنهارًا: هل وعدوك أن تظل حاكمًا للساموز؟ هل سيغيرون القانون لأجلك؟

لم يستطع الرد، فأكمل "كورني": ليس هذا ببعيد، فهم إذا شاءوا فعلوا، لقد تغلغل الزايانز داخل شعب الساموز حتى استولوا على عقولهم وسيطروا عليها، فأي شيء سيقولونه لهم سيصدقونه على الفور، حتى لو كان مخالفًا للقانون، وضد كل ما نؤمن به.

قال الحاكم بصوت مهزوز محاولًا الهروب من الموضوع: ليس هذا بوقت النقاش ولا الحساب، فنحن على شفا حرب، انضم إلى فرقتك واستعد جيدًا؛ فالأمر هذه المرة أخطر بكثير من المرات السابقة.

هتف "كورني" بسخرية مريرة: لأجل أي شيء أحارب، من أجل كوكب الساموز، أم من أجلك أنت، أم من أجل الزايانز الذين أوقعوا بأمي في مؤامرة قذرة؟

أمسك بعلامة قائد الفريق المنحوتة على زيِّه، وأمسك بسلاحه وصوبه إلى العلامة وضغطه فانفصلت بسرعة عن بزته محدثة ثقبًا فيها، ألقى إليه بالعلامة التي انتزعها، وهو يقول بغيظ: لم يعد هذا الأمر يعنيني بعد أن انكشف أمامي كل شيء.

هتف الحاكم بصوت حاول أن يجعله صارمًا لكن رغمًا عنه خرج مهزوزًا: أتعصي الأوامر؟

رد بثبات: لم أعد من أفراد جيشك. والآن، دعهم يعتقلوني مع أمي

قال الحاكم بصوت خفيض: أمك ليست في المعتقل، إنها في...

أصغى "كورني" باهتمام ودهشة وعندما لم يستطع الحاكم أن يكمل هتف بتوتر: أين ذهبتم بها؟

أجاب بتردد: في، في النفايات.

صرخ "كورني" بجنون: لا، لا يمكن أن تفعل بها هذا! بلا قانون، بلا محاكمة!، وهل ثبتت عليها التهمة التي ترمونها بها!، وحتى لو ثبتت، ما أدراكم أن مجلس القضاة سيوصي بإعدامها؟، إن ما تفعله لهو شيء رهيب،

أكلُّ هذا من أجل أن تظل حاكمًا؟، لم أرَ في حياتي من هو أبشع منك، ولكن عليك أن تتذكر مهما طالت فترة حكمك فمصيرك في النهاية ككل الساموز إلى مقلب النفايات، لا أحد يفلت أيها الحاكم، من الآن ابدأ بِعَدّ أيامك القادمة على هذا الكوكب؛ لأنها أقل بكثير من الماضية.

تركه وانطلق يجري ويتخبط محاولًا مسابقة الزمن قبل أن تأتي حاملة النفايات الكبيرة إلى كوكب النفايات لتحمل جثثَ وشيوخَ وعجائزَ الساموز والنفايات الصلبة لتقذفهم إلى الثقب الأسود، كانت مركبته تسير بسرعة جنونية، وكادت أن تصطدم أكثر من مرة بالصخور الفضائية الضخمة حتى وصل إلى تابع النفايات، وهبطت في الجانب الذي تتجمع فيه جثث الساموز ونفايات الكوكب الصلبة.

نزل من المركبة راكبًا دراجته السريعة وخوذته المقربة حتى يستطيع أن يرى بها أكبر مساحة ممكنة في المكان،

وجد شيوخ الساموز الذين تجاوزوا السن القانونية جالسين في المكان، وجذبته وجوههم اليائسة ونظراتهم الذاهلة، وآلمه كثيرًا منظرهم، وبرغم أنه كان منهمكًا في البحث عن أمه، لكنه لم يستطع أن يمنع عقله من التفكير في هؤلاء الشيوخ ومشاعرهم وهم يعلموا حق العلم أنهم لن يلبثوا في الحياة إلا قليلًا.

ترى هل يدرك كل سامو أنه سيصل يومًا إلى هذا العمر، ويضطر إلى مغادرة الكوكب إلى هذا المكان ومنه إلى النهاية؟!!

ورغمًا عنه أخذ يقارن بين وجوههم الحزينة وذلك الخرس المسيطر عليهم والقنوط الشديد وبين ابتسامة جد "باي" والحياة التي تنضح من ملامحه وكلماته، استغرق بحثه وقتًا طويلًا، وعندما يئس من العثور على أمه دار على الشيوخ والعجائز واحدًا واحدًا وأخذ يسألهم عنها، الغالبية لم يردوا، كانوا يائسين مصدومين، لكن أحدهم نطق أخيرًا وأجابه: ابحث عنها بين جثث الساموز.

هتف "كورني" باستنكار: جثث! لا مستحيل، لا يمكن أن تكون ميتة.

قال الشيخ: لا يأتي إلى هذا المكان من الساموز مِمّن هم قبل السبعين إلا الجثث، أو أشباه الجثث.

أخذ "كورني" يجوس رغمًا عنه بأقدامه خلال أكوام الجثث، كان النور الذي بداخله يذوي وينطفئ مع كل خطوة يخطوها، وتموت روحه جزءًا جزءًا، جثث كثيرة، أكوام فوق بعضها البعض، بعضها ميت وبعضها به بقايا حياة، لكن ما لفت انتباهه أنهم لم يكونوا فقط جثث الساموز، بل إن بينهم جثثًا للموهادز، ورغمًا عنه أخذ يفكر: أيدري الساموز مصيرهم النهائي!، أيعلمون أنهم والموهادز مصيرهم واحد ونهايتهم واحدة في مقلب النفايات، ثم إلى الثقب الأسود!، طوال حياته لم يتوقف لحظة أمام تلك الفكرة.

ترى، أكلُّ الساموز مثله لم يخطر ببالهم ذلك؟ أم أن هناك من يسيطر على عقولهم ويوجهها إلى أفكار واهتمامات أخرى، أو يضعفها ويلغيها بمدهم بالأشعة التي تدمر خلاياهم؟

لم يكن متأكدًا من شيء، لكن الشيء الوحيد الذي هو متأكد منه أنه لا أحد من الساموز أتى إلى هنا، إلى مقلب النفايات والجثث رغم علمهم التام بمصيرهم المحتوم، حتى هو رغم تردده المستمرعلى تابع النفايات ليرى "باي"، لكنه لم يأتِ أبدًا إلى هذا الجانب من التابع. مقلب النفايات والجثث، المصير المحتوم للإنسان سواء كان سامو أو موهادز، ونهايته التي لن تتغير ولن يستطيع الهرب منها مهما فعل.

انتفض قلبه فزعًا عندما رأى خاتم أمه، وانكب على اليد التي تلبسه، وخلص جسدها من بين كومة الجثث المقلوبة فوق بعضها البعض، احتضنها وهو منهار وينتحب بقوة، ومضى وقت طويل قبل أن يهدأ ويبدأ في تأمل ما فعلوه بها، ورأى بوضوح الكدمات والدماء التي تغطى وجهها وجسدها العارى، آثار أحزمة التعذيب فوق ساقيها ومعصميها، وجهها الجميل اختفت معالمه تحت الدماء الكثيفة، أكلَ الغضب قلبه حتى صار كتلة حجر اشتعلت فى الفضاء ولا يطفئها شيء، أخذ يصرخ بجنون، ودموعه لا تتوقف وهو يحتضن جسد أمه المحطم

ورغمًا عنه اتجه عقله إلى صورة سابقة مرت عليه... صورة "باي" عندما رحل بها من المسرح وكان جسدها محطمًا أيضًا، ولم يفهم ما هو ذلك الرابط الغريب الخفي الذي يربط أمه و"باي"، كان يشعر بتشابه كبير فيما بينهما، وكلما التقى واحدة ذكرته بالأخرى؛ مما دفع عقله إلى إعادة

السؤال: هل أمه حقًّا من الموهادز؟ هل هي جمرية كـ"باي"؟ وماذا لو كانت كذلك؟، أو ليست "باي" من الموهادز، وكان هو يتمنى أن تكون رفيقته؟

استفاق من أفكاره ليجد أن صراخه اختفى، ولا يزال يحتضن أمه وكل شيء فيه تجمد سوى عقله، والصور والأفكار تتصارع بداخله، وأخذ يستعرض حياته منذ أن التقى "باي".

كان يشعر أن "باي" هي نقطة فارقة غيَّرت مجرى حياته، قبل أن يراها كان سعيدًا وراضٍ عن حياته، ومنذ أن عرفها لم يعرف سوى الألم والحزن، ورغمًا عنه صبَّ غضبه نحو "باي"، وحاول جاهدًا أن يحوِّل حبها الذي ملأ قلبه إلى كراهية، لكنه أدرك أن محاولاته لن تنجح إلا لو كره نفسه، فحبُّ "باي" يتخلل ثنايا روحه، وقتْلُ حبها معناه سحق قلبه معه.

انتفض فزعًا عندما تأوَّه الجسد الميت بين ذراعيه، نظر في وجهها بتمعن ولهفة، وأخذ يمسح الدماء عن عينيها ووجهها وهو يهتف بلوعة: أمي، أمي، أنتِ حية؟

سالت دموعه غزيرة عندما فتحت عينيها ببطء، وهمست بضعف: "كورني"!

قال بألم: ماذا فعل الوحوش بك يا أماه؟

همست بضعف: لا تغضب، إنه قدري، وأنا راضية به.

كان يستمع لهمسها ودهشته تتضاعف، تلك الكلمات الغريبة التي لم يسمع مثلها في حياته، لكن السؤال كان لا يزال يشغله ويسيطر على عقله، فقال بأسًى: لا. مستحيل، أنت لست من الموهادز! لا يمكن أن تكوني منهم.

قالت بحنان: صغيري، الموهادز ليسوا فئة دون البشر تحمل صفات وراثية خاصة، الموهادز بشر من جنس الإنسان لكنهم يحملون قضية، ويتبعون أفكارًا تقود حياتهم ويسيرون على نهجها مهما حاول الساموز والزايانز السيطرة عليهم أو ترويضهم أو محو عقيدتهم، فدائمًا ما يعودون إلى أصولهم ونهجهم وعقيدتهم، وهذا هو سر عداء الساموز والزايانز لهم، صدقني، لم أندم يومًا أنني موهادز، بل تمنيت لو أفتخر بذلك وأعلنه للناس، لكنك تعلم كم هي قاسية حياة الساموز.

قال بسرعة: أمي، عليّ أن أخرجك من هنا، وأستدعي الأطباء لمداواتك.

قالت بضعف: يا بنيّ، دعك مني لقد انتهيت، لست نادمة على ذلك ولا حزينة على العكس، لقد تحررت أخيرًا من أسري، أستطيع الآن أن أقول كل ما أخفيته في نفسي، أستطيع أخيرًا أن أناديك باسمك الذي اخترته لك بنفسي «قرآني» نعم أنت "قرآني".

كان يستمع إليها بذهول، ومن جديد عادت صورة "باي" إلى رأسه، فكلماتها تشبه كثيرًا كلمات "باي".

أكملت الأم: "باي"، عليك أن تنقذ "باي"، سمعت "سيفا" و"دافي" يتحدثان عن مركبة سيرسلانها لتدمير «فايري»، أنقذها يابني، هي وكل من على القمر «فايري».

قال بلهفة: أمي، لا أستطيع أن أتركك هنا.

كانت عيناها تغمضان، وصوتها يخفت وهي تهمس: أنقذها يابني، فهي الوحيدة القادرة على إنقاذك من الجحيم.

همس بذهول: الجحيم!

كان يحاول إعمال عقله في كلماتها الغريبة، لكنه لم يفهم، تطلعت عيناها إلى السماء وهمست وابتسامة ضعيفة نبتت على شفتيها: رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة ونجني من القوم الظالمين.

وقف "كورني" حزينًا محطمًا يراقب ناقلة النفايات وهي تضع الجثث- ومن بينهم جثة أمه- داخل الكبسولة الكبيرة التي ستقذف بها في الثقب الأسود من بعيد دون حتى أن تحاول الاقتراب منه وإلا جذبها إلى داخله بقوة جذبه الرهيبة.

جاء دور الشيوخ والعجائز وتألم قلبه المسحوق وهو يسمع صراخهم وأنينهم ويرى محاولاتهم اليائسة للمقاومة والهروب، وفي النهاية يلقيهم الرقباء رغمًا عنهم داخل الكبسولة، وتغلق عليهم وتبتلعهم الناقلة القديمة لتبدأ رحلتها نحو الثقب الأسود.

كان عقله مشتتًا وحزينًا للغاية، لقد عاشت أمه بالنسبة إليه سرًّا غامضًا لا يفهمه، حتى لحظات عمرها الأخيرة بين يديه كانت كلها كلمات غامضة وألغازًا يعجز عن تفسيرها، كلمات تشبه إلى حد كبير كلمات "باي"..

«باي»

استفاق فجأة وكأنما عادت الذاكرة إليه، سوف يدمرون التابع بمن عليه، ستنتهي "باي" كما انتهت أمه، ركب دراجته ووصل إلى مركبته في لحظات قليلة، واندفع مسرعًا بها إلى الجانب الآخر من تابع النفايات، ووصل إلى نفس المكان الذي اعتادت أن تجلس فيه فوق التلة، عندما نظرت إلى وجهه استوقفها بشدة ذلك الحزن الذي ملأ عينيه، والألم الذي غمر ملامحه.

قال مباشرة: عليكم مغادرة التابع «فايري» على الفور.

قالت ببطء: أنت لا تيأس أبدًا، أخبرتك من قبل أنني سأعيش وأموت هنا بين أهلي ومع أسرتي.

قال: لن تكوني وحدك، يجب أن يغادر الجميع التابع، قرر الزايانز والساموز تدمير التابع بمن عليه.

صدمتها كلماته فهتفت بغضب: والصغار! ما جريمتهم؟ إن التابع ملئ بالصغار!.

قال بمرارة: الساموز والزايانز لا يفكرون بهذه الطريقة.

قالت بفهم: إذًا، فلقد أصدروا حكمهم علينا بالإعدام. كنت أعلم أنهم سيتخذون تلك الخطوة في النهاية.

قال بتوتر: اسمعيني، سأساعدكم، سأحملكم في مركبتي إلى مكان آخر بعيد؛ لتكونوا في أمان.

قالت بيأس: أينما ذهبنا سيصلون إلينا، ألا تتذكر اتفاقيات مجلس الحكماء عن إعادة الموهادز الهاربين إلى كوكبهم!.

قال بصدق: لا تيأسي الآن، عليك أن تثقي بي، فأنا ابن...

كاد أن يكمل جملته التي اعتاد أن يقولها دائمًا، لكن لسانه عقد وملأ الدمع عينيه؛ فأكمل بأسًى: أنا! لم أعد أعرف من أنا.

نظر في عينيها: اسمعيني أرجوك، يجب أن تعيشي، أنا بحاجة ماسة إليك، أنت الوحيدة القادرة على الإجابة عن كل الأسئلة التي تدور في عقلي، هكذا قالت أمي.

ابتلع ريقه بصعوبة عندما تذكر أمه وغمر الدمع عينيه وهو يكمل بهمس: قبل أن يقتلوها.

اتسعت عيناها من الذهول وهمست بصدمة هائلة: قتلوها!

قتلوا رفيقة حاكم الساموز!

قال بحزن شديد ودموعه تسيل: كنت تعرفين أن هذا سيحدث، كنت تعرفين أنها من الموهادز الجمريين.

طأطأت رأسها وكساها الألم ممزوجًا بالصدمة والدهشة، ثم وقعت عيناها على الثقب الذي في ملابسه، فأخذت تتأمله باستغراب، فنظر إلى حيث تنظر، ثم قال: نعم، لم أعد منهم، لقد تركت جيش الساموز.

قالت باستغراب: لماذا! لماذا تفعل كل هذا!

قال يائسًا: لا تسأليني عن شيء، أنا الذي بحاجة ماسة لإجابات، لا تموتي أرجوك؛ فأنا بحاجة إليك.

همست شاردة تتحدث إلى نفسها: لِمَ يطالبني الجميع بذلك؟

سمع "كورني" صوتًا سمعه من قبل ينادي من خلف التلال: "باي"

التفتا إلى الصوت وأخذت "باي" تجري نحوه ليتكرر نفس المشهد السابق كما رآه "كورني" من قبل، لكن هذه المرة كان ألمه يتضاعف، نزلت "باي" من فوق التلة عائدة إلى "كورني" وهى تمسك بيد "شاهي" بقوة، وعندما رآهما "كورني" مقبليْن عليه كتم ألمه وأخفاه بداخله بسرعة، وركز تفكيره في شيء واحد وهو المهمة التي أتى من أجلها.

قال "شاهي" بمجرد أن وصل إليه: "باي" تقول إنك أتيت لتحذيرها ومساعدتها في إنقاذ من على التابع «فايري»!.

هز رأسه موافقًا.

قال "شاهي" بشكٍّ: ولكن هلَّا أخبرتني لم يهتم أحد أفراد جيش الساموز بمجموعة من السفلة الموهادز؟

فوجئ "كورني" بالسؤال، وصمت عاجزًا عن الإجابة، فلم يتوقع أن تأتيه أسئلة كتلك قبل أن يجد إجابات للحيرة التي بداخله، لم يكن مستعدًا بعد للإجابة عن أي سؤال، وأدرك أنه سيفشل بالتأكيد في كسب ثقة الجمريين، لكن "باي" فاجأته وأجابت نيابة عنه: لأن أمه كانت من الموهادز الجمريين.

قال "شاهي" بدهشة: أحقًّا؟

نظر "كورني" إلى "باي" قليلًا، ثم هز رأسه موافقًا، وأكملت "باي": وقتلها الساموز.

قال "شاهي" مباشرة: علينا العودة بسرعة إلى «فايري»؛ لإنقاذ الموهادز، لقد أتتنا معلومات أن فرقة من الساموز تحركت بالفعل متجهة إلى «فايري»، ظننا أنها تفتش عن شيء ما، لكن يبدو أنها لتدميره، وعلينا أن نسبقهم.

انطلق "كورني" و"باي" بسرعة إلى مركبته بعد أن تركهم "شاهي" وقال إنه سيتبعهم، ولم يفهم "كورني" كيف سيتبعهم، وتوقع أنه ربما سيركب الناقلة الكبيرة، لكنه فهم عندما وجد مركبته الحربية التي دفنت في تابع النفايات وعجز عن إخراجها تطير إلى جوار مركبته، نظر إلى

"باي" بتساؤل، فهزت رأسها موافقة دون أن تتكلم، وفهم هو أن الموهادز استطاعوا استخراج مركبته وإصلاحها واستخدامها.

وصلت المركبتان إلى «فايري» وهبطتا متجاورتين، وافترق الثلاثة كلٌّ في اتجاه، وكلٌّ له مهمة وهدف يسعى إليه، "باي" اتجهت مباشرة إلى الملجأ لتجمع الأطفال وتصحبهم إلى المركبة وتُخلي الملجأ قبل قدوم الساموز.

"كورني" أخذ يبحث عن الجد ليساعده في إقناع الموهادز أنه أتى لمساعدتهم ولإنقاذهم، فقد أدرك أنهم لن يطأوا مركبته لأنه سامو، وكذلك لن يستمعوا إليه، أما "شاهي" فقد كان فوق كتفيه عبءٌ ثقيلٌ يريد أن يتحرر منه حتى يستطيع إنجاز مهمته، فاتجه مباشرة إلى والده وجثا أمام الطاولة التي لا يرفع أبوه عينيه عنها أبدًا، وبقي صامتًا لفترة ينتظر أن ينظر إليه لكنه لم يفعل، امتلأت عيناه بدموع الحسرة والألم، وأخذ يتوسل إليه: أبي، أرجوك سامحني.

كما كان يتوقع لم يتلق منه ردًّا، أو حتى التفاتة، ولكن هذه المرة لم تكن ككل مرة أتى فيها يستعطفه ليصفح عنه؛ فقال بإصرار: عليك أن تسامحني يا أبي، لقد وصلت إلى نهاية الطريق، الساموز قادمون لتدمير القمر، وعليَّ أن أحملكم إلى مكان آمن، أعلم يقينًا أن هذه هي مهمتي الأخيرة، ولا يمكنني الإقبال على الموت دون أن أتأكد أنك سامحتني.

رفع الأب عينيه ببطء، لأول مرة منذ زمن طويل ينظر في وجهه، وشعر "شاهي" باقتراب أمله، وسالت دموعه وهو يقول: أعلم أنني أخطأت بعصيانك وبمخالفة العهد، ولكن أملي في رضاك ومغفرة ربي ورحمته كبير، فلا تبخل عليَّ يا أبي، لا تكن سببًا في مهابتي للموت، أريد أن أموت طاهرًا من هذا الذنب المهلك.

بدأت عضلات وجهه الحجريّ تلين بالرحمة، ويملأ الحنان نظراته، وشعر "شاهي" بتغير كبير هذه المرة، وبأنه سينال ما سعى طويلًا لأجله، فانكب يقبل يديه ودموعه تغرقهما، سحب الأب يديه وأمسك برأسه واحتضنها بقوة وارتمى "شاهي" بشوق يغمر وجهه في أحضان أبيه وهو ينتحب، أما "كورني" فقد وجد الجد أخيرًا يسير مع حفيدته "إيما" الصغيرة التي تهللت سرورًا عندما رأت "كورني"، لكنه لم يكن لديه الوقت الكافي ليتحدث إليها كما كان يفعل كلما رآها، فاكتفى بأن يمسح على شعرها بحنان، وقال مباشرة للجد أحتاج إلى مساعدتك، عليكم أن تغادروا التابع على الفور.

ابتسم الجد قائلًا: وفيم تحتاج مساعدة شيخ كبير مثلي كان من المفترض أن يكون الآن في الثقب الأسود؟

أغمض "كورني" عينيه بألم بعد أن عادت إليه ذكرى ما رآه في مقلب النفايات، لكنه سرعان ما احتوى ألمه وأغلق عليه قلبه وابتلع ريقه قائلًا: أنت هنا الأكبر عمرًا، والجميع يستمع إليك ويحترم كلماتك، الساموز

سيدمرون التابع، وعليك إقناعهم بالرحيل معي إلى مكان آمن، فهم لن يمنحوني ثقتهم لأنني من جيش الساموز، لن يصدق أحد أنني أبتغي مصلحتهم.

هتفت "إيما" بحماس وهي تتعلق بحزامه: أنا أصدقك.

نظر في وجهها البرئ وابتسم لها بحب، كانت هي المخلوق الوحيد الذي أعاد إليه بعضًا من ابتسامته التي انصهرت بلهيب الأحزان.

نظر الجد إليهما وابتسم قائلًا: لا أعتقد أنه من الممكن ألا يصدقونك بعد كل ما فعلته في المرة الأخيرة، حتى ابني، سيصدقك بالتأكيد.

لم يتم الكلمة حتى سمعوا أصوات هرج قادمة من بعيد، وفجأة ظهر "شاهي" مقبلًا نحوهم يجري فزعًا.

هتف "كورني" بتوتر: هل وصلوا؟

قال "شاهي" وهو يلهث: جاء طفل من الملجأ يخبرني أن الرقباء يحاصرون الملجأ، وهناك معركة تدور بداخله.

لم يتكلم "كورني" بل انطلق يجري بصحبة "شاهي" ووالده وبعض رجال الموهادز تجاه الملجأ؛ لينقذوا "باي" وأطفال الملجأ من أيدي الرقباء.

EEE

كانت "باي" منهمكة بتجميع الصغار والاطمئنان أن أحدًا منهم لم ينقص أو يبتعد عن المجموعة، ويساعدها بعض نساء الموهادز المسؤلات عن الملجأ، لكنها انتفضت عندما سمعت صوتًا كريهًا لديها يقول: إلى أين تنتوون الهرب، ليس قبل أن نصفِّي ما بيننا من حسابات أولًا.

نظرت إليه بكراهية عنيفة، فقال بمقت: هذه المرة لم آت وحدي.

نظرت حولها لتجد مجموعة من الرقباء قد التفوا حوله، ثم مدت بصرها إلى فتحة النافذة لتجد أعدادًا منهم حول الملجأ، فجأة هجم اثنان منهم على "باي"، وأمسكوا يديها بقوة، أما الباقون فقد أبعدوا النساء والأطفال عنها بقسوة، واقترب الرقيب منها واعتصر رقبتها بين أصابعه حتى كاد أن يزهق روحها، وقال بحقد: سيكون موتك مؤلمًا، مؤلمًا للغاية.

رفعت قدمها بسرعة وركلته بين ساقيه بكل قوتها، فانحنى متأوّهًا بألم كبير، وكانت هذه الركلة كطلقة قذيفة البدء للهرج الشديد؛ فالنساء والأطفال عندما رأوا الرقيب الذي كان مظهره يبث الرعب في قلوبهم يتأوه بهذه الطريقة و"باي" المقيدة بلا حول ولا قوة وحولها عدد من الرقباء الأشداء، ورغم ذلك استطاعت ركله وإيلامه بجرأة لا مثيل لها؛ تولدت في قلوبهم شجاعة هائلة أشعلها لهيب الانتقام، وغذَّتها كراهية عنيفة من القدم وحتى الآن لم تنتهِ، فما من أنثى على التابع «فايري» إلا وتأذت وتحطمت من الرقباء وأفعالهم، وما من طفل إلا وأصابه الرعب والألم من وجوههم وأصواتهم....

لكن، في هذه اللحظة كانت الرغبة في الانتقام أقوى من أي خوف أو ألم، فالجميع يشعر بدنو الموت منهم حتى صار أقرب إليهم من جلودهم، فاشتعل الهرج والشغب في المكان، ولم يتوقع الرقباء تلك المقاومة العنيفة والعدوانية الشديدة من قِبَل النساء والأطفال حتى أنهم أصيبوا بصدمة مفاجأة شلت حركتهم للحظات كانت كافية لنساء وأطفال الموهادز الضعفاء بإعمال الضرب والركل فيهم، واستطاعت بعض النساء انتزاع العصيّ الإلكترونية من بعض الرقباء، وانهالوا بها عليهم صعقًا وتعذيبًا، حتى أن أحدهم قُتل في المكان، وهجمت إحدى النساء بمساعدة ثلاثة من الأطفال على الرقيب الذي يقيد يد "باي" اليمنى وطرحوه أرضًا وانهالوا عليه ضربًا بالمقاعد والفرش حتى قتلوه، واستطاعت "باي" بعد أن تحررت يدها دفْعَ الثاني الذي يمسك بيدها اليسرى بعد أن شلته صدمة رؤية زملائه يقتلهم مجموعة من النساء والأطفال العُزَّل، وأسقطته أرضًا واستولت على سلاحه وقتلته على الفور.

فجأة صرخ الرقيب بعنف: فليتوقف الجميع وإلا قتلتها.

التفت الجميع إليه فوجدوه قد أمسك بطفلة وصوب سلاحه إلى رأسها، وأخذ يتراجع ببطء حتى التصق بالجدار،

توقف الموهادز على الفور وامتلأت "باي" بغضب هائل وهي تلقي بسلاحها أرضًا حتى لا تتأذى الطفلة

EEE

(11)

وصل "كورني" و"شاهي" ووالده ومن معهم من الموهادز إلى ملجأ الأطفال، وعلى الفور بدأت معركة عنيفة حول الملجأ بين جموع الرقباء ورجال الموهادز ومعهم "كورني"، وسمع جميع من في الملجأ أصوات المعركة التي تدور خارجه وأصوات الرقباء يصرخون مستغيثين فعادت إليهم شجاعتهم، وبدأت تعلو الهمهمات وصيحات الغضب بين النساء والأطفال، وشعر الرقباء بالداخل بالقلق الشديد، وكان أكثرهم قلقًا رئيسهم الذي يمسك بالطفلة، ورأت "باي" الخوف في عينيه فتحركت تجاهه ببطء.

قال بتوتر: لا تقتربي، سأقتلها.

بدأت الصغيرة تبكي من شدة ضغطه على عنقها، ولكن "باي" تقدمت أكثر وهي تقول: لا يمكنك أن تضحّي بدرعك الحامي، لو قتلتها فستصبح عاريًا ويمزقك كل من على سطح هذا القمر، أنت تشعر بالأمان طالما هي حية.

كانت عيناها تشعان ببريق مخيف وهي تتقدم منه ببطء وهو يرتعد ولا يدري إلى أين يذهب، وأصوات صراخ الرقباء في الخارج تفتُّ في عضده وعضد كل من معه بالداخل، لكن مشاعر الغضب والانتقام تغلبت عليه، واستولت عليه رغبة عارمة لقتل "باي"، فصوب سلاحه إليها وأطلقه دون

تفكير، وأصيبت "باي" وسقطت أرضًا، وتفجر الهرج الغاضب في المكان، وعلت صرخات النساء والأطفال الغاضبة، وانهالت ضرباتهم على الرقباء الذين هزمهم الخوف قبل أن تهزمهم النساء والأطفال، ووقف الرقيب مشلولًا لا يستطيع شيئًا أمام ذلك الموج الغاضب والهستيريا الناقمة، أما "باي" فلم تمنعها إصابتها من مباغتة الرقيب والهجوم عليه بعنف بلكمة عنيفة ضربت رأسه بالجدار، ثم دفعت الطفلة بعيدًا وانخرطت معه في معركة عنيفة وتبادلا اللكمات والركلات،

وكانت "باي" شديدة البأس وتناست إصابتها وجرحها الغائر، فقد كانت رغبة الانتقام تشتعل في جسدها وتلهيها عن الشعور بالألم.

أخيرًا اقتحم "شاهي" و"كورني" المكان بعد تغلبهم على الرقباء في الخارج، وأعملوا القتل في الرقباء داخل الملجأ حتى استطاعوا إنقاذ النساء والأطفال، وجرى "كورني" نحو "باي" يحاول مساعدتها، لكنه كان متأخرًا للغاية، فقد استطاعت "باي" رغم جراحها الإجهاز بسكينها على الرقيب حتى لفظ أنفاسه تمامًا.

هتف "شاهي": لا وقت لدينا، على الجميع الدخول إلى المركبة قبل وصول فرقة الساموز.

سأله "كورني": تستطيع أن تقلهم بمركبتي الخاصة، وأنا سأتبعكم بالمركبة الحربية لأحميكم من أي هجوم مفاجئ.

قال "شاهي": مركبتك الخاصة لن تتسع لكل هذا العدد، المركبة الحربية كبيرة وتتسع للجميع، كما أنها أكثر تحصينًا من المركبة العادية، وبها أسلحة متطورة، لذلك فهي أكثر أمنًا وأكثر سرعة.

خرج كل من في الملجأ متجهين نحو المركبة يقودهم الثلاثة "شاهي" و"كورني" ومعهما "باي". سألت "باي" وهي تحث الخطا وتمسك الجرح الذي في كتفها لتوقف نزيفه: لم وصل الرقباء في هذا التوقيت بالذات؟

أجاب "كورني": لا شك أن "سيفا" استغلت رغبة الرقيب في الانتقام، فأرسلته ومعه فرقة من الرقباء لإثارة الهرج في المكان والقضاء على أية محاولة مني لتحذيركم، إن "سيفا" تفهمني تمامًا، وتحاول دائمًا أن تستنتج خطواتي وتسبقني.

التفت إلى "شاهي" وقال: ولكن وجودك لم يخطر ببالها ولم تحسب حسابه لذلك عليك أن تقودنا أنت، فهي تتوقع خطوتي المقبلة.

قال "شاهي": بحسب كلامك فلا أستبعد أن تأتي "سيفا" هذه على رأس الفرقة المكلفة بتدمير التابع.

قال "كورني" وهو يراقب نساء وأطفال الموهادز وهم يدخلون إلى المركبة الحربية أفواجًا: هذا مما لا شك فيه، فقد أصبح هدفها في الحياة الآن هو الانتقام مني، وهي متأكدة أنني سبقتها إلى هنا.

"شاهي": إذًا، علينا خداعها، سآخذ مركبتك الخاصة لأشغلها بها، وتقود أنت المركبة الحربية.

هتف "كورني": بل العكس هو الصحيح، فهذه المعركة بيني وبينها، وأنا أتوق لمعاقبتها بنفسي على ما فعلته بأمي، أما أنت فعليك أن تظل مع أهلك.

هتف "شاهي" وهو يتجه نحو المركبة الخاصة: الأمر ليس شخصيًّا أبدًا، ولا علاقة له بي أو بك، لن أخفي عليك، المركبة الحربية ليست على ما يرام، فهناك عطل ما بها فشلنا جميعًا في إصلاحه بعد أن استخرجناها من تابع النفايات، وما اضطررنا إليها إلا لكبر حجمها، فهي تتسع لجميع من على التابع، بعكس مركبتك الخاصة الصغيرة، كما أنها مركبتك، وأنت أفضل من يتعامل معها ويفهم أجهزتها بحكم تمرسك في جيش الساموز والتدريبات التي تلقيتها هناك، سآخذ مركبتك لأعطل بها "سيفا"، ستظنني أنت، وسأستغل هذا جيدًا.

فتح "شاهي" باب المركبة لكن "كورني" هتف باعتراض: مستحيل أنت لا..

قاطعه "شاهي" متعجلًا وهو يركب المركبة الخاصة: اسمعني جيدًا، لقد قمنا بضبط خط سير المركبة وبرمجناها آليًّا، ومهما انحنيت بها أو التففت أو سرت في طرق مختلفة فستعود إلى مسارها الأصلي حتى تصل إلى نهايته،

مهما حدث لا تحاول تغيير المسار أو محوه أو برمجة مسار جديد، ناور بها كيفما تشاء، ولكن عليك أن تتركها تعود للمسار الأصلي. كلمة أخيرة، تذكر أن هؤلاء البشر من الموهادز يعتمدون عليك وعلى خبرتك الطويلة في التعامل مع المركبات الحربية، ولن أكون أبدًا بمثل مهارتك في المناورة، أتمنى لك النجاح، وداعًا.

أغلق "شاهي" باب المركبة، وركض "كورني" نحو المركبة الحربية وقفز بداخلها وبدأ يفحص أجهزتها ويطمئن على سلامتها، ووقفت "باي" تراقب مركبة "شاهي" وهي تستعد للانطلاق، لكن "شاهي" لم ينطلق بالمركبة، بل فتح الباب ثانية وخرج منها واتجه إلى والده الذي يساعد العجائز والشيوخ في الدخول إلى المركبة الحربية، ووقف ينظر إليه طويلًا، اقتربت "باي" منهما ووقفت تراقب بقلق، وقال "شاهي" برجاء: أنا ذاهب، ولا أدري إن كان مقدر لي أن أراكم من جديد أو لا.

هز الأب رأسه ببطء، ولأول مرة تشق ملامح وجهه ابتسامة دافئة وقال له بحب: سامحتك، سامحتك يا بنيّ.

تهلل وجهه بالفرح وارتمى بين أحضان أبيه، وابتسمت "باي" ابتسامة واسعة، وعانقته بقوة وهي تقول: اعتنِ بنفسك جيدًا ولا تتهور.

جاءت أمه مهرولة وعانقته بحب وأغرقت خده بالقبلات ودموعها تجري على خديها، ثم قفز من جديد إلى المركبة وانطلق بها بسرعة مغادرًا التابع.

وقال الأب: توجهوا إلى المركبة فورًا، الوقت يداهمنا.

دخل غالبية من على سطح القمر إلى المركبة الحربية، ولم يتبق سوى بعض الموهادز الذين رفضوا المغادرة ولم تجدِ معهم المحاولات، لقد قرروا أن يموتوا وهم يدافعون عن المكان الذي ولدوا وعاشوا فيه.

أطل "كورني" من فتحة باب المركبة ونظر إلى والد "باي" الذي وقف أمام باب المركبة بعد أن اطمأن أن الجميع ركبوا، وقال "كورني" وهو يمد يده إليه: هيا.

قال والد "باي": اذهب أنت، أما أنا فلدي مهمة قديمة عليَّ إنهاؤها.

هتف "كورني": لا يمكن أن أتركك هنا ستـ...

قاطعه الرجل بحزم: لقد أنهيت مهمتي، فابدأ مهمتك أنت، قم فقط بعملك ولا تنظر خلفك.

رحل مسرعًا، وشعر "كورني" بالدهشة الشديدة من هذا الرجل الغريب، لم يكن لديه أي وقت لمناقشته أو الذهاب خلفه، فقد أعطته المركبة إنذارًا باقتراب مركبات الساموز الحربية من سطح القمر.

أغلق الباب بسرعة وجلس في مقعد القيادة، واقتربت منه "باي" وسألته: أين أبي؟

قال وهو يراقب أجهزة المركبة وشاشاتها باهتمام: رفض أن يركب.

قالت بدهشة: وكيف تركته هناك وحده!

أجاب بهدوء: يقول إن لديه مهمة عليه إكمالها.

اقتربت منهما الأم وقالت بفهم: دعيه، كنت أعلم أنه لن يأتي.

تأملتها "باي" بدهشة وهي تكمل ودموعها تسيل على خديها: ما أفنى عمره فيه عليه أن ينهيه الآن.

لم يحاول "كورني" سؤالها عما تعنيه، بل التفت إلى "باي" وقال: في آخر المركبة حجرة للعلاج ومداواة الجروح، اذهبي إلى هناك لعلاج جرح كتفك.

أطاعته "باي" بصمت، وأقلع "كورني" بالمركبة.

EEE

نظر الأب في السماء وأخذ يراقب المركبة وهي تبتعد عن سطح القمر، وعندما غابت عن عينيه انطلق يجري إلى بيته ودخل بسرعة، ثم توقف وهو يلهث وأخذ يتأمل البيت الذي قضى فيه عمره وربَّى فيه أولاده، كل ركن فيه يحمل ذكريات عديدة، لم يكن مجرد بيت ردئ من بيوت الموهادز السفليين، كان ملتقى الجمريين لأزمنة طويلة وأجيال متعاقبة، كما أنه شاهد قائم وراسخ على غباء الرقباء.

ذلك الرجل الصامت دائمًا المتفاني في عمله، كان بيته هو منبع كل ثورة وتمرد يقوم به الموهادز السفليون،

أخذ يلمس الجدران جدارًا جدارًا، ويتحسس الأعمدة عامودًا عامودًا، من بين هذه الجدران خرج آلاف الجمريين،

طالما بقي هذا البيت، لم يخضع الموهادز أبدًا للساموز ولا للرقباء، هذا البيت ظل دومًا هو المحضن والحارس لميراث الأجداد، هو الحافظ لهوية الموهادز والعهد الذي اتخذه الأجداد للحفاظ على عقيدتهم وفكرهم جيلًا بعد جيل، وصاحب هذا البيت هو الحارس لهذا العهد، لم يكن يسمح لأحد الجمريين بمخالفته مهما كانت الظروف، حتى لو كان أقرب الناس إليه.. ابنه.

ورغم أن قلبه كان يتمزق لأجله لكنه لم يدع مشاعره تخرج أبدًا أو تسيطر على أفعاله، كانت أسرته دومًا من أوائل الجمريين، رغم أنه هو نفسه لم يكن كذلك، لكنه أخرج من هذا البيت ثمانية من الجمريين، أنجز منهم خمسة العهد، ثم انطلقوا مع فرق الجمريين في السماء الواسعة، لم يرهم أبدًا بعد ذلك، لكنه كان يسمع بأفعالهم وإنجازاتهم.

لقد أدى هذا البيت دورًا قيمًا في حياة الجمريين، ولكن تغير الزمن الآن، وعليه هو أيضًا أن يتغير وتتغير أساليبه، ولقد بدأ التغيير بالفعل وبدأ بشهيد ولده، والآن هذا البيت عليه أن يكون له دور مختلف يناسب الزمن والموقف الجديد.

دخل إلى حجرته ووقف في وسطها تمامًا وأزاح الفرش بيده، وأخذ يمسح جزءًا معينًا من الأرض يعرفه سابقًا حتى ظهر له شق رفيع، وضع أصابعه خلال هذا الشق وجذبه بكل قوته ليرتفع معه جزء من أرض الحجرة تبين أنه باب ليظهر أسفله فراغ عميق وسلم صغير يهبط إلى أسفل، نزل درجات السلم بسرعة حتى وصل إلى نهايته، أنار المكان بزر في الجدار لتظهر حجرة واسعة وفي وسطها استقر شيء كبير يختفي تحت غطاء سميك ابتلع معظم المكان، وقف يتأمل الشيء المغطى وهو يقول لنفسه: لقد حسبت حساب ذلك اليوم جيدًا، أخذ يزيح الغطاء الكبير جزءًا جزءًا، وعندما انتهى وقف يتأمل عمل يديه بفخر كبير.

كانت مركبة صغيرة مجمعة من قطع بلوسترونج التي عكف عليها عمره حتى صارت جزءًا من عقله، وأكسبه عمله في تفكيك المركبات المحطمة خبرة كبيرة في تخطيط وتركيب وصناعة هذه المركبات؛ فعكف سنوات عمره في تركيب هذه المركبة من قطع البلوسترونج

لم تكن مركبة جيدة لكنها أهم إنجازاته في الحياة، فهي الشاهد الأكبر على قدرته الذاتية على المقاومة والانتصار، وكذلك مهارته في الإخفاء والتمويه، لقد جمعها من تحت أعين الرقباء والساموز دون أن يفطن إليه أحد عمرًا طويلًا، لم يكن ينام، فهو يقضي نهاره في عمله في تشكيل البلو سترونج، ويقضي ليله بين جدران هذا المكان يصنع تحفته تلك بدأب

شديد وصبر لا يكل ولا يمل، لم تكتمل بعد، ولم يضع فيها أسلحة، لكنها تستطيع الطيران.

والآن بعد أن أصبحت المواجهة وشيكة بين الساموز والزايانز من جهة وبين الموهادز من جهة أخرى، لا وقت لديه لوضع أي شيء آخر فيها، لقد حان الوقت لتجربتها عمليًّا، وستكون التجربة الأولى.. والأخيرة.

EEE

فوجئ "كورني" أمامه بمركبته الخاصة التي يقودها "شاهي" وهي تناور ببراعة أمام أربع مركبات حربية وتطلق أسلحتها نحو مركبة "سيفا"، وأدرك "كورني" أن "شاهي" نجح في خداعها بالفعل وهي تظنه هو وتقاتله بشراسة، أراد أن يتدخل لمساعدة "شاهي"، فهو مهما بلغت مهارته فلن يصل إلى ربع مهارة "سيفا" في القتال،

لكنه تلفت حوله ليرى النساء والشيوخ والأطفال، فتذكر كلمات "شاهي" «إنهم يعتمدون عليك»

فلم يجرؤ على التدخل حفاظًا على حياة من معه، وظل يراقب من بعيد ومركبته تتقدم ببطء، فجأة حول مسارها بعيدًا عن المعركة الدائرة، واتخذ مسارًا متعرجًا في الفضاء حتى لا تنتبه إليه "سيفا" ومن معها، لكن رغم كل هذا التمويه انفصلت مركبة "سيفا" عن الثلاثة الآخرين، وانطلقت نحو مركبة "كورني" الحربية، فوجئ "شاهي" بذلك فلم يجد سبيل أمامه سوى

أن يتبع مركبة "سيفا" بإصرار رغم سرعتها العالية وتسليحها الجيد، لكنه كان يفكر في حياة أهله من الموهادز، أطلق أسلحته نحو مركبة "سيفا" بغزارة، ونجح بالفعل في إصابتها، لكن المركبات الثلاث الأخرى كانت خلفه مباشرة، واستطاعت تطويق مركبته الصغيرة، وأطلقوا أسلحتهم نحوه لتتفجر المركبة به وتحدث ضوءًا شديدًا رآه كل من على مركبة "كورني" عبر الشاشة الكبيرة التي تحتل مساحة كبيرة من الجدار الأمامي للمركبة؛ لتنهمر دموع الأم بصمت وتصرخ "باي" بلوعة: شهيد، شهيد، شهيد.

ويبدأ البكاء والنحيب بين النساء والأطفال، أما "كورني" فلم يكن يملك الوقت للاستسلام لمشاعر الأسى والمرارة التي غمرته، مابين إعجابه بذلك الفتى الذي لم يلتقيه سوى مرات قليلة، وألمه لموته بهذه الطريقة أمام عينيه دون أن يقدر حتى على مساعدته، وما بين ألم "باي" وتحطم قلبها لفقده، لكنه عجز عن إنكار ذلك الشعور الذي أكل جزءًا من قلبه، إنه شعور الغيرة، تذكر أن "شاهي" ذهب إلى الموت نيابة عنه وأن التي تفجرت هي مركبته هو، تجاوز "كورني" كل تلك المشاعر المتضاربة بداخله، وانشغل بمركبة "سيفا" التي تتجه مباشرة نحوه، أخذ يناورها بمهارة كبيرة لكنه اكتشف لحظتها أن المركبة بالفعل لم تتخلص من عطلها القديم، كان يبذل جهدًا مضاعفًا للتحكم بدفتها، وأخذ يطلق أسلحته نحو "سيفا" التي تفادتها بمهارة، ثم أطلقت أسلحتها نحوه وحاول "كورني"

جهده أن يلتف مبتعدًا عن مرمى سلاحها، ولكن أصابته إصابة مباشرة في جانب المركبة

اهتزت مركبته بعنف وسقط كل من فيها أرضًا، وبدأ صراخ الأطفال يعلو، أما "كورني" فلم يدعه كرسيه المغناطيسي يسقط، وتمسك بالدفة بكل قوته محاولًا استعادة توازن المركبة، ونجح بصعوبة كبيرة، لكن "سيفا" كانت خلفه تمامًا، وحاول جاهدًا أن يبتعد عنها لكن إصابة المركبة منعته، أخذ يناور يمينًا ويسارًا لكنه أدرك لحظتها أن "سيفا" كانت تعبث معه، فقد وقفت المركبات الثلاث الأخرى تراقبها وهي تلاعبه، كانت تسير خلفه مباشرة، فارتفع عموديًّا فجأة ليبتعد عن مطاردتها السخيفة، وأدرك أنه لن يستطيع مواجهتها ومركبته مصابة، فانطلق بأقصى سرعة نحو السياج الأحمر، وركز جل جهده أن يصل إليه، وفهمت "سيفا" خطته على الفور، فانطلقت بسرعة وسبقته بمركبتها والتفتت تواجهه، وجهزت سلاحها لتطلقه نحوه، وشعر "كورني" باقتراب النهاية وانتابه اليأس في تلك اللحظة، ولم يدر كيف يتصرف.

وقفت "باي" وأمه بجواره يراقبان الموقف الرهيب ، وخيم الصمت على الجميع واندسَّ الأطفال في أحضان أمهاتهم وتماسكوا جميعًا في انتظار نهايتهم، لكن شيئًا ما ظهر من بعيد يشبه نيزكًا كبيرًا ينطلق في السماء بغير هدًى، كان يتقدم بسرعة كبيرة نحوهم وشيئًا فشيئًا بدأ يتبين شكله، كان

يشبه مركبة غريبة مليئة بالألوان، ولم تدرِ "سيفا" أي مركبة تلك ولا إلى أي كوكب تنتمي، فلم يكن لها معالم واضحة أو راية أو لون محدد يدل على الكوكب الذي أطلقها، وتوترت "سيفا" وشعرت بالحيرة، هل تضرب المركبة أم تنتظر قليلًا لتعرف من أي كوكب هي؟، لكن اندفاع المركبة بهذا الشكل الغريب نحوها جعلها تلتف وتحاول إطلاق أسلحتها نحوها، وكان "كورني" يتأمل الموقف بحيرة لا يدري ما هذه المركبة وكيف يتصرف معها، لكن أم "باي" همست بانفعال: محمد.

صاحت "باي" بدهشة كبيرة: أبي!!

انتفض "كورني" من المفاجأة لقد فهم الموقف أخيرًا، وحاول إشغال "سيفا" بإطلاق سلاحه بكثافة نحوها، وبالفعل استطاع أن يربكها قليلًا، لكنها كانت أمهر من أن تسقط في الفخ، وأدركت أن اقتراب المركبة الغريبة منها بذلك الشكل الجنوني خطر شديد عليها، مما جعلها تهمل "كورني" لبعض الوقت وتطلق أسلحتها أولًا نحو المركبة الغريبة، وعندما رأت المركبات الثلاث الأخرى الموقف الذي وقعت فيه "سيفا"، تقدمت نحوها بسرعة

وأدرك "كورني" أن والد "باي" يحاول حمايتهم، فكان عليه استغلال انشغالهم معه، والانطلاق بسرعة نحو السياج الأحمر حتى يستطيع مغادرة مجال الكوكب، وما إن شغل السرعة القصوى للمركبة حتى بدأ صوت أزيز

إصابتها يعلو، اختفت صورة مركبة الأب التي تتقدم منهم بسرعة مرعبة، اختفت عندما وصلت إلى درجة من القرب لا تستطيع الشاشة الكبيرة متابعتها، لكن "كورني" ضبط إحداثيات الشاشة الصغيرة التي في الجانب حتى ظهرت صورة مركبة الأب، وأخذت "باي" وأمها ترقبان مركبة الأب بلهفة وأنفاسهما تتلاحق والقلوب تكاد تخرج من مكانها.

شهقت الأم برعب عندما أصابت "سيفا" مركبة الأب، وبدأت المقاتلات الثلاث الأخرى إطلاق أسلحتها بغزارة نحوها لتفتتها قبل أن تصطدم بمركبة "سيفا" التي كانت قريبة منها للغاية، لكن الأوان قد فات، فقد عجزوا عن تفتيت المركبة بسبب سرعتها الشديدة، ورغم نجاحهم في إصابتها إصابات خطيرة، لكن الإصابات لم تمنع الاصطدام الهائل الذي وقع، فقد اصطدمت مركبة الأب مباشرة بمركبة "سيفا" وتحطمت الاثنتان معًا في انفجار رهيب هز المجال الجوي لكوكب الساموز ورجَّ مركبة "كورني" بشدة.

انهارت الأم من هول الصدمة، ونزلت "باي" على ركبتيها بجوارها واحتضنتها وأسندت رأسها للجدار وأخذت تبكي بألم، وأخذت الأم تنتحب وترتجف ودموعها تسيل بغزارة، والذهول يكسو ملامحها، وعجز "كورني" عن كبت دموعه من قسوة المفاجآت المتلاحقة، لكنه كعسكريّ تمالك نفسه بسرعة وهو يرى المقاتلات الثلاث تتبعه، ونظر أمامه فوجد

السياج الأحمر يقترب بسرعة، أرسل الشفرة بجهاز الإرسال ليستقبلها برج الحراسة ويفتح له ممرًّا آمنًا للعبور، لكن صدمته كانت عظيمة عندما رد عليه برج الحراسة برفض الشفرة، ثم طالبه بإدخال الشفرة الصحيحة.

قال لنفسه: لقد أحكمت "سيفا" الفخ، وقامت بتغيير الشفرة، ترى هل كانت تتوقع أنني سأنجح في إنقاذهم، والوصول إلى السياج، اجتاحه غضب هادر فقد كان عليه اتخاذ قرار سريع، والاختيار بين أن يقاتل المقاتلات الثلاث ومستحيل أن ينجو منهم، أو يتجه إلى أحد أبراج الحراسة المسئولة عن السياج ويحطمها محاولًا إحداث فجوة في السياج يمر منها، لكن هذا الحل سيكلفه الكثير، أولًا ستلحق به المقاتلات الثلاث، وسيكون عليه في نفس الوقت مواجهة أسلحة المضادات الدفاعية الفتاكة المسئولة عن حماية السياج.

كان يقترب من السياج بسرعة والمقاتلات خلفه، ولا زال القرار معلقًا، ولا يدري كيف يتصرف حتى أتاه الإنقاذ، لقد رأى أحد أبراج الحراسة يحترق أمام عينيه بعد أن أصابته قذيفة مباشرة أطلقتها مركبة غريبة من خارج السياج، وانطلقت نحوها على الفور قذائف المضادات الدفاعية للنظام الأمني فدمرتها على الفور، فوجئ باقتراب مركبة ثانية غريبة من البرج المقابل له وهي تطلق قذائفها بغزارة وتحطم البرج، لتنطلق نحوها قذائف المضادات الدفاعية وتنفجر أيضًا.

وجد "كورني" أمامه فراغًا هائلًا في السياج الأحمر، والمضادات الدفاعية مشغولة عنه بمعركة مع مجموعة من المركبات القديمة، أدرك "كورني" أن الجمريين خططوا لكل شيء، وأن عملهم الجماعي هدفه إنقاذ الموهادز من على التابع «فايري»، انطلق بأقصى سرعة له عابرًا السياج والمقاتلات الثلاث خلفه، ووجد نفسه محاطًا بمجموعة من المركبات القديمة للجمريين الذين يحاولون حمايته من المقاتلات ومن المضادات الدفاعية، أخذ يسير في مسارات متعرجة وفي نفس الوقت يطلق أسلحته بكثافة نحو المقاتلات فأصاب واحدة، وكثف الاثنان سلاحهما ضده فأصابوا المركبة إصابة عنيفة أطاحت بها في الفضاء، وأخذت تدور بلا هدًى وتهتز بعنف، و"كورني" يحاول باستماتة السيطرة عليها.

شغل نظام الحماية بالمركبة واحتواء الإصابات، لكن الإصابة هذه المرة أكبر من أن يستطيع النظام السيطرة عليها، شغَّل نظام الطوارئ فبدأت تتزن ثانية، وحاول أن يعدل من دفتها، لكن السيطرة عليها كان صعبًا للغاية.

ألقى نظرة أخيرة على الشاشة الجانبية الصغيرة التي كانت تنقل مشهد المعركة الدائرة بين مقاتلات الجمريين القديمة ومقاتلات الساموز قبل أن تظلم أغلب الشاشات نهائيًّا، وتبتعد مركبته عن مكان المعركة.

أدرك "كورني" أن الجمريين دفعوا ثمنًا فادحًا في قواتهم ومركباتهم وأفرادهم ليستطيعوا إنقاذ مركبته ومن فيها من الموهادز، وكان عليه أن يبذل أقصى طاقاته ليصل بهم إلى آأمن مكان ممكن.

فجأة خرجت المركبة عن سيطرته تمامًا، حاول أن يوجهها ويعيدها إلى مسارها، لكنها اتجهت رغمًا عنه إلى مسار آخر، وكلما حاول أن يعيدها إلى الوجهة التي يريد، تلتف رغمًا عنه وتغير طريقها لتعود وتنطلق نحو الكوكب المشع.

شعر "كورني" بالخطر الهائل يحيط به، فأخذ يعبث بعصبية في مفاتيح المركبة ويجذب الدفة بكل قوته محاولًا تبديل مسار المركبة لكنه فشل، ضغط زرًّا أمامه لينفتح صندوق صغير في لوحة التحكم التي أمامه وتخرج منه طاولة صغيرة مسطحة تحوي مجموعة كبيرة من المفاتيح، أخذ يعبث بها بأصابعه بترتيب معين وتوتره يصل إلى مداه، لكنه أدرك أن الأوان قد فات فقد أصدرت لوحة التحكم صفيرًا منتظمًا، وأضاء ضوءًا أحمرَ قويًّا، مما يعني أنه لا يمكن إلغاء البرمجة السابقة واتخاذ مسار جديد؛ فالمركبة قد تجاوزت مرحلة تعديل المسار باقترابها من نقطة نهاية المسار.

تذكر كلمات "شاهي" بألا يغير مسار المركبة مهما حدث، إذًا، فلقد برمج "شاهي" المركبة على مسار الكوكب المشع، وكل هذا ضمن خطة

الإنقاذ التي وضعها الجمريون، لم يكن "كورني" يتخيل أنهم بذلك الذكاء والترتيب والتنظيم.

أفاق من أفكاره ليجد أن جسم المركبة الخارجي قد تحول إلى اللون الأحمر الناري، وأن القراءات لدرجة الحرارة تشير إلى ارتفاع رهيب في درجة الحرارة، ولولا أن جسم المركبة مصنوع من مادة البلوسترونج لكانت احترقت في لحظة، لكن ما أقلقه هو ذلك الاندفاع المرعب للمركبة، وكأن قوًى مغناطيسية هائلة تجذبه، حتى أنه فقد السيطرة عليها كلية، وأدرك أنها ستصطدم حتمًا بسطح الكوكب المشع، وقد كان...

EEE

(12)

لولا أن جدران المركبة من الداخل مبطنة كلها بلدائن طرية مرنة تقي من الصدمات وتخففها، بالإضافة إلى أن "كورني" شغل صواريخ الدفع العكسي الاحتياطية، لكانت الإصابات أضعافًا مضاعفة، ولربما أصبح الجميع قتلى، أظلمت المركبة للحظات بعد الاصطدام المروع، لكن المولدات عادت تعمل بسرعة وتضئ المكان، وبدأ يعلو صوت صراخ الأطفال الفزع وصوت أنين المصابين من جرَّاء الاصطدام.

حرَّر "كورني" نفسه من مقعده وأخذ يتفقد الجميع ويرى حجم الإصابات، لكن الإصابات لم تكن كبيرة، والجميع بخير باستثناء بعض الأطفال أصيبوا بإغماء، وبعض الشيوخ أصيبوا بردود، أما "باي" وأمها فكانتا بخير، إلا أن الأم لا زالت تحت تأثير الذهول الحزين بسبب قتل رفيق عمرها أمام عينيها. استعادت "باي" رباطة جأشها بسرعة فهي تعلم أن "كورني" يعتمد عليها لمساعدته.

اتجهت إليه بعد أن اطمأنت على الجميع وسألته بهمس: أين نحن؟

رد بصوت خفيض: نحن على الكوكب المشع.

أصيبت بصدمة كبيرة، لكنها حاولت أن تتمالك نفسها أمامه بشجاعة، فقالت بسرعة: وما العمل الآن؟ وهل يمكن أن تكفينا نسبة الأكسجين التي على المركبة؟

رد بصدق: ليس إلى وقت طويل، يجب أن أخرج لأتفقد المكان، وأحلل كم تبلغ نسبة الإشعاع.

قالت بتوتر: لكنك قد تتأذى.

التفت يتأملها بصمت وهو يشعر ببعض السعادة، لما استشعره في لهجتها من اهتمام لأمره، لقد تغيرت لهجتها ونظرتها وتصرفاتها نحوه مما أشعره بالكثير من الراحة، لكنه كتم مشاعره في قلبه بسبب الموقف الدقيق الخطورة الذي يحفهم، ثم قال بهدوء: اطمئني، ردائي العسكري مقاوم للإشعاع ومكيف، وبه نسبة أكسجين تكفيني.

وجد "إيما" تشده من حزامه، فنزل على ركبتيه ليتحدث إليها، فقالت بحماس: هل أذهب معك؟

لم يشأ أن يخذلها، فابتسم بحب قائلًا: ومن يجلس مكاني حتى أعود؟ ومن يعتني بالأطفال؟ أنت هنا بدلًا مني.

تفجر وجهها بالسعادة وقالت بفرحة: حقًّا؟

ابتسم ابتسامة حانية وهو يهز رأسه: بالتأكيد، اعتني بمركبتي حتى أعود.

هزت رأسها باهتمام، وجرت لتجلس على كرسيه..

ارتدى خوذته وهو يهمس لـ"باي": أنت المسئولة في غيابي.

قالت بجدية: اعتنِ بنفسك، فنحن نعتمد عليك.

لم تكن كلماتها توحي بأي شيء، لكنه وجد نفسه سعيدًا بسماع تلك الكلمات منها، فعلى أقل الفروض لقد زالت كراهيتها تمامًا، أخذ دراجته وأعدها إلى خاصية الحفر ودفع الصخور وخرج من المركبة، واستغرق مدة طويلة وهو يشق طريقه من باطن الأرض إلى السطح، وعندما خرج إلى السطح أخذت أجهزة الكشف والمجسات في ردائه تعمل وتحلل التربة والهواء، وكانت دهشته عظيمة عندما تتابعت نتيجة التحليل في نظارة الخوذة، وأخبره الصوت المعدني في الخوذة أن نسبة الإشعاع تكاد تكون طبيعية، ونسبة الأكسجين في الهواء أيضًا طبيعية ولا تلوث فيها، رفع الخوذة عن رأسه ببطء، وبمجرد أن لامست عيناه السماء حتى بهره بشدة ذلك اللون الأزرق الذي يغطي صفحة السماء وغشّى عينيه بقوة.

أغمض عينيه من الألم وحماها بذراعه، وبعد فترة بدأ يفتح عينيه، وتدريجيًّا اعتادت عيناه الضوء الساطع، وأخذ يتأمل السماء، لون لم يرَ له مثيلًا في حياته، ظل مبهورًا للحظات طويلة، ثم أخذ يتأمل ما حوله، كان كل شيء حوله مغطًّى باللون الأخضر، إنه ذلك اللون الذي يكسو حديقة أمه في غرفتها الخاصة.

لمعت عيناه بالدموع عندما تذكر أمه، تمالك مشاعره بسرعة، وتفقد المكان حتى اطمأن أن الأمور مستقرة فأخذ دراجته ونزل إلى باطن الأرض في الثقب الذي أحدثته المركبة، وبدأ يخرج الموهادز من باطن الأرض بدراجته إلى السطح في مجموعات صغيرة، صغيرة للغاية، فقد كانت دراجته لا تحمل سوى ثلاثة، وهو قائدها.

استغرق الأمر وقتًا طويلًا للغاية حتى خرج الجميع إلى السطح، كان آخرهم "باي" التي استغرقت وقتًا حتى استطاعت عيناها أن تعتاد الضوء المبهر دون ألم، وبعد فترة استطاعت أن ترفع وجهها لأعلى وظلت عيناها معلقة بالسماء في انبهار، وتسارعت أنفاسها وانهمرت دموعها، هذه هي السماء بلا قضبان، بلا خوف، بلا سجن

إنها سماء الحرية، ما أجملها، ما أجمل لونها، ما أجمل إشراق ضيائها، على كوكب الساموز وتوابعه السماء سوداء، نهارًا وليلًا سوداء، أما ها هنا فهي زرقاء جميلة. لكم عاشت تكره السماء وقضبانها، أما هنا فلا قضبان، كل شيء مختلف هنا.

غابت الشمس وقضى الجميع الليلة متحلقين حول بعضهم البعض في دفء الجو وتحت ضوء القمر والنجوم، يستمعون إلى حكايات الجد عما قاله له جده عن الكوكب المشع الذي قدم منه، وكيف كانت حياة الموهادز هناك،

وتعجب الجميع عندما حكى لهم أن البشر على سطح الكوكب المشع كانوا يأكلون ما يخرج من الأرض، فالجميع يعرف أن الأرض لا تخرج سوى الصلب والقاسي، قضى الجميع باستثناء الأطفال الليلة مستيقظين في انتظار ظهور ضوء النجم الساطع، أما "كورني" فقد استخدم قدرات ردائه العسكري من حزام يضيء وأساور الأكمام تضيء أيضًا، وأنار المكان حولهم مما أشعر الجميع بالسكينة والاطمئنان لوجود ضوء حولهم، ولم يتردد لحظة عندما أبدت "إيما"- التي بقيت مستيقظة تجلس بجواره طوال الليل- إعجابها بحزامه المضيء فنزعه وأعطاه إياها وهو يقول بمرح: الآن ستجلسين مكاني، وتنيري المكان للجميع، تذكري، أنت هنا مكاني.

جلست مكانه وهي تشعر بفخر كبير، أما هو فقد انسل من بين الجميع واتجه إلى الحفرة التي في أسفلها مركبته، وركب دراجته وهبط بسرعة ليصل إلى المركبة.

دخل إلى مخزن المركبة وأحضر بضعة صناديق من مجموعة كبيرة من الصناديق ووضعها في مكان مخصص لها في الدراجة، وثبتها بطريقة مغناطيسية، ثم صعد بالدراجة بسرعة ليفاجئ أمامه بـ"باي" على ضوء الدراجة القوي تقف في الأعلى عند الحفرة، فسألها مباشرة: ماذا تفعلين هنا؟

قالت بأسلوبها الجاد: أنتظرك.

قال وهو يحمل الصناديق: ما كان ينبغي أن تتركي الجميع وتسيري في الظلام وحدك.

قالت: وأنت، لم تركتهم؟

قال بجدية: لأحضر بعض الأشياء من المركبة.

قالت وهي تنظر للصناديق التي في يده: ما هذا؟

أجاب ببساطة: مخزون المركبة من الغذاء.

أكمل عندما رأى نظرة التساؤل في عينيها: الجميع قلقون من عدم وجود غذاء ملائم لهم هنا، رأيت هذا في عيونهم وهم يستمعون إلى حكايات الجد، وأكاد أجزم أنه هو أيضًا يدرك هذا الأمر، إنه يستطيع لمس مخاوفهم، لذلك فهو يحاول طمأنتهم بتلك الحكايات، وبأنهم كأجدادهم سيجدون طعامهم من الأرض.

هزت رأسها بفهم، وحمل هو الصناديق وهمَّ بالسير، لكنه توقف عندما قالت بدهشة: إن هذا هو مخزونك الخاص من الغذاء.

صمت ولم يرد، لكنها أكملت: لماذا؟ لماذا تفعل ذلك؟ لماذا تضحّي بغذائك من أجل مجموعة من الموهادز؟

تركها وسار في طريقه دون أن يجيب، فمن وجهة نظره لم يكن هناك ما يقال، ولم يكد يخطو بضعة خطوات حتى سمع صوت صراخ طفل، فالتفت إلى "باي" بقلق، فهتفت بخوف: "إيما".

تسابقت أقدامهما عدوًا للوصول إلى الباقين، ووجدوا "إيما" تبكي برعب، وقد ألقت بالحزام المضئ بعيدًا، وأمها تحتضنها وتحاول أن تهدئ من روعها، والباقون يقفون والقلق بادٍ عليهم.

التف "كورني" و"باي" حول "إيما" وسألتها "باي": ماذا حدث؟ هيا قولي ما الذي أخافك؟

أشارت بخوف إلى الحزام الملقَى أرضًا، اتجه إليه "كورني" وجلس على إحدى ركبتيه بجواره وأخذ يتأمله بدهشة هائلة، ورأى أشياء صغيرة تتحرك حوله لم يرَ لها مثيلًا، كانت تتحرك بسرعة وبشكل شبه دائري، وبعضها يقف فوقه، كان لا يزال يرتدي قفازاته، فمد يده وأزاحها عن حزامه، فتحركت لتلتف حول أساوره المضيئة، وأخذ هو يبعدها بعصبية، ثم سحب الحزام بسرعة وارتداه على عجل، لم يتصور "كورني" أن يقضي ليلة غريبة كتلك الليلة.

كان يشعر أنه مطارد من تلك الأشياء الصغيرة المزعجة التي تتحرك حوله باستمرار دون غيره من الموجودين، لذلك فلم يكن يستقر في مكان، كان دائم الحركة، وفهم أن تلك الأشياء الصغيرة تتبع الضوء الصادر من حزامه وأساوره، أما الأطفال فبعد أن كانوا دائمي الالتفاف حوله بودٍّ، ابتعدوا تمامًا عنه بسبب خوفهم من تلك الأشياء التي لا يدرون عنها شيئًا، حتى الجد لم يكن يعرف ما تلك الأشياء، ولا أي من الشيوخ والعجائز الموجودين

وقضوا بقية الليل متخوفين مما يمكن أن يقابلهم على ذلك الكوكب الغريب.

أخيرًا، ظهر ضوء النجم الساطع، واستطاع "كورني" أن يتخلص من مطارديه السخفاء بإطفاء ضوء الحزام والأساور، وغمر الجميع شعور جميل بالراحة مع ضوء النجم الساطع الغامر، كان كل شيء يلمع بوضوح

لم تكن "باي" تتخيل أن في الكون مثل هذا الجمال.

لم تكن تعرف في الحياة سوى شيئين، تربة القمر «فايري» القاتمة الباهتة الكئيبة كما لو كانت قاعًا مميتًا،

والدرع الأمني الذي يغطي كوكب الساموز وتوابعه والذي يذكرها كلما نظرت إليه بلا أمل، بقضبان سجن لا خلاص منه.

التفتت فجأة نحو "كورني"، لكنه لم يكن موجودًا بين الباقين، استغرقت بعض الوقت في البحث عنه، حتى وجدته يقف وحيدًا على حافة تلة خضراء قصيرة، أسرعت الخطا حتى وصلت إليه، وسألته مباشرة: ما الذي يقلقك إلى هذه الدرجة؟

قال بحيرة وهو يتأمل ما حوله: كل شيء هنا غريب، لا أدري كيف يمكن أن نحيا هنا، ولا ما الذي يمكن أن نواجهه؟ ولا أية أخطار تتهددنا؟ ما طبيعة سكان هذا الكوكب؟ وهل يمكن أن نتحمل العيش فيه؟، أتعلمين أن الأشياء الصغيرة الطائرة اختفت مع انتهاء الظلام، ولكني أرى في ضوء النجم الساطع أشياء متحركة أغرب منها.

صمت قليلًا ثم قال: يجب أن نتحرك من هنا، أعلم تمامًا أنه لا بد أن نتحرك، ولكن إلى أين نذهب، وفي أي اتجاه يجب أن نسير. لا أدري، أصعب شيء أن تواجهي خطرًا تجهلينه وتجهلين كيفية التعامل معه.

قالت وهي تنظر بعيدًا: إن الجميع عقولهم مكدسة بتلك المخاوف والأسئلة، أعتقد أننا مهما واجهنا فلن يكون أسوأ مما كنا فيه.

كانت عبارتها كطلقة مؤلمة أصابت قلبه، لكنها ذكرته بماهية مشاعر الموهادز نحو الساموز.

كتم ألمه وقال وهو يلتف عائدًا: علينا أن نقدم الغذاء للصغار.

أخرج "كورني" الغذاء من العلب التي جلبها من خزانة مركبته، كانت عبارة عن كبسولات صغيرة للمضغ تحوي المواد اللازمة لاحتياجات الجسم بحسب وزنه.

سألته "باي" وهي تساعده في فتح العلب: ما هذا؟

قال بصوت خفيض بعد أن لاحظ التفاف الموهادز حولهما خاصة الأطفال: إنها كبسولات للمضغ تحوي المواد الأولية اللازمة للجسم، كنت تأكلين منها عندما كنتي في بيتي.

قالت بدهشة وبصوت خفيض: ولكنها لم تكن تشبه هذه.

أجاب: هذا هو الصنف المعدل والمجهز خصيصًا لأفراد جيش الساموز، يمتاز بصغر حجمه ونقاء مادته وقيمته الغذائية العالية.

قالت بشرود: لم نكن نأكل تلك الأشياء على التابع «فايري».

قال: نعم، أعلم فطعام الموهادز مخلوط بمواد كثيرة ليكون أكبر حجمًا وأكثر صلابة وليوحي بالشعور بالشبع.

قالت وهي تتذكر ما لا تريد تذكره: نعم، توفيرًا واقتصادًا في المواد النقية التي تغذي الجسم، وليختصوا بها أفراد جيش الساموز.

انتبه للهجتها العدائية، فتغير وجهه وقال بسخرية مريرة: وما أدراني؟ لم أكن يومًا أعمل في مجال تصنيع الغذاء على كوكب الساموز، هبَّ قائمًا بحركة غاضبة، وأخذ يوزع كبسولات الطعام على الأطفال أولًا ثم النساء والشيوخ والفتية، حملت هي أمبولات الماء وأخذت توزعها هي الأخرى بنفس الترتيب.

مضى وقت طويل وهي تشعر أنه يتجنبها متعمدًا، ولكن دون أن يشعر الآخرين بذلك، واجتاحها ندم كبير على ما تفوهت به، وقضت الوقت تحاول أن تستجمع شجاعة الاعتذار، فهي لم تعرف الأسف أبدًا، ولم تكن مضطرة للاعتذار لأي إنسان، بل إن الشعور الذي بنت عليه حياتها هو الظلم، الشعور بالظلم والاضطهاد من كل شيء له علاقة بالساموز، الآن لأول مرة تجد نفسها مضطرة للاعتذار إلى شخص ما، وممن! من الساموز.

التفتت لتبحث عنه، لكنها توقفت عندما وجدته أمامها مباشرة.

قال معاتبًا ووجهه متجهم: لِمَ لمْ تتناولي غذاءك كالآخرين؟

عقدت حاجبيها بتساؤل فردَّ على سؤالها بتجهم: أخبرتني "إيما"، والآن، أجيبيني، لِمَ لمْ تتناولي غذاءك؟

قالت: سأخبرك فقط لو أجبتني، لم تترك طعامك لنا ولا تشاركنا فيه؟

صمت طويلًا وهو يحاول اختراق جمود ملامحها بنظراته علَّه يفهم ما يدور برأسها، ثم قال بعد أن فشل في اختراقها: أستطيع التحمل لوقت طويل دون غذاء، والأطفال بحاجة إليه أكثر مني.

قالت مؤكدة: أنا أيضًا أستطيع التحمل.

قال بهدوء: تعلمين أن هذا ليس صحيحًا، فاستراتيجية الساموز تقتضي أن تظل أجساد الموهادز السفليين بحاجة مستمرة إلى الغذاء والماء لأوقات قريبة حتى يحكموا السيطرة عليهم.

اشتعلت نظراتها بالغضب وقالت بحدة: كنت تعلم هذا طوال الوقت؟

قال بسخرية يائسة: ليس بالضرورة أن أكون على علم، أستطيع أن أستنتج مثلك تمامًا، وقبل أن تحاسبيني عليك أن تفهمي أنني لست حاكمًا للساموز.

أدار ظهره إليها: يمكنك الاستمرار في غضبك وصَبّ كراهيتك عليّ، لكن هذا لا يعني ألا تأكلي، تذكّري أن الآخرين بحاجة إليك.

قالت قبل أن يرحل: "كورني".

كان غضبه يدفعه للابتعاد عنها، ولكن عندما هتفت باسمه لم يستطع ألا يتوقف، فهذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها اسمه من بين شفتيها، التفت ببطء نحوها، وتعجب كثيرًا من التردد البادي عليها، ونظراتها التي تهرب منه، فلم يعهدها يومًا كذلك.

قالت بعد كثير من التردد: أرجوك تقبل اعتذاري، أنا آسفة عما قلته.

لم يعرف بماذا يرد، لكن أملًا جديدًا عاد يتسرب إلى قلبه ويهز مشاعره، همَّ أن يقترب منها، لكنه فوجئ بها تهرب من أمامه وتتركه وحيدًا، كان عليها الهروب، فهو السبيل الوحيد لتجنب صراعٍ بدأ ينشب في داخلها،

في هذا الموقف المعقد وفي أرض غريبة لا تدري ما ينتظرهم فيها، ومستقبل مجهول محفوف بالخطر والغموض، لا يمكن أن تسمح بمزيد من التعقيدات.

لقد ارتضى "كورني" برغبته أو رغمًا عنه أن يتولى مسئولية إنقاذ أهلها من الموهادز، رغم كل ما خسره في سبيل ذلك، وعليها أن تعينه في مهمته، وأن تكون له اليد المساعدة، لا الهادمة، لذلك فعليها تأجيل أية مواجهة يمكن أن تحدث بينهما، كانت شاردة وهي تسير عائدة إلى المجموعة، ولم تكن تدري أنه خلفها إلا عندما سمعت صوته قريبًا وهو يهتف موجهًا كلامه للجميع: علينا الاستعداد للرحيل.

نظر إليه الجميع في تساؤل، فأكمل: المكان هنا غير مناسب للاستقرار، فهو عارٍ تمامًا ويمتلئ بكائنات غريبة، علينا أن نبحث عن مأوى يحمينا.

تقدمت منه أم "باي" وقالت بتأكيد: أنت محق تمامًا، ولكن لا نستطيع جميعًا الانتقال، قد تطول رحلة البحث، ولن يتحمل الشيوخ ولا الأطفال، أقترح أن نرسل مجموعة صغيرة خفيفة سريعة الحركة، وأنت فيهم.

قال بتفكير: ولكن لا أستطيع أن أترككم وحدكم، فالمكان ليس آمنًا تمامًا.

ردت بروية: إن الخطر الذي سيواجهنا هنا، قد يواجهنا أيضًا في رحلتنا، اطمئن، نستطيع تدبر أمورنا ونحن عصبة، الآن عليك أن تختار من سيرافقك.

قال وقد تملكته الدهشة: أنا أختار!

قالت بحزم: نعم، فأنت دليلنا.

هتف بذهول: أنا دليلكم!!

قالت بثقة: نعم، فأنت الأجدر هنا على ذلك.

التفتت ونظرت في وجوه الجميع قبل أن تقول بحزم عندما اطمأنت أنه لا أحد معترض على كلامها: ولا أحد هنا يعترض.

نظرت إليه وقالت مشجعة: هيا، اختر من تشاء ليذهب معك.

فجأة قفزت "إيما" وتعلقت بكفه، فابتسم من ردة فعلها السريعة، وجلس على إحدى ركبتيه وقال بحنان وهو يمسك بيديها الصغيرتين: عزيزتي، إن ذهبت معي فمن سيعتني بالمجموعة؟

همس في أذنيها متابعًا: ومن سيحرسهم من بعدي؟

لمعت عيناها بسعادة وهزت رأسها موافقة، وعادت تقف بين المجموعة، وسار "كورني" بينهم يتفحصهم ليختار من سيذهب معه حتى توقف عند "باي"، ولكنها لم تبد أية بادرة أو تحمس للذهاب معه تجاوزها، لكنه لم يختر أحدًا، فلم يكن يعرف سواها من بينهم، وكان مدركًا أنها الوحيدة التي تصلح للمهمة، والأجدر على تحمل مشاق رحلة البحث فقد اختبر يومًا مدى قوة تحملها، كما يعرف عقلها المنظم وأفكارها المرتبة، أما الباقون فلا يعرف عنهم شيئًا.

تقدم فتيان صغيران قال أحدهما: أستطيع أن أتحمل المشاق، فقد عملت لفترة طويلة في المناجم.

وقال الثاني: وأنا أستطيع البقاء بلا طعام لوقت طويل.

وافق "كورني" أن يصطحباه رغم شعوره الكبير بالإحباط بعد أن تأكد له أن "باي" تبتعد عنه متعمدة.

هم بالرحيل لكن الأم استوقفته قليلًا، ثم التفتت تبحث بعينيها بين الجميع حتى توقفت عند "باي" وقالت بحزم: "باي" ستذهب أيضًا، فهي أقوى الموجودين، وستكون عونًا لك.

تقدمت "باي" وانضمت إليهم باستسلام تام، وتعجب "كورني" من تصرف الأم، لكنه لم يعترض، خلع حزامه وأعطاه للأم قائلًا: ستحتاجون إلى هذا ليضيء لكم الليل، فلا ندري متى سنعود، أما نحن فتكفينا إضاءة القفازات، واحترسوا من الكائنات الصغيرة التي تلتف حول الضوء.

قالت: اطمئن، سنعلقه في مكان قريب ونجلس حوله.

ركب "كورني" دراجته وجلس الثلاثة حوله، "باي" في الخلف والفتيان على جانبيه، وارتدى "كورني" الخوذة المقربة ليمسح بها المنطقة ويجمع المعلومات الضرورية عن التربة والهواء، ويعرف خبايا المكان، أخذ يتنقل بدراجته عبر مساحات شاسعة.

كانت طبيعة التربة تختلف إلى حد بعيد عن أي كوكب زاره من قبل، فهي ثابتي إلى حد بعيد ولونها أسود، وفي بعض الأحيان يقابل أمامه شقوقًا واسعة تمتلئ بسائل ما له لون أزرق، وعندما غرز قدمه فيه تتابعت المعلومات التحليلية الدقيقة أمامه على شاشة الخوذة الداخلية عن طبيعة هذا السائل ومكوناته، واكتشف "كورني" أنه $H2\ O$ أنه الماء لكنه ليس نقيًّا ولا قياسيًّا مثل الذي يصنعونه في معامل الساموز الضخمة، رغم دهشته الشديدة فقد كان هذا الكوكب يحوي كميات ضخمة من الماء لم يرَ لها مثيلًا في حياته، فالماء يجري فوق الأرض وتحت السماء دون أن يحفظه شيء أو يحميه من الثلوث والتبخر رغم أنه السائل الأول المسئول عن

حياة البشر، فعَلَى كوكب الساموز يستخدمون معامل ضخمة ومصانع هائلة لتكوين الماء «سائل الحياة» باتحاد الغازات وحفظه وتعبئته في أمبولات وأوعية معقمة تحافظ على كل قطرة منه، ويوزع على ساكني الكوكب بحساب، كلٌّ حسب وزنه واحتياجه منه.

منعهم "كورني" من تجربة هذا الماء، فهو لا يعرف مدى تأثيره على أجسادهم، وهل يصلح لهم أم لا، واكتفوا بأمبولات الماء وكبسولات الغذاء التي يحملها "كورني" معه.

أوقف "كورني" دراجته وجلسوا ليستريحوا قليلًا ويتناولوا الغذاء والماء، وعرف أن الفتيَيْن أحدهما يدعى "نوه"، والثاني "داريسا"، وبمجرد أن بدأ "كورني" في تبادل الحديث مع الفتيَيْن شعر على الفور أن أحدهما هادئ وودود والثاني عدواني ويتفجر الغضب من عينيه، ورغم أنه كان صامتًا دائمًا لكن الكراهية كانت واضحة في معالم وجهه؛ فشعر "كورني" بالضيق الشديد يحاصره، فـ"باي" تتجنبه وتتجنب الحديث معه قدر ما تستطيع، والفتى يكرهه.

قام من مقامه وهو يقول بضيق: ابقوا هنا، سأقوم بجولة قصيرة وأعود سريعًا.

فهمت "باي" أنه يريد التخفيف عن نفسه من هذا الموقف الضاغط، لكنها لم تحاول أن تتبعه.

بمجرد أن ابتعد حتى انفجر "نوه" يصيح غاضبًا: ماذا يظن نفسه! أيعتقد أنه لا يزال ابن حاكم الساموز! أينوي أن يجعل منا أتباعًا له على هذا الكوكب!

قال "داريسا" بهدوء: لا تنسَ أنه أنقذنا وأقلنا في مركبته بعيدًا عن جيوش الساموز والزايانز، وهو الآن مطارد مثلنا.

"نوه" بغضب: وهل هذا يعطيه الحق لينصب نفسه زعيمًا علينا؟

قال "داريسا": لِمَ تتحدث عنه وكأنه يريد أن يفرض نفسه علينا؟ لقد اخترناه دليلًا لنا كما تعلم.

"نوه": لأن هذه هي الحقيقة، يريد أن يجعل منا امتدادًا لكوكب الساموز، ويجعل من نفسه حاكمًا علينا، بعد أن طُرِدَ من الكوكب.

كانت "باي" تستمع إليهما في صمت، وعندما وصل الحديث إلى هنا تدخلت برصانة، وقالت بحزم كبير: يبدو أنكما تفهمان الأمر بصورة خاطئة، فهذا السامو ترك كوكبه، وتخلى عن موقعه كابن لحاكم الساموز، وخسر منصبًا رفيعًا كان يُعدّ له، كل هذا من أجل حفنة من الموهادز ينظرون إليه كعدو لهم، افهما جيدًا، هذا السامو هو أقدر الموجودين على أن يكون دليلًا للمجموعة، ولديه الخبرة للمساعدة على حل مشكلاتنا، احذرا أن أسمع منكما ذلك الهراء ثانية، وعليكما إظهار الاحترام له وتنفيذ أوامره دون نقاش، تركتهما وقامت بغضب واضح، مما جعل الاثنان يبتلعان لسانهما ويسكتان.

كانت تبحث عنه بجد، وأخذت وقتًا حتى وجدته جالسًا على إحدى ركبتيه بجوار جذع شجرة كبيرة ينظر إلى الأرض وظهره إليها، تقدمت منه بهدوء وأخذت تنظر إلى ما ينظر إليه دون أن يشعر بها، وعرفت أنه يتأمل بضعة زهرات صغيرات بيضاوات نمت أسفل جذع الشجرة، فهمت أنه يتألم في صمت ويعجز عن تقبل موت أمه بهذه الطريقة البشعة، تمنت لو تواسيه أو تقول له كلمات تهدئ من روعه، ولكن أية كلمات يمكن أن يفهمها؟ وأية فكرة يمكن أن تقنعه، فضَّلت أن ترجئ ذلك حتى ينتهوا من مهمتهم.

قالت بصوت متردد: أظن، أظن أنه علينا الرحيل الآن.

انتفض من شروده على صوتها، فنهض بسرعة ثم التفت إليها، ولاحظت هي بقايا من دموع في عينيه، لكنه أشاح بوجهه بعيدًا يحاول أن يخفي ما كشفته هي.

قالت بهدوء: لقد أطلنا المكوث هنا، والوقت بدأ ينفذ منا.

سار عائدًا بخطوات سريعة دون أن يتكلم، وتبعته هي في صمت، لاح له المكان الذي ترك فيه الفتيَيْن من بعيد، لكنه توقف فجأة وارتد للخلف بحركة حادة، وتجمدت هي بخوف، فقد كان يحيط بالفتيَيْن نصف دائرة من البشر يصوبون نحوهما أسطوانات سوداء طويلة، استنتج "كورني" أنها أسلحة، شعر بالخطر يتهددهم فعاد هو و"باي" عدة خطوات للخلف واختبئا خلف شجرة ضخمة، وأخذ يتطلع للموقف الدقيق بترقب وخوف، واطمأن

إلى أن أحدًا لم يلمحه من المهاجمين، فقد كانت ظهورهم إليه، وأنظارهم متوجهة نحو الفتيَيْن، سحب سلاحه الصغير من جيبه بسرعة وصوَّبه نحوهم وهو مترقب لأية حركة تصدر منهم، لكنه كان حائرًا ومترددًا، فالجميع كانوا صامتين بلا حراك و"كورني" يفكر كيف يدافع عن الفتيَيْن.

همس لـ"باي": اذهبي أنت واختبئي خلف الصخور الرابضة هناك.

ردت همسًا: لن أتركك وحدك.

قال بحزم دون أن يرفع صوته: لا وقت للاعتراض، وتذكّري أنني القائد، يجب أن تختبئي حتى تستطيعي العودة لتحذير الباقين، وإذا لم ننجُ انتظري حتى يرحل هؤلاء، ثم اركبي الدراجة وعودي إلى المجموعة، أنا واثق أنك تستطيعين قيادتها.

أرادت أن تتكلم، لكنه قاطعها بحزم: هيا، لاوقت لدينا، وتذكّري أن نجاة المجموعة يعتمدُ على نجاتك، أطاعته رغمًا عنها، وانسحبت للخلف مبتعدة بهدوء دون أن يفطن إليها أحد، واختبأت خلف بضعة صخور كبيرة، وأخذت تراقب الموقف بقلق.

ظل "كورني" يتابعها ببصره حتى اطمأن إلى أنها مختبأة جيدًا بعيدًا عن العيون، ثم ارتدى خوذته المطاطة، واطمأن إلى أن رداءه وخوذته سيوفران له الدرع الحامي من أسلحة مهاجميه بما يحملان من مادة البلو سترونج التي تتخلل أنسجتهما، وتجعلها أكثر مقاومة لأي اختراق خارجي.

أخذ يدرس المكان بعناية بخوذته المقربة، وبسرعة وضع خطة لتوفير الأمن للفتيَيْن، لم يصوب سلاحه للمهاجمين، ولكن لشجرة ضخمة إلى يمين الفتيَيْن، وأطلق على الجذع عدة طلقات أحدثت قطعًا هائلًا أسفله مما جعل الشجرة الضخمة تنفصل عن جذعها، وتسقط على الأرض في الفراغ الذي بين الفتيَيْن وبين المهاجمين بدويٍّ أفزع كل من في المكان وأثار عاصفة ترابية أربكت الجميع وأعمتهم بعض الوقت وحالت بين الفتيَيْن والمهاجمين.

خرج "كورني" من مكمنه وهو يصرخ: "نوه"، "داريسا"، اهربا.

بمجرد أن سمعا صوته حتى انطلقا يهربان بعيدًا، والتفت المهاجمون نحو "كورني" بعد أن استعادوا ترتيبهم ونظامهم، ووجهوا كل أسلحتهم نحوه، ارتد "كورني" بسرعة إلى مكانه خلف الشجرة ليحتمي بها وهو يطلق سلاحه نحو المهاجمين الغرباء، فأصاب اثنين منهما، ورَدَّ المهاجمين عليه بأسلحتهم، ويفاجأ "كورني" بأصوات هائلة أصمت أذنيه، كان صوت أسلحتهم رهيبًا لم تعتدْه أذناه؛ فلَفَّ ذراعيه حول أذنيه من الفزع، حتى هدأت حفلة الإطلاق بعض الشيء، واستعاد "كورني" رباطة جأشه بسرعة، وخشي إن بقي هادئًا في مكمنه أن يتقدم منه المهاجمون.

أطل من خلف الشجرة وأخذ يطلق سلاحه بغزارة، لكن المهاجمين كانوا قد احتاطوا لمفاجأته، فانتشروا، كلٌّ أوجد له مكمنًا يقيه من سلاح "كورني"، أطلق "كورني" سلاحه في اتجاهات عديدة لكنه لم ينجح في إصابة أي منهم، وبادلوه الطلقات واستطاع أحدهم أن يصوب نحوه بدقة وهو يطل من خلف الشجرة، فأصابه في منتصف صدره، لكن زيه العسكري حماه ولم تصل الإصابة إلى جسده، ارتد من جديد خلف الشجرة يحتمي بها، وصوت إطلاق أسلحتهم يصم أذنيه.

وبدأت خوذته تعطيه إنذارًا أن هناك خرقًا في زيه العسكري وعليه إصلاحه بسرعة قبل أن تتسرب الغازات الخارجية إلى جسده.

EEE

(13)

لم يهتم "كورني" بإنذار الخوذة فقد كان مشغولًا بالمهاجمين، حتى سمع صوت هدير يقترب من المكان، ويتبعه صوت رجل يصرخ بلغة لم يفهمها، وعلى الفور توقف إطلاق الأسلحة وصمت كل شيء، وشعر "كورني" بالخطر وبأنه وقع في شرك، ولن يمضي وقت طويل حتى يلتفوا حوله ويطوقوه، ولكنه أعد نفسه لمقاومة عنيفة وقرر ألا يدعهم يأسرونه أو يقتلونه إلا بعد معركة يستنفذ فيها كل حيلة، ولكنه صمت منصتًا باهتمام عندما سمع كلمة تألفها أذناه يصرخ بها الصوت الذي سمعه قبل قليل، كانت بلغة الموهادز السفليين، لكنها كانت بلهجة ركيكة، لكن الكلمة واضحة، كان يقول «سلام».

أخذ يردد الكلمة مرات ومرات، وفهم "كورني" أنهم يريدونه أن يضع سلاحه ويخرج إليهم، ولكنه خشي أن تكون خدعة، وبقي في مكانه متوترًا حائرًا، لا يدري أيستسلم أم يقاوم، لكن كلمة أخرى صكت أذنه فانتبه باهتمام وتطلع بحرص من خلف الشجرة ونظر بخوذته المقربة إلى الرجل الذي قدم أخيرًا ويجلس في مركبة مكشوفة غريبة الشكل ويصرخ بأعلى صوته: موهادز، موهادز.

كررها كثيرًا، وازدادت حيرة "كورني"، وأخذ يفكر ترى هل يعرف الرجل الموهادز؟ وهل هو منهم؟

لو كان الأمر كذلك إذًا فهو يريد السلام ويريد مساعدتهم.

نظر "كورني" إلى نفسه وملابسه التي تدل على أنه من الساموز، وأدرك حجم المأزق الذي وقع فيه،

لكن الرجل صاح بكلمة ثالثة جعلته ينصت من جديد، كان يقول «شهيد».

لم يفهم "كورني" الكلمة جيدًا لكنه فوجئ بـ"باي" تخرج من مكمنها من خلف الصخور وتتقدم نحو المهاجمين بثبات، ورأته وهو يشير إليها من مكانه أن ابقي مكانك، لكنها تجاهلته وظلت تتقدم حتى وصلت إلى الرجل الجالس في المركبة الغريبة وبدأت تتحدث إليه.

كرَّر الرجل إليها بتساؤل: شهيد! شهيد!

ظهر في وجهها الحزن، وأشارت إليه إشارات تعني أن "شهيدًا" قد مات، زوى الرجل ما بين حاجبيه وظهر التأثر في ملامح وجهه، ثم قال: محمد، محمد.

فهمت أنه يقصد أباها فأشارت له نفس الإشارات، فكر قليلًا ثم أشار إليها أن تهدأ وتطمئن، ثم عاد يكرر من جديد: سلام، سلام.

ثم أشار إلى نفسه وقال: موهادز.

هزت "باي" رأسها بفهم وظهر الاطمئنان في ملامحها، ثم أشارت إليهم أن يبقوا في أماكنهم هادئين.

التفتت وعادت إلى "كورني" الذي لا يزال مختبئًا خلف الشجرة يراقب كل شيء بخوذته المقربة، وعرف أنهم بالفعل موهادز رغم مظهرهم وملابسهم الغريبة، وأدرك أن "باي" تصرفت بذكاء وفطنة، فلو كان ظهر لهم ما كان يدري رد فعلهم تجاهه.

اقتربت "باي" منه وقالت: حسنًا، إنهم أصدقاء، لن يؤذوننا.

خلع "كورني" خوذته ووضع السلاح في حزامه وتقدم معها ببطء نحو الرجل الذي نزل من مركبته إلى الأرض ينتظرهم، وعندما وصلا إليه زوى ما بين حاجبيه وهو يتأمل "كورني" بشك وريبة، ثم نظر إلى "باي" بتساؤل وأشار لـ"كورني" بسبابته، فهزت رأسها مطمئنة إياه وأشارت إلى "كورني" بإشارات تعني أنه صديق. هز رأسه موافقًا ثم رفع أصبعَيْن لأعلى، وفهم "كورني" أنه يقصد "نوه" و"داريسا"، فصاح بعالي الصوت يناديهما، ومرَّ بعض الوقت حتى خرجا من مكمنهما، وانضما إليهم.

EEE

هدأت "باي" واطمأنت تمامًا للموهادز الأرضيين، لكن "كورني" لا يزال قلقًا ومتوجسًا وغير مطمئن لهم، وكان يفكر وهو يقود دراجته أمام

مركبات الموهادز الأرضيين كيف يحل تلك المشكلة، وكيف يوفر الأمان له ولمن معه، لو كان الاختيار بيده لما أمن لهم ولا استسلم، لكن "باي" والموهادز رأيهم مختلف، وعليه أن يرضخ رغمًا عنه لرأي الأغلبية.

أوقف "كورني" دراجته فسألته "باي" بدهشة: لِمَ توقفت! لم نصل بعد.

رد بهدوء: لو عدنا إليهم ومعنا كل هذا العدد من الغرباء لأصابهم الرعب، يجب أن نشرح لهم الأمر أولًا.

قالت بفهم: أنت محق، سأتحدث إلى قائد الأرضيين.

توجهت "باي" إلى مركبة القائد التي توقفت بدورها عندما توقفت دراجة "كورني"، وشرحت له الموقف بالإشارات قدر ما تستطيع، فهم القائد وتركهم يذهبوا وحدهم أولًا، ثم يعودوا إليه.

EEE

استطاع الموهادز الأرضيُّون بناء مأوى كبير يسع الموهادز الفضائيين، وبدأ الأمن والراحة تتسلل إلى الموهادز الفضائيين بعد كل ماعانوه من نصب وعناء، ولكن كانت هناك فجوة كبيرة بينهم وبين الأرضيين سببها اختلاف اللغة وعدم قدرة أي من الجانبين على فهم الآخر، كان لدى كلٍّ من الجانبين أسئلة كثيرة ومعلومات يجهلها عن الآخر؛ لذلك فقد انخرط الكثير من الموهادز الفضائيين في تعلم لغة الأرضيين.

إن ماكان يجمع بين الفريقين هو أنهم جميعًا من الموهادز، يحملون نفس الأفكار، ويحفظون نفس الكتاب ويتلونه

ولأول مرة يستطيع الموهادز الفضائيُّون البوح بما في صدورهم ورفع أصواتهم بما كان محظورًا عليهم، مما جعل التقارب بين الفريقين يزداد رغم عدم استطاعتهم التفاهم إلا بالإشارات.

لكن الأمور لم تكن أبدًا سهلة بالنسبة للقادمين من الفضاء، فقد واجهتهم مشكلة خطيرة وهي مشكلة الغذاء المناسب، فالموهادز الأرضيُّون يتناولون غذاءً غريبًا عليهم لا يستطيعون تناوله، ولقد كان الجد محقًّا عندما أخبرهم أن الأرضيين يتناولون غذاءهم مما يخرج من الأرض.

إن الأرض هنا مختلفة عن أي كوكب آخر فهي تخرج موادًا طرية مختلفة الألوان والأشكال، ولكنهم لا يستطيعون المجازفة بتجربتها فقد لا تتقبلها أجسامهم كما أخبرهم القائد عبد الله؛ لذلك فقد استمروا في تناول كبسولات الغذاء وأمبولات الماء التي وفرها لهم "كورني"، لكن قلقهم كان يتفاقم يومًا بعد يوم من نفاذ الغذاء الذي يعيشون عليه والذي تعتاده أجسامهم.

لم يمض وقت طويل حتى استطاعت "باي" ومجموعة من فتية الموهادز إتقان لغة الأرضيين بدرجة معقولة، فتعلم تلك اللغة كان بالنسبة لهم هو الفارق بين الحياة والموت، وكان من نتيجة ذلك أن انفتح للطرفيْن جسور للتواصل عبرها، وزاد ذلك من شعور الموهادز الفضائيين بالأمن والاستقرار.

أما "كورني" فلا يزال غير آمن، وشعوره بالقلق يزداد يومًا بعد يوم، كما أنه فشل في تعلم لغة الأرضيين أو فهمها، لذلك كانت "باي" تقوم بدور المترجم له، وتنقل للقائد عبد الله كل ما يريد قوله، وعندما اجتمع القائد عبد الله بـ"كورني" و"باي" في مقره أفهمهم أنهم ليسوا وحدهم القلقين من مشكلة الغذاء التي تواجه الموهادز، فهناك فريق من العلماء يعملون ليل نهار، ويقومون بتنقية الماء وتقطيره وعمل خلاصات من الطعام الأرضي مصنعة بشكل يناسب الموهادز، ويناسب طبيعة أجسادهم.

سأله "كورني" من خلال "باي": ولكن كيف عرفت أن الماء والغذاء الأرضي لن يناسب الفضائيين ولم يجربه أي منا؟

قال القائد عبد الله وفي صوته رنة أسى: لأن لنا تجربة سابقة مؤلمة، فأنتم لستم أول الموهادز الذين هبطوا إلى الأرض.

سألت "باي" باستغراب: من كان قبلنا؟

أجاب القائد: إنه موهادز يدعى زكريا.

هبت من مكانها، وارتسمت المفاجأة على وجهها، وهي تقول بلهفة: أين هو؟

قال القائد بدهشة: أتعرفينه!؟

تعجب "كورني" للغاية عندما أجابت مباشرة: نعم، أريد أن أراه.

صمت القائد قليلًا، ثم أجاب بصوت هادئ: حسنًا، هيا بنا.

قالت باهتمام: سنأتي، ولكن عليَّ أن أحضر أمي أولًا.

ركب الثلاثة في مركبة القائد، وفي الطريق سأل "كورني" "باي" سؤالًا مباشرًا: من هو زكريا؟

أجابت باقتضاب: إنه أخي.

عندما توقفت المركبة ترجلوا جميعًا، وأكملوا الطريق سيرًا على الأقدام، وبعد قليل توقف القائد وأشار إلى بقعة في الأرض يعلوها حجر قصير مستطيل وقال: هنا يرقد.

اقتربوا جميعًا من المكان الذي أشار إليه، وتأملت "باي" الحجر المستطيل، فوجدته قد نحت عليه بعض الكلمات بلغة الأرضيين، فسألت القائد بانفعال: ما المكتوب هنا؟

أجاب مباشرة: إنه اسمه، والتاريخ الذي أتى فيه إلينا، وتاريخ موته.

قامت "باي" بترجمة كل ما قاله القائد بدقة، فانكبت الأم الثكلى فوق القبر تبكي وتنتحب وتتحسسه بيديها وهي تهمس بحسرة: زكريا، ولدي.

و"كورني" يراقب بصمت متأسيًا متألمًا، لم تكن لديه القدرة على مقاومة ذلك الألم العظيم الذي يحرق فؤاده كلما رأى دموع تلك الأم الرؤوم، وكأنما دموعها تذكره بدموع أمه.

أغمض عينيه، وأخذ يستمع إليها بصمت وهي تقول: زكريا، ولدي، لعلك رأيت أباك الآن، أبلغه محبتي وشوقي له ولإخوتك "مار" و"فات" و"يوحي" و"شاهي".

كانت كلمة "شاهي" كقذيفة في أذن "كورني" جعلته يشعر بحرارة شديدة تجتاح أنحاء جسده وبألم كبير في قلبه، بعد أن اكتشف أنه كان كل هذا الوقت ضحية لخداع "باي"، أما "باي" فلم تلتفت إليه أبدًا، وتجنبت بصعوبة النظر في وجهه، فقد كانت تشعر بالقلق الشديد لمواجهته.

كانت خائفة من النظر في وجهه ورؤية التعبيرات التي ارتسمت عليه بعد أن سمع أمها تتحدث عن "شاهي" ولدها، كان بالنسبة إليها كائنًا شفافًا تستطيع بسهولة رؤية ما خلف نظراته وتفهم ما بداخله، لكنها أدركت أنه تجاوز الصدمة والغضب عندما قال بصوت حجري خالٍ من أية مشاعر: أخبري القائد أننا يجب أن نعود الآن لنجد حلًّا لمشكلة الغذاء والماء التي ستواجهنا قريبًا.

تماسكت الأم وعادت لصبرها من جديد، وعاد "كورني" و"باي" إلى مقر القائد، وبمجرد أن جلسا أمامه سألته "باي": كيف جاء زكريا إلى هنا؟

أجاب: فاجأتنا ذات يوم إحدى المركبات القادمة من الفضاء بسرعة كبيرة، في البداية كنا نظنها نيزكا، لكنها لم تحترق في الغلاف الجوي، واصطدمت بالأرض، ثم وجدنا رجلًا يخرج منها؛ فأصابنا الهلع جميعًا

وعادت إلى ذاكرتنا حكايات الأجداد عن الغزاة الفضائيين الذين كانوا يأتون بمركبات كبيرة ويقتلون الرجال ويخطفون النساء والأطفال، لذلك كنا نظنه منهم وحبسناه، كنا عاجزين عن فهمه، وهو أيضًا لم يستطع فهم لغتنا، لكن ما جعلنا ندرك أنه ليس عدوًّا عندما سمعناه يتلو القرآن.

وبدأنا نحاول التواصل معه بكل طريقة، وبصعوبة عرفنا أنه أتى ليستكشف كوكب الأرض ليعرف إن كان يصلح للحياة أم لا؟.

قال "كورني" بفهم: الآن فقط اتضح كل شيء.

كان كل شيء معدًّا من البداية ومخططًا له بدقة، الموهادز الجمريون المقاتلون كانوا يخططون لتحرير أهليهم، ولكن العقبة التي وقفت أمامهم لم يكن هناك مكان آمن يذهبون إليه؛ لذلك قرروا استكشاف الكوكب المشع وهل يمكن أن ينتقلوا إليه أم أنه لا يصلح للحياة؛ فأرسلوا زكريا بإحدى مركباتهم القديمة، وعندما اطمأن أن الكوكب آمن وبه حياة ويصلح للانتقال إليه، أرسل لهم رسالة بذلك، التقط "دافي" الرسالة، لكنه لم يستطع تحديد مكانها لأنها كانت رسالة وحيدة وسريعة؛ فأعدوا خطة لتحرير كل من على التابع «فايري».

كانت "باي" تنظر إليه بدهشة كبيرة وبدأت تتكون في عقلها صورة واضحة لما يقصده.

أما هو فقد تابع: ولهذا أصر "شاهي" ألا أغير برمجة مسار المركبة، كان مسارها مضبوطًا للهبوط على الكوكب المشع.

أكمل بشرود وبصوت يمتلئ بالإحباط: إذًا، فالجمريون قاموا بكل شيء، هم الذين أنقذوكم وحرروكم من الساموز.

فهمت "باي" ما يرمي إليه فقالت نافية: لولاك ما كنا لننجح أبدًا أو نجتاز القضبان الحمراء، لولاك لكنا جميعًا الآن في الثقب الأسود.

قال بأسًى: لولاي لكان "شاهي" الآن حيًّا بينكم.

قالت بانفعال: لا ليس صحيحًا، إنما...

قاطعها القائد بهدوء: لدينا الآن عمل هام نقوم به.

وضع أمامهما قارورتيْن صغيرتيْن، واحدة فيها ماء والثانية سائل أصفر وقال: هذا ماء مقطر منقى ومعالج بأحدث الأجهزة التي توصلنا إليها، والثاني هو خلاصة التفاح، وعلينا تجربتها على واحد من الموهادز يكون متطوعًا بإرادته وعالمًا بالمخاطر التي يمكن أن تواجهه.

قالت "باي": أهذا هو ما كنتم تطعمونه لزكريا؟

قال بأسف: لا، كان يشرب من ماءنا ويأكل من طعامنا، لكن جسده لم يتحمل.

صمت قليلًا ثم قال: لا نريد تكرار الخطأ، لذلك فمنذ وصولكم ونحن نعمل بكل جهد ومعاملنا تعمل ليل نهار لتصنيع غذاء وماء يتوافق مع أجسامكم، ولم يتبقَّ سوى التجربة الفعلية.

قال "كورني" بحزم: أنا سأجربه.

صاحت "باي": لا. سنجد أحدًا غيرك، أنت قائدنا.

قال ساخرًا: شكرًا للمجاملة، لقد قررت ولن يجربه غيري.

قالت بضيق: لا تكن عنيدًا، و...

قاطعها قائلًا بحزم: لو تعتقدين حقًّا أنني قائدك فعليك إطاعة أوامري.

صمتت مكرهة، والتفت هو للقائد عبد الله قائلًا: أنا مستعد.

ناوله القائد قارورة الماء الصغيرة، وقال: كمية صغيرة تكفي الآن حتى نتبين نتائجها، وبعد بضعة ساعات سنجرب ضعف هذه الكمية إذا كانت النتيجة إيجابية ولم تحدث مشكلة.

شرب "كورني" القارورة، وبعد عدة دقائق سأله القائد: هل تشعر بأية تغيرات؟

هز رأسه نافيًا، فأكمل القائد: حسنًا، هذا جيد ولكن حتى نطمئن يجب أن تظل بعض الوقت تحت الملاحظة الطبية، ضغط زرًّا صغيرًا على مكتبه، وسرعان ما دخلت سيدة شابة في زي طبيبة، فقال القائد: أعرفكم بالدكتورة

تينا، هي التي أشرفت على مشروع الغذاء والماء النقي الذي تراه أمامك، أرجو أن ترافقها للمستشفى حتى تقوم بفحص أجهزتك الحيوية ومتابعة ما يجد من أمور.

هز رأسه موافقًا، وسبقته د. تينا إلى الخارج، فنظر إلى "باي" وفهمت هي أنه ينتظرها لتأتي معه؛ فقالت: سأتبعك بعد قليل، أود فقط أن أسأل القائد عن بعض الأمور.

ظهر على وجهه الضيق من تصرفها، لكنه خرج خلف د. تينا بصمت، كانت تود حقًّا أن تلحق به لتطمئن عليه، لكنها كانت خائفة من مواجهته ومما سيقوله لها.

قال القائد بهدوء: أرجوك اجلسي، أود أن أسمع ما تريدين قوله.

جلست أمامه وقالت: كنت أريد أن أستفسر عن بعض الأشياء.

ابتلعت ريقها ثم قالت: لِمَ أرى نسائكم يخفين شعورهن؟

قال بفهم: نعم، فهمت.

فكر قليلًا ثم قال: قبل أن أجيبك، أرجو أن يتسع صدرك لتفسير بعض الأشياء التي أجهلها عنكم.

هزت رأسها موافقة، فقال: بالتأكيد أنت تدركين أن هناك فارقًا كبيرًا بين من تدعونهم بالموهادز الأرضيين وبينكم.

هزت رأسها بصمت وهي تنصت باهتمام، فأكمل: ألاحظ أنكم تتقنون حفظ القرآن جيدًا، وتحرصون عليه.

قالت: لقد عشنا أجيالًا لا هَمَّ لنا في الحياة سوى حفظه وإجادته ونقله لمن بعدنا، كنا نظن أنَّا آخر الموهادز في هذا الكون، وخشينا أن يندثر القرآن بموتنا.

قال: هذا رائع، ولكن، أتفهمونه؟

هزت رأسها نفيًا ببطء: مع الأسف لا، وإلا لكنا استطعنا التفاهم معكم وفهم لغتكم من أول يوم.

قال بأسف: إذًا، فأنتم لا تفهمون أية كلمة منه، ورغم ذلك تحفظونه وتبذلون حياتكم من أجل الحفاظ عليه.

قالت بألم: إنّ كل ما نعرفه هو أن هناك إله نؤمن به، والقرآن هو كلامه للبشر أنزله على الرسول محمد ﷺ، وإن لم نكن نفهمه فسيأتي من يستطيع فهمه يومًا ما، أما التفريط فيه ونسيانه حتى يندثر فهو إثم لا نقدر على تحمله.

قال بهدوء: ذلك ما نسميه فرض العين. نظرًا لقلة عددكم وما كان يمارس عليكم من ظلم وإرهاب وقتل، لم يكن باستطاعتكم الحفاظ على ما تعلمتموه إلا بهذه الطريقة، اتساع قاعدة الحفاظ كان هو السبيل الوحيد أمامكم.

كان يبدو كمن يحادث نفسه أكثر مما يحادثها، ولم تكن هي بقادرة على استيعاب أغلب كلماته.

قالت بأسًى: لقد قطع أجدادنا عهدًا على أنفسهم وعلى من يأتي بعدهم أن يحملوا القرآن ويبذلوا في سبيله كل ما يملكون، ليس هذا فحسب، بل يعتبر واجبًا على كل من حفظه أن يعلمه لعشرة غيره؛ ولأن حياتنا كانت صعبة للغاية وغير مضمون أن يتم كل هذا كما ينبغي، كان لا بد من اختبار لقوة التحمل، إنه القبض على الجمر المحرق، فمن تحمل ألم الحرق، سيتحمل كل ما يصيبه من عذاب ولا يبوح بسر الجمريين.

قال بدهشة ممزوجة بالأسف: كنت أظن أننا الأرضيُّون قد مررنا بما لا يطيقه إنسان، ولكنني كنت مخطئًا، فعذابكم يهون أمامه كل عذاب.

قالت بشرود: أخبرني جدّي أن الموهادز الأوائل عندما اختطفهم الساموز وحبسوهم في التابع «فايري»، كانوا يحملون القرآن في أوعية مختلفة، منها ما يرى بالعين، ومنها ما يسمع بالأذن.

ابتسم وهو يفتح درجًا في مكتبه، ويخرج منه صندوقًا مربع الشكل، ويمده إليها وهو يقول: مثل هذا؟ أمسكت به وفتحته.

قال بهدوء: إنه مصحف، وما تقلِّبين فيها الآن تسمى صفحات، واللون الأسود المنقوش أمامك هي حروف وكلمات.

أكمل بابتسامة فخر: إنه القرآن.

مررت أصابعها فوق النقوش السوداء بدهشة عظيمة، وأخذت تقلب في الصفحات، ثم قالت بذهول: لا أدري ما هذا، ولا أظن أن جدّي يعلم.

قال بدهشة: ألا تعرفين القراءة والكتابة!

قالت بتساؤل: وماذا تكون؟

قال: هي الموجودة أمامك على هذه الصفحات.

الكتابة اخترعها الإنسان ليسجل بها أهم الأحداث التي مرَّت به وينقلها إلى غيره فيقرؤونها ويفهمونها؛ ولأن هذا الاختراع هو أعظم اختراع عرفته البشرية، فكان من أولى الأشياء لتسخير ذلك الاختراع له هو القرآن، وذلك لحفظه ونقله إلى كافة الناس، إنه اختراع شبيه بالذاكرة، حتى لا ننسى.

تساءلت غير مصدقة: أهذا هو القرآن!

قال باسمًا: إنه إحدى الأوعية التي ساعدتنا لنحتفظ به، أما أنتم فقد احتفظتم به كما نزل من عند رب العالمين

من فرد لفرد وبالتلقين المباشر، ولكن، ماذا عن لغة الموهادز، هل اندثرت تمامًا؟

قالت: لم يكن مسموحًا لنا بالتحدث بغير لغة الساموز، أخبرني جدّي أن الأوائل هم أكثر من عانوا، كانوا يحاولون قدر استطاعتهم أن يعلموا أبناءهم لغة الموهادز، لكن من يكتشف منهم كان يسجن ويعذب ويقتل، لذلك فقد

صنعوا لغة خاصة بهم لا هي لغة الساموز ولا هي اللغة التي أتوا بها من الأرض المشعة، كنا نتحايل ونحاول الإبقاء على بعض من كثير فقدناه، ولكن بمضي الوقت كان كل شيء يفقد معناه، أو يتحول إلى صورة مشوهة.

قال بفهم: نعم، أفهمك تمامًا، وهذا يظهر جليًّا في اختياركم لأسمائكم، فيصبح زكريا زاك، ويوسف جو، ويحيى يوحي، وشهيد شاهي، ومريم مار.. وأبية باي.

شردت عيناها بعيدًا، ورددت بلا وعي: ويصبح قرآني.. كورني.

قال عندما لاحظ تغير لهجتها: بالمناسبة، أرى أنه يحمل لك تقديرًا خاصًّا.

قالت بتوتر: بل أكثر بكثير من التقدير، وتلك هي المشكلة.

قال بتساؤل: أيريد أن يتزوجك؟

قالت: لم أفهم ماذا تعني.

قال مفسرًا: أن يرتبط بك ويكون لكما بيت وأطفال.

قالت بفهم: نعم. هو يريدني أن أكون رفيقته.

قال مندهشًا: لم أكن أتخيل أن الأمر وصل إلى هذا المدى البعيد.

كل شيء حدث له تشويه وتغيير حتى صارت له معانٍ أخرى، ترى ما الذي تبقى لكم من كل ما تركتموه خلفكم؟

قالت: لم يتبقَّ لنا سوى أننا موهادز.

قال بتساؤل: وما معنى تلك الكلمة بالتحديد؟

قالت: تعني أننا نؤمن بإله واحد لا شريك معه، خلقنا وخلق كل شيء، ولديه نعيم وجحيم.

قال: هذا صحيح، وإن كان منقوصًا فأركان الإيمان ستة..

ولكني كنت أفكر كثيرًا في تلك الكلمة وماذا تعني، لم أجد لها أي مقابل في لغتنا، لكني أعتقد- والله أعلم- أنها تعني المحمديين، أي أتباع الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وأظن أنها تم تحريفها وتشويهها حتى صارت الموهادز.

قالت: ربما، لا أستطيع أن أؤكد أو أنفي ذلك.

تنهد بعمق ثم قال: سأعود للموضوع، ما المشكلة في أن تتزوجيه؟ أو كما تقولين بلغتكم «تصبحين رفيقته».

قالت: لأن نساء الموهادز لا يمكن أن يصبحن رفيقات لأي إنسان، إلا لو كان موهادزًا مثلنا.

هز رأسه بفهم: نعم، هذا صحيح ففي شريعة أتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لا تتزوج المرأة إلا ممن هو على نفس دينها، إن هذا هو ما تبقى لكم من كل الشريعة، أستطيع أن أفهم أنه كان من الأساسيات التي احتفظتم بها؛ لأنها تمثل الحماية لعقيدتكم، كما أظن أن سر تمسككم بهذا

الجزء هو الحفاظ على هويتكم وحماية أسراركم وعدم ذوبان عقيدتكم واندثارها، إنه يعني لكم البقاء والتمسك بالحياة، وهذا ما تفعله كل أقلية تخشى الذوبان في الآخرين، أو تخشى الزحف على عقيدتها.

قالت بعجب: لم أفهم ماذا تعني؟

أجاب: لا تهتمي، فقط أحاول أن أفسر لم اندثرت بينكم كل الشريعة، ولم تبقَ سوى تلك الجزئية، فأنتم لا تعرفون الصوم ولا الصلاة ولا الحجاب، لكنكم تدركون مدى خطورة السماح للفتاة المسلمة بالزواج من غير المسلم.

قالت: لا زلت لا أفهم ماذا تعني.

قال: لقد كنت بحاجة للفهم، ولا زال أمامي الكثير لأفهمه وأتعلمه، فأنا لا زلت تلميذًا أبحث وأتعلم، والحياة ملأى بالخبرات والتجارب التي أبحث عنها، كانت تستمع إليه باهتمام لكنها عجزت عن فهم مقصده، لكنها تجاوزت كل هذا، وقالت: لم تجبني عن سؤالي بعد، لم تغطّي نساؤكم شعورهن؟

قال: إنه جزء من شريعتنا، شريعة المحمديين، أو الموهادز كما تطلقون عليهم، وحتى تستطيعي أن تفهمي ذلك عليك أولًا أن تبدأي من البداية، ستكون هناك جلسات يومية لتتعلموا لغة الموهادز الأرضيين، واسمها اللغة العربية، ومن يتقنها سيبدأ مجموعة من الجلسات اليومية ليتعلم ما هو الإسلام، وماهو القرآن، إن ما حفظتموه طويلًا دون فهم، آن الأوان لتفهموه ولتعرفوا ماذا يقول لكم ربكم، وماذا يريد منكم، وبم وعدكم.

انتفضت "باي" عندما سمعت صوتًا يصدر من جهاز موضوع أمام القائد، الذي ابتسم من ردة فعلها، وقال دون أن تسأله: إنه جهاز اتصال يسمى الهاتف.

أمسك القائد بالجزء العلوي منه ووضعه على أذنه وبدأ يتكلم: نعم د.تينا.

تغير وجهه واجتاحه القلق، وقال بتوتر: حقًّا!! أنا قادم على الفور.

قالت "باي" بقلق: إنه "كورني"، أليس كذلك؟

قال وهو يتحرك مغادرًا بسرعة: نعم، بدأت تظهر المشكلات.

EEE

(14)

وصلا إلى المستشفى، وجرت "باي" إلى الحجرة التي فيها "كورني"، ووجدته في حالة يرثى لها، يسعل بقوة ويفرغ ما في جوفه، ووجهه أحمر بصورة غير طبيعية.

هتفت بقلق: "كورني"، أأنت بخير؟

لم يستطع أن يرد عليها، فالتفتت إلى القائد عبد الله، وقالت بتوتر: أليس هناك ما يمكن فعله؟

قالت د.تينا: مع الأسف لا نستطيع أن نعطيه أي شيء بعد أن رفض جسده الماء المقطر.

التفتت "باي" إلى القائد عبد الله، وقالت بخوف: أهذا ما حدث لزاك؟

قال بأسف: لا كان الأمر أسوأ بكثير.

التفتت إلى "كورني" الذي ازداد سعاله، وقالت بتعاطف: "كورني"، كيف تشعر الآن؟

نظر إلى عينيها وبدأ سعاله يهدأ تدريجيًّا حتى توقف، لكنه ترك تغيرًا ملحوظًا

على صوته، وكانت أول كلمة نطق بها أن قال لـ"باي": شكرًا لاهتمامك.

شعرت بالخوف فجأة من نظراته، فأشاحت بوجهها بعيدًا وتجنبت النظر إليه، ثم تحدثت إلى د.تينا: هل استقرت حالته الآن؟

فحصته د.تينا بجهاز طبي وضعته في أذنيها، ووضعت طرفه الآخر على صدره، ثم قالت بهدوء: نعم، الوضع بدأ يستقر، وعادت أجهزة جسمه لطبيعتها.

هتف عبد الله براحة: الحمد لله.

تركهم وعاد إلى مكتبه، وذهبت د.تينا لمتابعة مرضاها في المستشفى بعد أن وعدته أن تعود لتطمئن عليه بعد قليل، وبقيت "باي" معه.

فقال بهدوء: هل شعرت بالقلق لأجلي؟

لم تنظر إليه، واعتصمت بصمتها الذي لم تكن تملك سواه؛ فزفر بضيق وهو يشعر أنها لا تريد أن تجيبه ولكنه قال: الآن بدأ القلق الحقيقي، لقد فشلت التجربة، مما يعني أنه قريبًا جدًّا ستواجهنا مشكلة حقيقية في نقص الغذاء.

كان توقعه صحيحًا، فأول من ظهرت عليه أعراض نقص الغذاء كان هو، فقد نحل جسده بشكل ملحوظ، وبرزت عظام وجنتيه، وغارت عيناه.

كانت "باي" تعرف سبب تأثره أكثر من الباقين، فقد ترك لهم غذاءه واكتفى

لنفسه بأقل القليل، كما أن زيه العسكري لم يعد آمنًا بما يكفي، فبعد الطلقة التي أصابته في معركته مع الموهادز الأرضيين، أحدثت خللًا في نظام التكييف فيه، مما جعله يشعر أحيانًا بالحرارة الشديدة في جسده، وأحيانًا أخرى بالبرودة، كما أن جلده أصيب بالحكة والالتهابات في كثير من أجزاء جسده، ولكنه لم يكن قادرًا على فعل شيء، أو وضع شيء على جلده حتى لو كان الماء الأرضي كما أوصته د.تينا، فهي لا تدري كيف يكون تأثير ذلك عليه.

وبقي يعاني في انتظار مزيد من الأبحاث والعمل الطبي لابتكار أنواع من السوائل والغذاء تناسب طبيعة جسمه ليجربوها عليه قبل تعميمها على الآخرين.

وظلت "باي" تراقبه بصمت وتراقب معاناته بقلق بالغ، وتذهب من حين لآخر لمناقشة الأمر مع القائد عبد الله ود.تينا دون أن يشعر، ورغم حرصها الشديد ألا يعرف بالأمر، لكنه لاحظ ترددها المستمر على مقر القائد عبد الله، كما لاحظ أنهما يتحدثان كثيرًا بلغة الموهادز الأرضيين التي لا يفهمها، مما جعله يزداد همًّا على همّ، فقد بدأت الغيرة تحرق قلبه، وعجز عن البوح بذلك الأمر لأي مخلوق، فـ"باي" تتجنبه وتختلق الأعذار لتبتعد عنه، كما إنه لا ينسى كيف خدعته، كان يشعر بالألم يأتيه من كل مكان.

هذه الحياة الغريبة التي يعجز عن فهمها والتأقلم معها، نظرات

الكراهية التي تبدو له من آن لآخر في عيون فتية الموهادز الذين يعجزون عن النسيان أو الصفح عما فعله الساموز بأهليهم، شعوره بالوحدة الذي يزداد يومًا بعد يوم وهو يرى "باي" تبتعد عنه، ذكرياته مع أمه التي تطارده في صحوه وفي نومه.

لقد كان هذا الكوكب الذي نزل فيه هو محطة لعذاب لا ينتهي، بل يزداد يومًا بعد يوم، لم يكن يهوِّن عليه عذابه سوى شخص واحد «إيما»، إنها النقطة الوحيدة المضيئة في حياته التعسة على هذا الكوكب الغريب، لكن جنونه اشتعل عندما عرف من "إيما" أن "باي" لا تأكل ولا تشرب من طعام الموهادز الفضائيين، بل تذهب إلى القائد عبد الله ليعطيها غذاء الأرضيين، لحق بها كالمجنون إلى مقر القائد عبد الله، واقتحم المكان وجن جنونه عندما رآها تمسك بيدها كأسًا صغيرًا به ماء أرضي، ضرب الكأس من يدها بسرعة ليسقط أرضًا ويتناثر قطعًا صغيرة.

قال بغضب هائل: ما هذا الذي تفعلينه؟ أتريدين قتل نفسك!.

كانت تقدر غضبه وخوفه عليها، وحاولت ألا تزيد من غضبه وهي تقول برجاء: "كورني"، أرجوك، لا أمل لنا سوى التجربة.

قال بغضب: لقد جربت قبلك وفشلت التجربة.

قالت: علينا أن نجرب ثانيًا وثالثًا، يجب أن نظل نجرب حتى ننجح،

الغذاء على وشك أن ينفذ، ماذا سنفعل عندها؟، لقد قبلت برغبتي أن أكون المتطوعي رقم2، وحتى لو لقيت حتفي كأخي "زاك"، فلن أكون نادمة.

هتف وغضبه يزداد: لا، لن تفعلي، أنت على وجه الخصوص، لا. سأقوم أنا بالتجربة مرة ثانية وثالثة، ولكني لن أسمح لأحد بإيذائك.

قال القائد عبد الله بهدوء: لا داعي لكل هذا القلق.

التفت إليه "كورني" بحدة، فقال بابتسامة تفاؤل: لن تتأذى إن شاء الله، لقد نجحت التجربة معها وتقبل جسمها الماء والغذاء.

نظر إليه بذهول غير مصدق، ثم التفت إليها فقالت مؤكدة: نعم، هذا صحيح، أنا أتناول الماء والغذاء منذ يومين، ولم يتأثر جسدي.

هتف بدهشة: ولكن كيف؟ وأنا.. أنا.. وأنت..

لم يكن يدري ماذا يمكن أن يقول.

ولكنها قالت برجاء: أنا لست مثلك، إن جسدي معتاد على الغذاء الردئ الملئ بالمواد الصلبة، أما أنت فجسدك معتاد على نوع معين من الغذاء والماء شديد النقاء؛ لذلك لم يتقبل جسدك الغذاء ولا الماء الأرضي، لأنك.. لأنك

«لأنني ساموز».

قالها بلهجة يأس قاتلة، ثم أكمل بألم: فهمت.

قالت باستنكار: ولكن اسمعني..

لم يدعها تكمل، فقد غادر المكان بسرعة دون كلمة زائدة.

أغمضت عينيها بكل أحزانها ويأسها، وهي تتنهد بألم كبير، وتقول للقائد عبد الله: لا أدري كيف أتصرف؟ الأمر يزداد سوءًا يومًا بعد يوم، وأرى اليأس والألم يكبر في عينيه، وفترات شروده تزداد، وضاعت ابتسامته الدائمة

أخبرني جدّي أنه يتكلم كثيرًا وهو نائم، وقد يبكي في أحيان كثيرة، لا أدري كيف أشرح له الأمر دون أن أجرحه وأزيد من ألمه.

قال بهدوء: إن وحدته تزداد بسبب شعوره بأن أهميته في المجموعة تتناقص، ودوره يتقلص ويتراجع

كما أنه يشعر بالكراهية من كل من حوله، فالفتية لا زالوا يعتبرونه ساموزًا، ولا يستطيعون تقبله بينهم،

لم يتبق له سواك، لقد وضع كل أمله فيك.

هتفت بانفعال ودموعها تتدفق على خديها: مستحيل، أنت تعلم أن هذا مستحيل.

قال بألم: أنا أعلم، ولكن هو لا يعلم، ولن يفهم، إنه بحاجة ماسة للشعور بالحب ممن حوله والتقبل بين المجموعة، يحتاج أن يشعر بأنه ليس وحيدًا، كانت "باي" تدرك أن كل ما قاله القائد عبد الله حقيقة لا شك فيها، وفهمت أن الشخص الوحيد الذي يمكن أن يخفف من ألمه ويمنحه بعض الحب هو

"إيما"؛ لذلك كانت تدفعها دائمًا للالتصاق به كظله وعدم تركه وحيدًا أبدًا.

EEE

نجح القائد عبد الله في تعميم التجربة على سائر الموهادز بعد نجاحها مع "باي"، واتبعت د.تينا نفس الخطوات التدريجية معهم حتى اعتادت أجسادهم الغذاء الأرضي، وكانت النتائج مفرحة للجميع، وتقبلت أجسامهم الغذاء والماء الأرضي، وشيئًا فشيئًا لم يعد هناك قلق من نفاذ الماء أو الغذاء، وتركوا ما تبقى من أمبولات الماء وكبسولات الغذاء لـ"كورني" الذي لم يستطع جسده تقبل الماء ولا الغذاء الأرضي.

انتظم جميع الموهادز في التعلم في جماعات متقاربة في العمر، والتحقوا بصفوف تعلم لغة الموهادز الأرضيين، والقراءة والكتابة، ومن يتقدم منهم في صفة يلتحق بصف تعلم القرآن وفهمه وتفسيره، ولقد أبلى الفتية والصغار بلاءًا حسنًا، وتقدموا في الدراسة سريعًا، أما الكبار فكانوا بحاجة لوقت أطول للتعلم والإتقان.

وكان القائد عبد الله يشرف بنفسه على تعليمهم ويراقب عن كثب تقدمهم، ويزور باستمرار حلقات دروسهم، ويتابع مدى تقدمهم في تعلم لغة الأرضيين، ويومًا انضم لحلقة الدراسة الخاصة بالكبار، وجلس بينهم لبعض الوقت حتى انتهى المعلم من شرح دروس اليوم، وبعدها بدأ القائد عبد الله حوارًا طويلًا معهم وسألهم عن أحوالهم وتقدمهم في الدراسة

ومدى استفادتهم منها، ثم طلب منهم أن يسألوه عن كل ما يخطر ببالهم.

بدأ الجد بسؤال محاولًا قدر جهده التحدث بلغة الأرضيين، وما يعجزه كانت "باي" تكمله بالترجمة:

كيف نجت الأرض من الإشعاع، وكيف هم أحياء حتى الآن؟

قال القائد عبد الله باسمًا: إن هذا السؤال إجابته طويلة للغاية، ولكني سأحاول اختصار الأمر قدر ما أستطيع

من رحمة الله بنا أن جعل لنا هذه الأرض مستقرًّا ومقامًا للإنسان، ويسرها لمعاشه حتى أنه جعل غذاءه مستقرًّا فيها وكذلك هواؤه وماؤه، كما جعل فيها خاصية هامة وهي أن ما فيها يتجدّد باستمرار وفق سنن وقوانين جعلها الله دورية لا تتخلّف.

منذ زمن بعيد قامت الحرب العالمية النووية وتسببت بتدمير معظم اليابسة وقتل أغلب من بقي عليها من الذين عجزوا عن أن تكون لهم إمكانيات تقلهم للفضاء لبناء حضارة جديدة هروبًا من الخراب والدمار، ورأى أجدادنا الذين لم يستطيعوا مغادرة الأرض السماء تشتعل بحرب ضروس كما اشتعلت الأرض، وقدروا أن البشر بعد أن أفسدوا في الأرض، خرجوا إلى الكواكب الأخرى ليستأنفوا معاركهم عليها، وبعد فترة توقفت الحروب وهدأت السماء، ولكن الأرض كانت مملوءة بالإشعاع، ثم بدأت تأتي أفواج القراصنة في هجمات متكررة على الأرض، تقتل الرجال

وتختطف النساء والأطفال؛ لذلك فقد قام البشر الباقون على سطح الأرض بحفر مخابئ تحت الأرض يختفون فيها إذا ما أتى الغزاة، وكذلك لحمايتهم من آثار الإشعاع، ولتحميهم من درجة الحرارة التي بدأت تنخفض بسرعة كبيرة بعد أن تجمعت ذرات الأتربة في الغلاف الجوي لتكون سحبًا ترابية حجبت بعضًا من أشعة الشمس، وأتى على الأرض عصر الظلام، وأصبحت حياة البشر تحت سطح الأرض، ولا يخرج أحد إلى سطح الأرض للبحث عن الطعام وإحضار الماء إلا بزي مخصوص يحميه من الحرارة المنخفضة، واعتاد البشر الحياة في المخابئ تحت سطح الأرض، ولكنهم فقدوا أهم ما يميزهم كبشر....إنسانيتهم.

إن الظلام الطويل والبرودة القاسية ونقص الماء والغذاء حوَّلهم إلى وحوش يأكل بعضهم لحم بعض، ويشربون دماء بعضهم البعض، وفي بضعة سنوات قصيرة نسي الإنسان ماذا تعني كلمة علم أو دراسة أو تربية أو تهذيب،

نسي ماذا تعني كلمة إنسان، وصار كسائر الحيوانات والحشرات التي تحيا تحت الأرض، لا هم له سوى أن يحيا أية حياة، لم يعد يفكر أية حياة التي يحياها، المهم أن يعيش، يتنفس، يأكل، يشرب.

قالت أم "باي" بدهشة: ولكن من الذي قادكم إلى النجاة من هذا الظلام المخيف، ومن الذي أخرجكم من تلك الأزمة الرهيبة؟

وأين أنتم من كل هذه الأزمات؟

قال بفهم وهو يستعيد ذكرياته الأليمة: أفهم ماذا تعنين «بأين أنتم» تقصدين المسلمين أو المحمديين، أو الموهادز الأرضيين كما تطلقون عليهم.

قالت: نعم.

قال: موجودون، دائمًا موجودون، من البداية وحتى الآن كنا دائمًا موجودين نحيا كأي بشر أية حياة، أما بالنسبة لسؤالك عمن قادنا إلى النجاة من ذلك العصر المظلم، فالإجابة هي ليس شخصًا، ولا عدة أشخاص، ولا حتى كل البشر الذين على الأرض.

إن من أنجانا وأخرجنا من الظلمات إلى النور، هو نفسه من حماكم وحافظ على هويتكم وأبقاكم موهادزًا برغم كل ما حدث لكم، نعم إنه هذا الكتاب، إنه القرآن.

نعم كان الموهادز دائمًا موجودين، لكنهم كانوا يبتعدون عن قرآنهم شيئًا فشيئًا حتى صاروا اسمًا بلا معنى، وقولًا بلا فعل، وشكلًا بلا قلب، ورأسًا فارغًا بلا عقل، وحياة خاوية بلا هدف، نسوا أنفسهم وصاروا كباقي البشر في عصر الظلام، ولكن عندما تشتد الأزمات ويسود الشعور باقتراب الهلاك، وينتشر التدني وصولًا إلى أقصى دركات الحيوانية، تبدأ الفطرة بالعمل، وترفض كل هذا وتهيم بحثًا عن إنسانيتها المفقودة، لم يكن هناك سواه ليثقوا به ويتعلقوا به تعلق الغريق الموقن بأن هذا الكتاب هو سبيله الوحيد للنجاة، لم يجد البشر أملًا يبقيهم أحياء ويرد إليهم إنسانيتهم

المهدرة سوى القرآن وسنة النبي محمد ﷺ

يكفي أن يعمل بهذا الدين واحد ليؤمن به 10، ويطبقوه ويصدقهم مائة ويلتف حوله وحولهم الجميع، لقد آمنوا أن نجاتهم ورقيهم فيه فالتفوا حوله أملًا أن الواقع المظلم سيتغير يومًا ما، وحتى لو لم نرَ التغيير فعلينا أن نعمل للأجيال القادمة لكي يجدوا ما يحفظ لهم إنسانيتهم.

وليس هذا فحسب، لقد التف حوله غير المسلمين وأيقنوا أن نجاة البشرية وعودتها للإنسانية والحضارة لن تكون إلا بهذا المنهج الذي يتبعه ويعمل به المحمديون.

نظر في وجوه الجميع فوجدهم مندهشين تمامًا وعاجزين عن فهم الأمر، فقال بهدوء: سأشرح لكم أكثر، لقد قضت الحرب الأخيرة على 90٪ من الحضارة البشرية، بلاد بأكملها مُحِيت من على سطح الأرض، وأخرى أُغرقت تحت مياة الثلوج التي أذابتها الحرارة المنبعثة من الأسلحة الفتاكة، وثالثة سقطت في البحر، وأخرى انقضت عليها الجبال، كانت مأساة لا أجد لها وصفًا، اختفت الكتب والعلوم والآداب والمدارس، وارتدت البشرية إلى عصور ما قبل الحضارة، وأصبح همُّ الإنسان وشغله الشاغل هو مأكله ومشربه فقط إلا قلة، ظلت محتفظة بالقرآن والسنة، وبدأت تزداد القلة تدريجيًّا لتصبح ثلة، لقد وجدوا كل ما يحتاجونه فيهما.

كان هذا هو العلم الوحيد المتبقي لنا من كل علوم الأرض، فيه أخبار

الأزمان الماضية، وفيه خبر الأزمان الآتية

كنا نشبهكم في وقت من الأوقات، لذلك أستطيع أن أتفهم كل ما مررتم به من مآسي، وكيف حاولتم قدر استطاعتكم الحفاظ على ما تحملونه من قرآن، بالنسبة لنا لم يكن فقط مجرد كتاب للتشريع، أو شرح لماهية التوحيد، لقد كان كتاب حياة، تعلمنا منه ومن سنة محمد ﷺ كيف نكون بشرًا.

لقد منحنا الأمل والدافع للحياة والقدرة على العمل أننا يومًا ما سنستطيع الحياة فوق سطح الأرض من جديد،

ومنه استطعنا الحفاظ على لغتنا لأجيال عدة، منه علَّمْنا أولادنا تحت الأرض القراءة والكتابة والإنسانية، لقد ماتت بقية اللغات الأخرى بموت أصحابها، فلم تكن لها كتب تحفظها ولا أساسيات نعلمها لأطفالنا؛ لذلك فلن تجدوا إنسانًا واحدًا يحيا الآن على سطح الأرض لا يتكلم العربية، فهي اللغة الحية الوحيدة الباقية إلى الآن.

قالت "باي" بدهشة: لماذا؟

قال متسائلًا: لماذا ماذا؟

قالت: لماذا نجحتم أنتم بينما فشلنا نحن، كيف استطعتم الحفاظ على لغتكم وشريعتكم ونحن لا؟.

قال بهدوء وهو يستشعر مدى إحساسها بالألم: الأمر يتلخص في كلمتين، السيادة والحرية.

لقد كادت الأرض أن تفنى عن آخرها وتتحول إلى كوكب بلا حياة، ولكن في هذا الوقت ساد المحمديون «أتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم»، وهذه السيادة هي التي منحتنا الحرية.

الفرق بيننا وبينكم أننا عشنا في مناخ بلا ضغوط أو إرهاب أو خوف، نستطيع فيه أن نختار ونتعلم بكل حرية

وكان اختيارنا هو الإسلام، بل إنه كان اختيار كل من بقي حيًّا على الأرض، مسلمين وغير مسلمين، أما أنتم فقد حرمتم من الحرية، ولم يكن الخيار بأيديكم؛ لذلك فقد فرضت عليكم لغة لا ترغبونها وأسماء تكرهونها وحياة لا تتقبلونها.

لقد سُدْنا الأرض، حتى لو كانت خرابًا، ساد المحمديون لأنهم كانوا الفئة الوحيدة المؤهلة لاجتياز الأزمة بما يحملونه من منهج رباني يحمل بداخله كل مقومات الحياة الإنسانية، لذلك سُدْنا، وهذه السيادة هي التي منحتنا الحرية، لو كنا تركنا السيادة لغيرنا، لكنا أصبحنا مثلكم تمامًا.

صمتت ولم ترد، كانت كلماته تدور في رأسها، ولكنه أكمل: من القرآن تعلمنا ألا ننسى، وألا ندع أولادنا ينسوا، لذلك اتَّبعنا الناس، كل الناس، حتى غير المسلمين بحثًا عن النجاة، وهروبًا من الظلام.

لقد أدرك البشر الذين بقوا تحت الأرض أنه سيمضي وقت طويل، طويل للغاية قبل أن يخرجوا إلى سطح الأرض من جديد.

وهذا يعني أن كل الموجودين في هذا الوقت سيموتون ويَحِل غيرهم، ولكن غيرهم لا يعرفون شيئًا عما حدث أو عن الحياة على سطح الأرض، لذلك فلقد تزعم المحمديون حملة لتدوين كلِّ ما يعرفه البشر المتبقين من علوم وآداب وأي شيء من حياتهم على سطح الأرض، وطلبوا من كل من لا يزال حيًّا أن يكتب كلَّ ما يعرفه وكل ما صادفه وشاهده في حياته، وحتى كل ما سمع عنه، وكل من لا يستطيع أن يكتب فليملل لمن يعرف الكتابة.

ومضت أعوام وأعوام وهم يسجلون ويدونون كل ما يعرفونه عن حياة الأرض والبشر، ثم بدؤا يورِّثونه للأجيال الجديدة جيلًا بعد جيل، فلا يولد طفل في عصر الظلام إلا وعليه أن يتعلم قدر ما يستطيع من علوم ومعارف دوَّنها الأجداد.

وارتقت الأرض سلم الحضارة من جديد من أسفله درجة درجة، وبدأ يظهر في الأجيال الجديدة علماء ونوابغ وبشر طبعة جديدة يأبون الحياة في الظلام، بشرٌ يرغبون في الحياة تحت الشمس.

اخترعوا أزياءً واقية من الإشعاع والبرودة، وأجهزة لقياس نسبة الإشعاع، كانوا يخرجون إلى سطح الأرض بزيهم الواقي لقياس درجة الحرارة ونسبة الإشعاع، وبمضي الأعوام كانت نسبة الإشعاع تقل، والغبار والأتربة تهدأ وتهبط من الغلاف الجوي إلى سطح الأرض، وترتفع درجة الحرارة، وتذوب جبال الثلوج المتراكمة، حتى أتى اليوم الذي استطعنا

الخروج فيه إلى سطح الأرض والحياة فوقها من جديد.

ولي الفخر أن أكون من الجيل الذي شهد الظلام وهو طفل ثم خرج إلى النور، مما جعلنا أكثر تمسكًا بديننا الذي أنجانا وعَبَر بنا من عصر الظلام إلى النور، لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا.

ولا زال القرآن حتى الآن هو الذي يقود الأرض ومَنْ عليها، فالسيادة لنا، مما جعلنا نبذل جُلَّ جهدنا لإعادة الحضارة وبناء ما تهدم، والبحث عن الضائع.

لقد استطعنا إيجاد الكثير من الكتب والعلوم تحت أطنان من الردم والتراب تتحدث عن اختراعات وصناعات لم نكن نعرف عنها شيئًا، وأصبح الكتاب والعلم هو كنز الكنوز الذي نبحث عنه تحت الردم والركام، وسرعان ما استطعنا إعادة تصنيع الكثير من الاختراعات السابقة كالسيارة والهاتف والأدوات الطبية التي تساعد في كشف ما يدور داخل جسم الإنسان، وكذلك استطعنا تصنيع الكثير من العقاقير والأدوية التي تساعد في شفاء الأمراض بعد أن وجدنا كتبًا تتحدث عن علم الكيمياء وكتبًا تشرح عمليات تصنيع الدواء، ولا زلنا على الطريق، يعود الفضل لكل ما وصلنا إليه إلى القرآن، منه تعلمنا اللغة التي هي وعاء العلم، وإلا لما استطعنا قراءة الكتب التي وجدناها بعد خروجنا إلى سطح الأرض ولا فهمها، منه ومن سنة نبينا ﷺ تعلمنا كيف نكون مسلمين، وهو الذي رفعنا إلى درجة سيادة العالم وقادنا وقاد الأرض كلها إلى النجاة.

EEE

(15)

صمتوا تمامًا وعيونهم امتلأت بمشاعر كثيرة، سأل بتأثر: هل من أسئلة أخرى؟

سمع صوت أم "باي" مترددًا وهي تقول بتوتر: كنت.. كنت أريد أن أسأل، لو أن هناك موهادزًا مؤمنًا ومصدقًا وملتزمًا، ولكنه لم يكن يعرف الصلاة، ولم يتعلم كيف يقيم الشعائر، فإلى أين سيكون مآله؟ هل إلى الفردوس.. أم إلى الجحيم؟

تأمل في وجوههم ليجد الوجوم والترقب قد حل عليها انتظارًا لإجابة ذلك السؤال الشائك، ولمح التلهف والقلق في عيون السيدة الثكلى، وأدرك أنها بحاجة لأن تسمع كلمة تطمئنها على مصير زوجها وأبنائها، فقال بهدوء: أفهم من تقصدين، تقصدين من مات دون أن يتعلم أي شيء من أمور دينه ورغم اجتهاده في التعلم لم يجد أي مصدر يتعلم منه.

قالت بألم: نعم.. نعم. ماذا سيكون مصيرهم؟

قال بهدوء: ماذا إن قلت لك إن هناك من يتمنى أن يكون معهم لينال ما نالوا من منزلة ودرجة عالية!.

قالت والدمع يترقرق في عينيها: هل.. هل تعني أنهم الآن...

قال بثقة: بل أنا موقن من أنهم شهداء، هكذا أحسبهم عند الله، إنه وعد ربي، ووعد ربي لا يكون إلا حقًّا،

درجات الشهادة من أعلى الدرجات في الجنة.

قالت بتردد أكبر: وهل.. هل..

ابتلعت ريقها وتركت بعضًا من دموعها التي أثقلت جفنيها تنهمر، ثم قالت: ولكن.. هل هناك جنة حقًّا؟

قال بابتسامة مطمئنة: وما رأيك أنت، أهي موجودة أم لا؟

قالت بصدق: أنا أصدق أنها موجودة، لابد أن تكون موجودة، ولكني فقط أريد أن أطمئن.

أشارت لصدرها وقالت بحزن: أريد لذلك الخافق أن يهدأ ويستقر مكانه ويرضى بما قسمه الله لنا.

قال بتعاطف: نعم، اطمئني إنها موجودة، يقينًا موجودة، تتزين كأجمل ما تكون لتفتح ذراعيها لمن آمن بوجودها وصدَّق وأحسن الظن بالله أنه إن شاء الله من ساكنيها بعد أن سعى لها سعيها وهو مؤمن، وهذا قول رسول الله ﷺ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ اللهَ خَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ وَبَنَاهَا بِيَدِهِ لَبِنَةً مِن ذَهَبٍ وَلَبِنَةً مِن فِضَّةٍ، وَجَعَلَ مَلاَطَهَا الْمِسْكَ وَتُرَابَهَا الزَّعْفَرَانَ وَحَصْبَاءَهَا اللُّؤْلُؤَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: طُوبَى لَكِ مَنزِلَ الْمُلُوكِ».

وعنْ أَنَسٍ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلاَءً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: اصْبُغُوهُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيَصْبُغُونَهُ فِيهَا صَبْغَةً، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ اَوْ شَيْئًا تَكْرَهُهُ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَكْرَهُهُ قَطُّ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُ: اصْبُغُوهُ فِيهَا صَبْغَةً، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ، فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ وَلاَ قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ».

أغمضت عينيها في شوق عارم لتتساقط دموعها بغزارة وهي تهز رأسها امتنانًا له ولكلماته التي بثت الأمن والهدوء والسكينة في نفسها، تأمل وجوههم التي غمرتها الراحة وابتسامات الرجاء المرسومة على الثغور، فقال متممًا كلامه: لستم وحدكم من تجرَّع الألم وأصناف العذاب الهون، قدر الله في الأرض أن في كل عصر ستبقى طائفة من البشر يقبضون على دينهم كما يقبضون على الجمر المحرق، يحملونه في قلوبهم وعقولهم ويحيون به ويموتون عليه ويضحون من أجله.. ولو كانوا في جوف الأرض أو قاع البحر أو في أطراف السماء الواسعة سيحيون ويموتون في سبيل هذا الدين موقنين أن لهذا الكون ربًّا يتسابقون إلى جناته فرارًا من ناره ولو بذلوا في سبيل ذلك أرواحهم وأرواح آبائهم وأبنائهم فردًا فردًا، كما بشرنا الصادق المصدوق، رسول الله ﷺ:

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» وقال أيضًا:

«يأتي على أمتي زمانٌ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر».

بدت مترددة من جديد وهي تبتلع دموعها: ولكن، ماذا، ماذا.. لو.. لو.. لم يقتلوا بأيدي أعدائهم، ولكن.. ولكن بأيديهم.

قال بدهشة: عفوًا، لم أفهم.

ابتلعت ريقها بصعوبة شديدة، ودموعها تسيل بغزارة: أعني.. أعني..

عجزت عن الإكمال فخفضت رأسها واستسلمت لدموعها، وفهمت «باي» من تعني، فأطرقت برأسها وانسكبت دموع الحزن من عينيها.

أدرك القائد أنهم يقصدون شخصًا بعينه، ربما يكون قد انتحر، وهذا يؤلمهم أشد الألم، وأخذ يفكر بعمق، ما الذي يمكن أن يقوله ليهدئ من روع قلوب اشتعلت حسرة وألمًا، ولم يجد إلا أن يتلو هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا»

أظنك تحفظين هذه الآية؟

هزت رأسها وهي تمسح بعضًا من دموعها: نعم، نعم.

ثم عادت تسأله من جديد والأمل يكبر في قلبها: إذًا، فهناك أمل لنجاتها؟

قال باسمًا: بل هي آمال، أعلم أن رحمة ربي وسعت كل شيء فاستغفري لها.

استسلمت الأم لدموعها بصمت وهدأت نفسها واستراحت لكلام القائد عبد الله.

لكن «باي» سألته: ولكن هل تسع رحمة ربي العاصيَ والذي لم يؤمن بعد؟، وهل تسع من لا يعرف ومن لا يستطيع أن يفهم؟ هل لديه أية فرصة.

فهم القائد من الذي تقصده بكلامها؛ فقال بهدوء: هناك دائمًا الرجاء في سعة رحمة الله، وقد أمهله فلا زالت لديه فرص كثيرة طالما أنه حيّ يتنفس ويعيش ويفكر، إن الحياة في حد ذاتها نعمة كبيرة لأنها تعني أن الفرصة لا زالت قائمة والرجاء موصولًا، فقط عليه أن يتخذ الخطوة الأولى، وبعدها سينجو إن شاء الله.

لفَّت وجهها إلى الخلف لتتجه نظراتها إلى «كورني» الذي كان يقف بعيدًا مع مجموعة من فتية الموهادز، وتأملت بحسرة وجهه الذي شحب وبرزت عظامه بسبب شح الغذاء، وهاجمها سؤال أوجع قلبها بعمق: ماذا لو كان الموت أسرع من كل الفرص؟

نفضت رأسها يمنة ويسرة وهي تغمض عينيها بقوة، وكأنما تنفض عن رأسها فكرة كابوسية تحطم كل آمالها،

فتحت عينيها على صوت الجد، وهو يقول ببطء وكأنما يتحدث من داخل ذكرياته: من أزمان بعيدة كان جدّي يقص علي قصة بناء خاص فقط بالموهادز، كانوا يزورونه عندما كانوا يعيشون على سطح الأرض، وكان يقول لي إنه أهم بناء في حياة الموهادز على الأرض، وإنه لا مثيل له ولا يمكن صناعة مثله في أي مكان، أو على أي كوكب آخر سوى الأرض.

مد عصاه الطويلة وأخذ يخط بها خطوطًا على التربة وهو يكمل القصة: لقد رسمه لي ومن يومها ولم أنس أبدًا ما رسمه.

نظر القائد إلى الخطوط التي خطتها العصا، وفهم على الفور ماذا يقصد الجد، فقال بابتسامة واسعة: أعرفه جيدًا، إنه الكعبة، بيت الله الحرام، قريبًا جدًّا سأدبر لكم زيارة له تجمعكم جميعًا.

انتفض الجميع فجأة على صوت صراخ «نوه» الغاضب وهو يتشاجر مع «كورني»: ليس من حقك أن تفرض سيطرتك عليّ، أنا لست تابعًا لك.

قال «كورني» وهو يحاول باستماتة أن يمسك أعصابه ويتحدث بهدوء، لكن صوته علا ولاح به الغضب: أنا لا أضطهدك أنت دون غيرك، عليك إطاعة الأوامر كالباقين.

هتف «نوه» بثورة: لن تجبرني على ذلك، ولن أنفذ ما تقول، نحن هنا على الأرض ولسنا في إحدى توابع الساموز، عليك أن تفهم حجمك الحقيقي، أنت مجرد سامو، سامو، أتفهم؟.

كانت «باي» قد وصلت إليه جريًا، وهالها ذلك التعبير الذي رأته على وجه «كورني»، لكنها التفتت إلى الفتى وصرخت في وجهه بغضب هائل: «نوه»، هل جننت!

التفت إليها الفتى وهَمَّ أن يرد على كلماتها، لكنها صرخت في وجهه بعنف: كُفّ عن التحدث بسفاهة والتزم الأدب معه.

صمت الفتى تمامًا، ولم يستطع أن يرد.

دارت «باي» في وجوه الموهادز الفضائيين الذين تجمعوا بأعداد كبيرة على صوت صراخ «نوه»، ووقفوا يراقبون الموقف الملتهب، وكذلك بعض الموهادز الأرضيين، وهتفت بلهجة لا تحتمل أي نقاش: عليكم أن تفهموا جميعًا أن من تطلقون عليه سامو هو منقذنا، وهو الآن دليلنا، ومن لا يرضى بهذا فليبحث له عن جماعة أخرى، لأنه لا مكان له بين الموهادز الفضائيين.

صمت الجميع تمامًا، ولم يعترض مخلوق على ما قالته «باي»، لكن «كورني» أدار وجهه وانسحب من المكان بعيدًا بصمت، ولم تخف على عين «باي» تلك النظرة الحزينة اليائسة التي ملأت عينيه.

انفضّ جمع الموهادز كلٌّ إلى عمله وانسحبت «باي» من بينهم وذهبت خلف «كورني»، أخذت تسرع الخطا لتلحق به، ورأته يقف وحيدًا بجوار جذع شجرة كبيرة غير بعيد عن تجمع الموهادز، كانت تحتاج إلى قدر كبير

من الشجاعة لمواجهته، ترددت قليلًا ولكنها في النهاية تقدمت منه، وقالت بلهجة آسفة: أرجوك لا تغضب من «نوه»، فهو فتى أرعنٌ مندفع.

قال بنبرة يائسة دون أن يلتفت إليها: إنه محق.

هتفت باستنكار: كيف تقول ذلك، وأنت...

التفت إليها مقاطعًا إياها بانفعال: كلكم تنظرون إليّ تلك النظرة، كلكم لا ترون فيّ إلا صورة السامو ابن الحاكم، حتى لو نطقتم بعكس ذلك، لكنني أراه في عيون الجميع، حتى أنت..

قالت بانفعال مدافعة عن نفسها: ليس صحيحًا ما تقول، كلنا...

قاطعها بحدة: لو لم يكن صحيحًا فلم أخفيت عني أن «شاهي» هو أخ لك؟

أخرستها كلماته ولم تعرف بماذا ترد، ابتلعت ريقها بتوتر، وأخذت تبحث في عقلها عن إجابة مناسبة لا تجرح شعوره، لكنها لم تجد ما يمكن أن تقوله له، فقال بيأس: إذًا، فقد صدق ظني، منذ مدة طويلة وأنا أشعر أنك تتجنبينني وتختلقين الأسباب لتبتعدي عني.

حاولت أن تبدل الموضوع لتهرب من حصاره الشائك، فقالت: اسمعني، إننا الآن في مرحلة شديدة الحساسية، نحاول أن نؤسس لنا وطنًا على أرض غريبة، وعلينا أن ننسى أي شيء في سبيل الجماعة، أنت دليلنا وعليك أن...

صرخ في وجهها بحدة: لست دليلكم.

نظرت إليه بدهشة؛ فأكمل بانفعال: دليلكم وقائدكم هو عبد الله، منذ

أن تعلمت لغة الأرضيين وأنت لا تفارقينه، تتحدثين إليه أكثر مما تتحدثين إليّ، بل أكثر من أي أحد من الموهادز الفضائيين.

هتفت بغضب: أنت تفهم الأمور بصورة خاطئة، إن القائد عبد الله هو معلمنا ومرشدنا، وهو يحاول أن يساعدنا لنأقلم حياتنا مع جوِّ الأرض حتى نستطيع أن نعيش عليها بأمان.

نظر في عينيها طويلًا بصمت محاولًا أن يستكشف ما بداخلها، ولما عجز قال بيأس: عندما كنا على كوكب الساموز كنت أستطيع أن أعرف ما بداخلك وأشعر بما في قلبك، كنت تكرهينني نعم، لكن مشاعرك كانت واضحة بلا زيف، ولكن هنا، على هذا الكوكب الغريب، كل شيء مشوش، لا شيء واضح، تعلمت كيف تخفين مشاعرك حتى لم أعد أعرف ما الذي يدور بعقلك.

أدارت وجهها لتخفي ألمها، وقالت بأسًى: أيًّا يكن ما في عقلي.. أو قلبي، فعلينا أن ننسى أنفسنا ويكون لنا هدف واحد فقط، أن ننجح في العيش على الأرض لأنه لا مأوى لنا سواها.

بشواهده الكثيرةنفذ القائد عبد الله وعده، ودبر لهم رحلة إلى بيت الله الحرام ضمت جميع كبار الموهادز رجالًا ونساءً، ومعهم بعض الفتية، وكانت «باي» وجدها وأمها من السابقين إلى هذه الرحلة، أما «كورني» فقد أصر على مرافقتهم ولم يجرؤ أحد على الاعتراض، رغم أن القائد عبد الله حذر «باي» وأخبرها بأنه لن يكون مناسبًا تواجده معهم، وأن مجيئه قد يتسبب في مشكلة لا

علاج لها، وحاولت «باي» أكثر من مرة أن تثنيه عن عزمه، لكنه كان عنيدًا للغاية.

كانت الرحلة شاقة وطويلة بالمركبات الأرضية، حتى توقفت مركبة القائد عبد الله فتوقف بدوره طابور المركبات التي تتبعه، ترجَّل الجميع من المركبات في منطقة جبلية واسعة، وساروا لبعض الوقت، حتى توقف القائد أمام مبنى كبير، والتفت إليهم وقال: لقد اقتربنا من الوصول، وعليكم أن تستعدوا جيدًا كما علمتكم، فهو لقاء فريد ينتظره كل محمدي، في هذا المبنى ستجدون كل ما تحتاجون إليه كما علمتكم.

قاموا بالتجهز كما علمهم القائد عبد الله، وفعلوا كما يفعل الموهادز الأرضيون الذين صحبوهم في هذه الرحلة، والتف الرجال في أقمشة بيضاء ولا شيء سواها، وغطت النساء رؤوسهن.

و»كورني» يراقب ما حوله بدهشة وبصمت محاولًا أن يفهم ما يدور حوله، ما الذي يفعله الموهادز؟ وما هذه الطقوس والكلمات الغريبة التي يهتفون بها، ولم غطت النساء رؤوسهن؟ وما ذلك الرداء الغريب الذي التف به الرجال!

عندما انتهت الاستعدادات، عادوا إلى مركباتهم وانطلقوا من جديد، حتى وصلوا إلى أرض بعيدة تلفها الجبال والمرتفعات، ترجلوا وأكملوا الطريق سيرًا على الأقدام.

فجأة توقف القائد عبد الله والتفت إلى «كورني» قائلًا: لن تستطيع أن

تتقدم أكثر.

كانت «باي» بينهما تقوم بالترجمة لكل كلمة يقولها القائد عبد الله.

تساءل «كورني»: هل سنبقى هنا؟

قال القائد بهدوء: بل ستبقى أنت هنا، وسنذهب نحن..

هتف باستنكار: ماذا! ولكن..

قال القائد بنفس الهدوء: صدقني ليس الأمر بيدي، إن المكان الذي نحن بصدده هو مكان خاص بالموهادز فقط، لا أحد سواهم يذهب إليه.

قال معترضًا: ولكن، ولكن كيف أضمن أنه آمن لمن معي، أنا دليلهم، ولابد أن أتفقد المكان جيدًا.

قاطعه بحسم: آسف، لن تستطيع القدوم معهم.

الشيء الوحيد الذي يمكِّنك من الذهاب إلى هناك هو أن تختار بنفسك، أن تكون موهادزًا، وقبل ذلك...لا.

تجمدت «باي» للحظات وهي تنظر للقائد بدهشة، فحسم الأمر وقال بلهجة آمرة: ترجمي كل كلمة كما قلتها تمامًا. اضطرت أن تطيع أمره وتقوم بالترجمة والحزن والأسف يملؤها، امتقع وجهه «كورني» بشدة ووقف كالتمثال، لكن بداخل قلبه بركان يثور بالغضب والامتهان.

كان قلبها يتمزق لأجله لكنها في النهاية كانت مضطرة للتحرك خلف

المجموعة عندما أمرهم القائد عبد الله، سارت خلف المجموعة ومن وقت لآخر كانت تختلس النظر خلفها، تتطلع لذلك الكائن الوحيد الغريب على هذه الأرض، كانت تستشعر مدى عمق جرحه، وتدرك جيدًا أنه ليس من السهل عليه تقبل الإهانة والرفض.

EEE

(16)

كانت في آخر الموكب، وعقلها مشغول بمن ترك خلفهم، تمنت لو تستطيع فعل أي شيء لأجله، فجأة توقف الموكب واستفاقت «باي» من أفكارها عندما رأت أمامها ما قطعوا تلك المشاق والأسفار لأجله، إنه مقصد كل مشتاق، وهدف كل تائب، إنه قبلة المحمديين، هنا تسكب العبرات وتتنزل الرحمات، هنا يطاع الله ويعبد حق عبادته، وتنمحي الذنوب، وكأن الانسان لم يعصِ ربه قط، نسيت «باي» كل شيء بمجرد أن وقعت عيناها على بيت الله الحرام، ويبدو أنها لم تكن الوحيدة التي استولت عليها المشاعر الجياشة والبكاء، لقد خرَّ الجميع ساجدين لله وحده في بيته المكرم، وانسكب الدمع مدرارًا وعلا النحيب والآهات والدعاء والتوسل والرجاء، وبعد مدة لا يعرف أحد مداها رفع الجميع رؤوسهم ووجوههم المغرقة بالدموع الغزيرة، الكل رفع رأسه عدا واحد..

تجمد الجميع من الذهول عندما أدركوا أن الجد الشيخ فاضت روحه إلى بارئها.

عاش الجد عمرًا طويلًا، طويلًا للغاية لا يدرون عدده، وكأنما عاش عمره كله انتظارًا لتلك اللحظة، وكأنما لم يولد في هذا الكون إلا ليموت في هذا المكان تحت أعتاب بيت الله، وبين يدي رب غفور رحيم عفو.

مرت سنوات طويلة وهو يسأل نفسه لم مات كلُّ من في عمره ولا يزال هو حيًّا إلى الآن!؟

مذابح عاشها، وعذابات عاصرها وآلام تجرعها، تمنى الموت آلاف المرات وهو يراقب عذاب الموهادز الذي لا ينتهي، عاش مناضلًا يحيي ذاكرة الموهادز لتبقى لهم هويتهم، يحفظ لهم القليل الذي بقي لهم، ويلقنهم إياه حتى لا ينسوا أنهم موهادز، والآن أدرك الجميع لم عاش كلَّ هذا العمر، ولم يمت سوى الآن، وفي هذا المكان.

لقد كان على موعد مع ربه ليحتفي به في بيته المعظم، وليذيقه من فضله ونعمائه، والآن، آن الأوان ليَمْثُل بين يديه ويجد ما وعده ربه حقًّا.

كانت جنازة الجد مهيبة، هادئة وصامتة، جرت فيها الدموع وتألمت القلوب لفراق الجد، لقد ترك أثرًا عميقًا في قلب كلِّ من رآه وعاشره، فقد كان علامة بارزة وعمودًا من أعمدة الموهادز، لا يستطيع أي منهم أن ينسى صوته ولا كلماته ولا حكاياته الغزيرة التي كان يحكيها.

وقف «كورني» يرقب القائد عبد الله وهو يقوم بدفن الجد بجوار «زاك»، وصوت الجد لا زال في أذنيه، يغشى قلبه، لقد طبع الجد أثره على قلب «كورني» وعقله، كانت كلماته ترن في أذنيه كما لو كان يقولها الآن

«أنت أيضًا تستطيع أن تعرفه، فقط ابحث عنه وحتمًا ستعرفه»

ما الذي كان يعنيه بتلك الكلمات المبهمة؟

أخذ يتأمل قبر الجد وقبر «زاك» وهو يفكر: الموهادز الأرضيون لا يتخلصون من جثث موتاهم، بل يحتفظون بها تحت الأرض في مكان قريب منهم، ويذهبون لزيارتهم من آن لآخر، عكس كلِّ من يسكنون الفضاء، يبعدون موتاهم إلى مكان لا يمكن لأحد الوصول إليه!.

هاجمه فجأة خاطر أنه قريبًا جدًّا سيكون ثالثهم، فبعد نفاذ الغذاء سيكون مصيره الرقاد مثلهم تحت الأرض، قد ترتاح «باي» من آلام ضميرها بعد أن يزيل الموت العقبة الكئود من طريقها، عندها لن تضطر للشعور بالشفقة أو المسئولية تجاهه، أو شعورها بأنها أسيرة جميله، ستتحرر نهائيًّا من أي رابط يربطها به حتى لو كان معنويًّا،

لم تكن فكرة الموت التي تهاجمه مخيفة أو منفرة، على العكس، لقد بدأ يرتاح إليها ويعتقد أنها البديل المريح لحياته التعسة على هذا الكوكب.

ولكن، لو كانت أمه معه، لو كان يستطيع أن يأتى بجثمانها لترقد بجواره حتى لا يستوحش فى قبره كما هو مستوحش فى حياته بدونها

هكذا كان يعتقد، أن «باي» لا تهتم لأمره، وتتمنى له الموت اليوم قبل الغد لترتاح من ألم ضميرها وتتخلص من طوق فضله وأسر جميله، لكن «باي» لم تكن تفكر بهذه الطريقة، فهي لم تكف يومًا عن التردد إلى مكتب القائد عبد الله ليجد حلًّا ينقذ به «كورني».

قالت للقائد بتوتر: يجب أن نجد حلًّا، غذاؤه نفذ تقريبًا، يجب أن نجد له غذاءً بديلًا وإلا سيموت.

تغيرت لهجتها إلى شبه استعطاف: أتوسل إليك أن تساعده، لا يجب أن يموت بهذه الطريقة.

حاول طمأنتها قدر ما يستطيع رغم شعوره بالقلق البالغ: لا تقلقي، فنحن نعمل بأقصى جهد لنا، نصل الليل بالنهار، ونعمل على تحليل مكونات الماء الفضائي الذي أعطانا بعضًا منه، ومكونات غذائه الذي يمضغه، وإن شاء الله سننجح.

قالت بألم: ولكن، الوقت، الوقت ليس في صالحنا، إن صحته تتدهور بشكل ملحوظ، والإعياء يبدو في ملامحه وحركاته، لا يمكن أن أتصور أن يموت هكذا، وحيدًا جائعًا، إنه مستوحش للغاية، إن ما حدث هناك في مكة كان ضربة قاصمة له.

قال بأسف: لم يكن الأمر بيدي، ما كنت لأخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم، تعلمين أنه لا يسمح له بالتواجد هناك.

تأثر القائد بدموعها التي طفرت من عينيها، فزفر بأسًى وقال: ادعي له الله فهو الرحمن الرحيم مجيب الدعاء.

قالت بدموع تتفطر لها القلوب: لا أكف عن الدعاء له في كل وقت، ولكنني خائفة، خائفة للغاية.

قال باهتمام: لا يجب أن يبقى وحيدًا أبدًا.

قالت: أعلم، لذلك أوصيت «إيما» ألا تتركه أبدًا، إنها الآن معه.

EEE

«هيا قل من أنا؟»

ابتسم «كورني» بحنان للكفين الصغيرين اللذين غطّيَا عينيه، وقال بدعابة: دعيني أفكر قليلًا.

قالت بعناد: لا، عليك أن تجيب مباشرة، من أنا؟

قال باسمًا بحنان: حار عقلي، أخبريني أنت.

قالت وهي تتعلق بعنقه من الخلف وتضع خدها فوق خده: أنا إيمان.

عقد حاجباه باستغراب وتساءل بدهشة: إيمان!!

قالت وهي تلتف لتجلس بجواره: نعم، الجميع يناديني بهذا الاسم، يقولون إنه اسمي بلغة الموهادز الأرضيين.

قال وهو يبتلع مشاعره ولا يبديها لها محاولًا تصنع اللامبالاة: حقًّا!!

قالت: نعم، ولكني لا أحبه، أريدهم أن ينادوني باسمي الذي اعتدت عليه.

قال وهو يدفن مشاعره في صدره: إنهم يحبونك ويعملون لصالحك، لذلك عليك أن تطيعيهم.

قالت بتساؤل: أتظن ذلك؟

قال ببطء: نعم، بالتأكيد.

قالت باسمة: أبية أيضًا تقول لي ذلك.

التفت إليها بدهشة متسائلًا: أبية!!

قالت: ألا تعلم؟ أبية هي «باي».

تغير صوته وشرد بعيدًا وهو يردد بأسًى: «باي».. أبية!!!

تنهد بألم وأخرج من جيبه حبة وألقاها في فمه وأخذ يمضغها، كان يعلم أنها آخر حبة من غذائه، رغم حرصه الشديد واقتصاده في تناول الغذاء والماء ولكنه في النهاية نفذ، والآن، لم يعد لديه ما يتقوت به، لم يعد لديه سوى انتظار الموت، ولكم يتمنى الآن أن يأتي عاجلًا.

قالت «إيما» ببراءة: ماذا تأكل؟

قال بهدوء: إنه طعامي.

قالت باسمة: أنا آكل من طعام الأرضيين، إنه لذيذ وكثير.

قال وهو يبتلع بقايا غذائه الذي لا يشبعه: حقًّا! هذا رائع.

تأملت زيه الذي فقد خواصه المغناطيسية وترهل فوق جسده الناحل، وفقد بريقه اللامع واتسعت أكمامه وفتحة رقبته: لم أصبحت ملابسك الجميلة هكذا؟

قال وهو يبتسم من قوة ملاحظتها: لقد بدأت تفسد وتفقد فاعليتها.

قالت: ياللخسارة، أنا أحب زيَّك كثيرًا.

ابتسم لها بحنان وأحاط كتفيها بذراعه قائلًا: مهما أطلقوا عليك ستبقين بالنسبة لي «إيما» صديقتي العزيزة التي أحبها دائمًا.

قالت ببراءة: لِمَ لمْ تعد تجلس معنا في المعسكر وتجلس هنا دائمًا وحيدًا؟

قال باسمًا: وهل أنا وحيد الآن؟ ها أنا أجلس معك.

قفزت واقفة على قدميها وقالت: إذًا، تعالَ معي لنعود إلى المعسكر.

قال باسمًا: لا زال الوقت مبكرًا.

قالت بحماس: أريد أن أريك شيئًا، لقد أعددت لك مفاجأة وعليك أن تراها.

قال بوهن: ألا يمكن أن نترك الأمر لوقت آخر؟

قالت متصنعة الغضب: إذا لم تأتي معي الآن فسأغضب منك ولن أكلمك أبدًا.

نهض وعلى وجهه ابتسامة حب، وقال بحنان: وأنا لا يمكن أن أكون سعيدًا وأنت غاضبة مني.

سارا معًا متشابكي الأيدي حتى وصلا إلى المعسكر، لكن «إيما» صرخت فجأة بفزع عندما مرت مركبة مسرعة بجوارها، وكانت قريبة جدًّا منها، لكن يدي «كورني» كانتا أسرع فجذبها بقوة نحوه، ثم صرخ في قائد المركبة: هل جننت! ألا تستطيع أن ترى أمامك!

توقفت المركبة وقفز منها السائق بسرعة «ولم يكن سوى الفتى «نوه»»، وعاد إليهما والغضب يبدو في حركاته، وتبعه «داريسا» الذي كان معه في المركبة وهو يهتف بقلق: «نوح»، توقف، انتظرني.

وقف «نوه» أمام «كورني» ونظراته تنضح بالغضب والمقت وهو ينظر إليه، والصغيرة تحيط خاصرته بذراعيها، وتضع خدها على بطنه وهي تبكي بفزع.

قال «كورني» الذي استثاره بكاء الصغيرة بشدة: إن كنت لا تجيد القيادة، فلم ركبتها؟ لقد كدت أن تؤذيها

قال «نوه» بمقت: أقودها أو لا أقودها هذا ما لا شأن لك به، والأفضل لك أن تبتعد عن طريقي.

التفتت «إيما» إلى «نوه» وقالت من بين دموعها: أنت سيئ، أنا لا أحبك.

نظر «كورني» حوله فوجد بعض الموهادز قد تجمعوا ووقفوا يشاهدون ما يحدث، فتوترت أعصابه وقال بحدة: ماذا تريد الآن؟ أتريد شجارًا؟

قال «نوه» باندفاع: لا تهددني، فأنا لا أخافك.

أستطيع أن أتحداك وأتغلب عليك.

أمسك «داريسا» بذراعه وهتف: ما هذا الذي تقوله؟ إنه محق، لقد كدت أن تؤذي الطفلة.

صرخ «نوه» في وجهه: لا تتدخل أنت، هذا الأمر بيني وبينه.

قال «كورني» وقد أغضبه جنون الفتى: اسمع أيها الفتى الأحمق، أنا لن أنزل إلى عقلك الأرعن، ولن أجاريك في حمقك، فالزم الأدب معي وإلا..

فوجئ «كورني» تمامًا عندما دفعه الفتى بكفيه دفعة قوية في صدره، فاختل توازنه وسقط على ظهره، لم تكن تلك الدفعة بالتي يمكن أن تسقطه، لكن اعتلال صحته وضعف جسده بسبب قلة الطعام جعله ضعيفًا أمام الفتى الذي صرخ في وجهه: إياك أن تنعتني بالأحمق ثانية، إن مثلك لا مكان له بيننا، ما أنت إلا سامو حقير لا قيمة له، ما كان عليك أن تغادر كوكبك القذر لتلحق بنا إلى هنا، هذه الأرض ليست لك، كل من هنا يكرهك، الكل يرفضك حتى الماء والغذاء، وما هي إلا أيام ويخلصنا الموت منك.

رحل «نوه» غاضبًا ووقف «داريسا» صامتًا لا يجد ما يقوله لكن الأسف يبدو في عينيه، وتعلقت «إيما» بعنق «كورني» وهي تبكي، وتقول: هذا الولد السيئ، أنا أكرهه، أكرهه

كان «كورني» صامتًا تمامًا، لكن براكين عقله ثائرة تقذف حممًا تحرق قلبه وروحه، لقد صدق الفتى في كل ما قاله، الكل يكرهه، لا أحد هنا يتقبله، لكنهم عاجزون عن مصارحته بما في قلوبهم، الوحيد الذي لديه تلك الشجاعة هو ذلك الفتى، هو الوحيد الذي لم يكذب عليه، أو ينافقه.

تخلص برفق من ذراعي الصغيرة الباكية، وعندما وقف شعر بالإعياء الشديد وترنح جسده من الضعف، لكنه تمالك نفسه بسرعة واستعاد توازنه وانسحب من المكان بصمت، لم تتبعه «إيما» هذه المرة، فقد أدركت بفطرتها البريئة أن «كورني» حزين للغاية، وأنها وحدها لن تستطيع إصلاح الأمر، فانطلقت تجري تبحث عن «باي» في كل مكان حتى وجدتها، وفي كلمات معدودة باكية شرحت لها سريعًا ما حدث.

انطلقت «باي» تجري بلهفة تبحث عنه بأسرع قوة لديها، وشعرت بـ»إيما» في أثرها، كان «كورني» يسير ببطء محاولًا الاحتفاظ بتوازنه حتى لا يسقط مجددًا، لذلك استطاعت «باي» اللحاق به بسهولة، وعندما رأته هتفت بلهفة: «كورني»، انتظرني.

وقف قليلًا، لكنه لم يلتفت إليها.

قالت وهي تلهث من الجري: إلى أين أنت ذاهب؟ الليل قادم، وهذا طريق الغابة، يجب أن تعود معي الآن إلى المعسكر.

قال والغضب يقطر من كلماته: لا شأن لك بي، عودي إلى أهلك.

قالت مستنكرة: ما هذا الذي تقوله!! يجب أن تعود معي.

التفت إليها وهتف بغضب: إلى أين! إلى الموهادز الفضائيين أم الأرضيين!! أنا لا أنتمي إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أنا لا أنتمي إلى هذا المكان، أنا لا أنتمي إلى هذا الكوكب...

قالت برجاء: إن هذا الفتى أحمق مجنون، وكلنا نـ...

صرخ مقاطعًا إياها: إنه لم يقل سوى الحقيقة، الكل يرفضني، يرفض وجودي، كل ما في هذا الكوكب يرفضني، حتى الماء والغذاء!.

هتفت بلوعة: إنك مخطئ، مخطئ، كلنا نريدك بيننا.

هتف: لا تكذبي، إن موتي أصبح ضرورة لكم لتهدأ ضمائركم المؤرقة وترتاح من حمل ثقيل تبعكم بالخطأ إلى مستقركم على هذا الكوكب.

هتفت والدمع يبدو في عينيها: كيف أستطيع إقناعك بأنك مخطئ، عليك أن تهدأ وتتخلص من غضبك أولًا.

أكمل، وكأنما لم يسمعها: اطمئني، قريبًا جدًّا سيريحكم الموت مني، قريبًا سأستقر بجوار أخيك وجدك.

هتفت بألم: لا تقل هذا، الكل هنا يحبك ويريدك أن تبقى. القائد عبد الله وعدني أنه سيتوصل قريبًا إلى غذاء يناسب جسدك.

هتف بغضب: وفّري شفقتك إلى أهلك من الموهادز الفضائيين والأرضيين، فأنا لست بحاجة لشفقة من أحد.

قالت محاولة تهدئته: أرجوك لا ترحل وحيدًا، أخبرني ماذا يمكن أن أفعل لأثبت لك أن الجميع يحبونك، أخبرني ما الذي يرضيك وسأفعله على الفور.

صمت قليلًا يتأمل دموعها التي سالت على خديها، وأخذ يفكر، أيمكن أن تكون تلك الدموع لأجله حقًّا؟

أيمكن أن تكون «باي» تحبه وتأسى لفراقه؟

لم يكن يستطيع ترك عقله للهواجس، ولا قلبه لوهم قد يقضي على روحه بأسرع من الجوع، لذلك فقد اختار المواجهة، كان عليه أن يحسم مشاعرها التي تتأرجح بين قرب وبعد، عليه أن يتبين الآن وفي تلك اللحظة الفاصلة ماهية مشاعرها الحقيقية تجاهه، أهي شفقة، أم حب، أم مسئولية ضمير، أم كراهية متوارية خلف كل هذا.

ابتلع ريقه وقال بحسم: أنت تعرفين جيدًا ما الذي أريده، منذ وقت طويل وأنت تعرفين، أنا أريدك أن تكوني رفيقتي.

تجمدت عضلاتها تمامًا ولم تدرِ ماذا تقول، تجمدت حتى دموعها فوق خديها، لقد صدمتها كلماته المباشرة، وبرغم أنها حسبت حساب ذلك الموقف المؤلم طويلًا وحاولت بكل الطرق أن تتجنبه، كانت تعلم أنه لا بد في النهاية من المواجهة، وبرغم أنها حاولت طويلًا أن تعد كلمات لا تجرحه، وحاولت أن تدرب نفسها آلاف المرات على قولها، لكنها نسيت كل شيء أمام نظرة الغضب واليأس والألم الذي تبدو جلية في عينيه.

ابتلعت ريقها بتوتر وطال صمتها، فهز رأسه بأسًى، وقال ساخرًا: كنت محقًّا في كل ظنوني، كان عليّ أن أفهم من البداية أن كراهية جيل بعد جيل لا يمكن أن يمحوها حبٌّ عمره بضعة أشهر، ولا حتى بضعة سنوات، الكراهية أكبر بكثير مما كنت أعتقد، لا لوم عليك، أنا الذي كنت أخدع نفسي، عشت كل هذه الفترة أقول ربما، ربما، عشت أسير وهمٍ صنعته بنفسي، كنت دائمًا صادقة في مشاعرك، ولم تتواني في إظهار كراهيتك لي ولجنس الساموز، ولكنني كنت أخدع نفسي طوال الوقت.

هتفت بصدق محاولة محو الصورة الخادعة التي تكونت في عقله: لا، إن كل ما قلته الآن خطأ.

قال بصوت يملأه اليأس: إن كنت مخطئًا، فعليك أن تثبتي لي بالفعل لا بالكلام أنني مخطئ.

قالت بتسرع: كيف؟

قال بهدوء: أن تقبليني رفيقًا لك.

صمتت مجددًا وطال صمتها، وزاغت عيناها عاجزة عن مواجهته.

فقال بيأس: أرأيت، لا يمكنك حتى التضحية ببضعة أيام من عمرك برفقة سامو على وشك الموت.

أحرقت كلماته آخر حصن للصمت لديها، وتفجرت كل الضغوط النفسية التي عانتها الفترة الماضية من قلق وألم وخوف وحزن لينطلق لسانها بكل ما حاولت كتمانه طويلًا، وصرخت بألم والدمع ينهمر مدرارًا: لا أستطيع، لا أستطيع، رغمًا عني، إن كل ما يحدث هو أقوى مني.

لم يفاجأ برفضها، لكن ما فاجأه هو قولها «أقوى مني»!.

قال باستنكار وعدم تصديق: أقوى منك!!!

وما هذا الذي هو أقوى منك!! أن تختاري بمحض إرادتك أن تكوني رفيقتي!!

كررت بانهيار: لا أستطيع صدقني، الأمر ليس بيدي.

قال بغضب: أكاد لا أصدق أن أسمع منك هذا.

كوني شجاعة وقولي إنك تكرهينني، إنك تأنفين مني، قولي أي شيء إلا أنك لا تستطيعين، أو أنه أقوى منك.

قالت بصوت متهدج من كثرة البكاء: صدقني هذه هي الحقيقة.

صرخ بغضب: كفى خداعًا، «باي» التي أعرفها لاشيء أقوى منها، «باي» التي تحدت كوكبًا بكل من فيه، «باي» التي رفضت الهزيمة في لعبة الصيد على المسرح، «باي» التي تحدت «سيفا» بكل وحشيتها وشراستها، لا يمكن أن أصدق أن أسمع منها هذا الكلام.

هتفت بألم: هذه هي الحقيقة، إن شريعة الموهادز لا تسمح لنساء الموهادز برفقة غير الموهادز.

هتف بغضب عنيف: بل قولي إنك لا تتخيلين نفسك رفيقة لواحد من الساموز رغم كل ما فعله لأجلك، لِمَ؟ لمَ كل هذه العنصرية وعدم الوفاء، تريدين التخلص من حياتك السابقة بكل وسيلة، تبدلين اسمك واسم أختك، تبدلين لسانك بلسان أهل هذا الكوكب!!،كل هذا لأنك تكرهين حياتك السابقة بكل ما فيها، لو تقدرين محوها من ذاكرتك للأبد لفعلت. ألتمس لك العذر، لا أستطيع أن ألومك، لقد قاسيت كثيرًا ، وأعلم أنني جزء من ذلك الماضي المؤلم الذي تتمنين محوه، كوني شجاعة كما عهدتك دائمًا واعترفي بالحقيقة.

هتفت بلوعة: الحقيقة هي أنني تمنيت كثيرًا أن تصبح من الموهادز، حتى لا يقف شيء بيني وبينك، لو أصبحت من الموهادز فذلك هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن يجمع بيننا.

صرخ بغضب: لا تكذبي، لقد كانت أمي من الموهادز، وكانت رفيقة لأبي حاكم الساموز.

قالت وهي تبكي وتنتحب: كانت مرغمة، مرغمة. أنت أكثر من يعلم كم هي قاسية حياة الساموز.

صمت طويلًا بعد أن عادت صورة أمه إلى عقله بقوة وتذكر أنه سمع هذه الجملة منها وهي تموت، وتجمَّع في قلبه كل الألم واليأس والحزن ليتحول إلى نيران مشتعلة في عقله.

قال بصرامة هائلة بعد أن تمالك نفسه بعض الشيء: إن كان حقًّا ما تقولين فهي قمة العنصرية وعدم الوفاء، أبعد كل ما قدمته لكم تعاملونني بهذه الطريقة المشينة!!!

هتفت مدافعة: صدقني الأمر لا علاقة له بك، إنها شريعة، وقانون لا يستطيع أحد مخالفته.

قال بعدم تصديق: لم، ممن تخافين؟ أيمكن أن يفعلوا بك هنا كما فعل الساموز بك وبأهلك؟، هل سيعذبونك ويقطعوا أعضاءك ويطحنوا عظامك؟ لقد واجهتي ما هو أبشع من أي عقاب.

قالت: أخاف من واحد فقط يملك مصيري وقلبي وروحي، إما أن يضعني أبد الآبدين في نعيم لا ينتهي، أو يلقي بي في قعر الجحيم، لا يمكن أن أخالف ما أمرني به وأخسر ما عشت عمري كله أتطلع إليه وأتمناه، من أجل بضعة أيام بقيت لي فوق هذه الأرض الزائلة، لا أستطيع عصيانه، فقط لو تستطيع أن تفهم، فقط لو تحاول أن تتعرف إلى عقيدة الموهادز وشريعتهم.

صرخ بغضب هادر أخرسها: هراء، هراء، إن كل ما أنتم فيه هو محض هراء، كل ما تعتقدونه كذب وهراء، أنت تخليت عني من أجل هراء، وأمي قتلت شر قتلة بسبب هراء، أنت تتبعين مجموعة من الحمقى العنصريين الرافضين لغيرهم، أبعد كل ما قدمته إليك تعاملينني بهذه الطريقة؟، لقد كنت أنوي مرافقتك على كوكب الساموز فقط لو كنت توافقين، لقد تخليت عن كل شيء لأجلك، تركت عملي وأسرتي ومنصبي فقط لأكون إلى جوارك، تحديت الكون كله وخسرت كل شيء من أجل هراء، وهمٌ عشت فيه وحدي، لا أصدق، حقًّا لا أصدق أنني قد ضحيت بكل شيء من أجل بشر لا وفاء لهم، يفضلون هذا الهراء على الحب الحقيقي.

تفجرت مشاعرها بعنف وصرخت في وجهه: اسكت، اسكت، أنت لا تفهم ما تتحدث عنه، لا تعرف ما هي عقيدة الموهادز، لا تستطيع أن تفهم من أجل أي شيء ماتت أمك، لقد كانت مؤمنة حقيقية، أنت لا تدري ما الذي أعده الله لها في الآخرة، أتعتقد أن باستطاعتي التضحية بكل ما

آمنت به وأملت فيه وعشت أنتظره عمري كله، وتحملت في سبيله الذل ألوانًا وأشكالًا من أجل حبٍّ مهما بلغ عمقه في قلبي!!، لو كان بيدي أن أختار قلبي لكنت اخترته هناك على تابع النفايات، حيث اللا أمل وكنت رضيت بما قدمته لي واستمتعت بحياتي معك، ولكن، ماذا بعد ذلك؟ جحيم إلى الأبد

لا ، لم أكن أملك الاختيار في أحلك لحظات ضعفي حتى أختار الآن وإرادتي بيدي، لقد فقدت أهلي وإخوتي وجسدي وكل ما أمتلك من أجل أن أظل من الموهادز، وأنال ما وعدني ربي، والآن، عليَّ التضحية من جديد، بأغلى ما لدي، وهذه المرة أشد وأقسى من أي مرة سابقة.

أنا أحبك، نعم، أحبك، ولكني لا أستطيع أن أخالف أمر ربي وشريعة الموهادز، فإما أن تصبح موهادزًا بمحض إرادتك، أو هو فراق إلى الأبد.

قال بأسًى: لقد أحببتك كما أنت، أحببتك كموهادز، ولم أطلب منك أن تتغيري من أجلي أو من أجل أي إنسان آخر، لو لم تكوني قادرة على أن تتقبليني كما أنا كسامو دون أن أتغير، فلا حاجة لي إلى حبك.

كان جسده يهتز بصورة ملحوظة، وعيناه زائغتيْن، لكنه حاول أن يتماسك قدر ما يستطيع أمامها بعد أن طعنته في قلبه تلك الطعنة العنيفة.

التف وسار بعيدًا عنها بصمت، فنادته برجاء وهي تسير خلفه: «كورني»، أرجوك، يجب أن تعود...

صرخ بعنف دون أن يلتفت: لا تتبعيني، لقد انتهى كل ما يربطني بكم، ولم يعد هناك أي كلام يقال.

أخذت تبكي وتنتحب بيأس وهي تراه يبتعد ولا تستطيع أن تتبعه، لم تكن تدري ماذا يمكن أن تفعل، لقد سار الأمر عكس ما كانت تتمنَّى، لمحت «إيما» وهي تخرج من خلف شجرة قريبة، وفهمت أنها كانت تراقبهم دون أن يشعروا بها، ورأتها وهي تجري خلف «كورني» وتناديه: «كورني»، «كورني»، لا ترحل، أنا أحبك.

التفت إليها وصرخ في وجهها: عودي إلى أمك وأختك.

فزعت الصغيرة من أسلوبه العنيف معها، فأخذت تبكي وهي تهتف: لا ترحل، عد معي إلى البيت.

صرخ فيها مجددًا: قلت لكي عودي إلى أمك ولا تتبعيني.

صرخت بعناد شديد وهي تتعلق بحزامه بقوة: لا، لن أتركك ترحل، سأذهب معك.

أمسكها من كتفيها بقوة ورفعها إلى الأعلى، وأخذ يصرخ في وجهها بعنف أفزعها: ابقي بعيدة عني، لا تتبعيني، أنا سامو، أتفهمين؟ أنا عدوك.

قالت ببكاء شديد: أنا أحبك.

صرخ من جديد وهو يهزها بين يديه: عودي إلى أهلك، أنت من الموهادز، لا الساموز، أنا عدوك، عدوك، عدوك.

تركها ورحل غاضبًا وهو يترنح عاجزًا عن السيطرة على توازنه، وجرت «باي» إلى مقر القائد عبد الله لتستنجد به بعد أن فشلت كل محاولاتها ومحاولات «إيما» الصغيرة لإعادة «كورني»، عادت إلى المعسكر بعد أن تركت «إيما» هناك بالقرب منه وهي متأكدة أنها لن تتركه أبدًا، بل ستتبع خطواته وتسير خلفه.

اقتحمت مكتب القائد عبد الله وهي منهارة، وقالت وهي تنتحب: سيدي القائد، أنقِذْه أرجوك، إنه يقتل نفسه.

فزع القائد من منظرها وهي تبكي.

قالت برجاء من بين دموعها: أرجوك، يجب أن تنقذه، إنه سائر إلى حتفه.

فهم عمن تتحدث؛ فقال باهتمام: وأين هو الآن؟

قالت: في طريق الغابة.

استدعى أحد مساعديه وأمره أن يلحق بـ»كورني» في طريق الغابة، وإن رفض العودة معه فليرافقه حيث يذهب ليعتني به.

هدأت قليلًا وجلست أمامه تمسح دموعها، فسألها مباشرة: والآن أخبريني بما حدث، ما الذي دفعه للرحيل بهذه الطريقة؟ هل واجهته بالحقيقة؟.

هزت رأسها وقالت بندم: لقد أفسدت كل شيء، ما كان يجب أن أتحدث أمامه، هو الآن يكره الموهادز، ويكره كل ما يمت لهم بصلة، لم يعد يثق بأي شيء نقوله، أخبرني أيها القائد، كيف يمكن أن أصلح الأمر؟ كيف يمكن أن أستعيد ثقته ليصغي إليّ، لا يمكن أن أتركه هكذا.

قال بضيق: كنت أعلم أن المواجهة ستكون مؤلمة للغاية، يجب أن تُخرجي نفسك من كل شيء، دعيني أنا أتصرف، ولكن علينا أولًا اقناعه بالعودة لتستطيع د.تينا العناية بصحته التي تتدهور، ذلك من الأولويات الآن، أما التحدث إليه، واستعادة ثقته، فسيكون هذا هو هدفي في المرحلة القادمة، والآن أخبريني ماذا قلتِ له ليصل إلى هذه الدرجة من الغضب؟.

بدأت تحكي له ما حدث، ولكنها لم تكمل، فلم تكد تمضي دقائق معدودة حتى اقتحمت «إيما» المكان وهي تصرخ بفزع: «كورني»، «كورني».

أمسكتها «باي» بلهفة وصرخت: ما به؟ تكلمي.

لم تستطع أن تتكلم، فقد استولى بكاؤها على صوتها.

هزتها «باي» بخوف: ما به، تكلمي؟

شهقت وابتلعت دموعها قائلة بصوت باكٍ: لقد مات، مات.

EEE

(17)

ارتجت «باي» من الداخل، وتزلزل كيانها، لم تكن تتخيل أن يكون وقع الصدمة عليها عنيفًا إلى هذا الحد، فبرغم توقعها لتلك النهاية المأساوية، إلا أن قلبها اعتصر عصرًا ودارت الأرض بها، وصرخت في «إيما»: أين هو، أين هو؟

لم يضع القائد وقتًا واصطحبهما معه في مركبته، وانطلقوا إلى حيث تركت «إيما» «كورني» ملقًى على الأرض، وفي الطريق أخذت تحكي لـ»باي» ما حدث وهي تشهق وتبكي بين كل كلمة وأخرى: لقد.. لقد تبعته دون أن يراني، كان جسده يهتز ويبدو أنه سيسقط في كل خطوة يمشيها، لكن فجأة وجدته يصرخ ويمسك خده، ثم سقط على وجهه، جريت إليه وأخذت أهزُّه وأصرخ فيه، لكنه لم يرد عليّ، فعدت إليكم على الفور.

وصلوا إليه وبمجرد أن رأته «باي» قفزت من المركبة بهلع من قبل أن تتوقف، وانكبت على جسده الملقى على وجهه، وحاولت أن تديره على ظهره، لحق بها القائد وساعدها حتى أرقدوه على ظهره، هالها منظر وجهه المتورم بصورة بشعة فصرخت: «كورني»، «كورني» أتسمعني؟

وصلت «إيما» وصرخت بفزع عندما وجدته على تلك الحالة، حمله القائد إلى المركبة وانطلق به على الفور إلى المستشفى.

EEE

«أرجوك، يجب أن تعيشي، أنا بحاجة ماسة إليك»

- كيف حاله الآن؟

قطعت كلمات القائد استرسالها في ذكرياتها مع «كورني»، ولكنها لم تكن قادرة أن تجيبه مباشرة، كانت تتأمل إلى أين وصل به الحال، طريح الفراش في المستشفى، تلتصق بجسده العاري- بعد أن فقد زيه المميز الواقي- عشرات الأسلاك التي تراقب نبضه الضعيف وتقيس عمل أجهزته الحيوية، لا يدري شيئًا عما حوله، لم يتبق له سوى أنفاس ضعيفة تحرك صدره ببطء حركة رتيبة بطيئة بالكاد ترى بالعين المدققة، تدل على أنه لا زال به بقايا حياة.

لم تستطع «باي» أن تبعد عينيها عنه خشية أن تفاجأ بأن تلك الحركة الضعيفة التي تلاحظ بصعوبة قد توقفت هي الأخرى؛ لذلك فلم تستطع أن تلتفت إلى القائد الذي دخل لتوِّه إلى حجرة «كورني» في المستشفى وجلس في المقعد المجاور لها وهو يسأل: ألا زال كما هو؟

ابتلعت المرارة التي في حلقها، لتستطيع أن تفتح فمها أخيرًا وتجيبه والندم يقطر من حروفها: لقد خسر كل شيء، وأنا السبب.

قال بتعاطف: لا تحمِّلي نفسك فوق طاقتها، فلا ذنب لك فيما جرى.

قالت ودمعة تسيل على خدها: كان همه في الحياة أن يبقيني حية، كان يخاف عليّ أكثر مما أخاف على نفسي، كم من مرة أنقذ حياتي، والآن، أوصلته للموت بيدي، ولا أستطيع أن أساعده، فقط أراقبه يومًا بعد يوم وهو يموت جوعًا.

قال مواسيًا: لا ذنب لك، إنها إرادة الله.

قالت بحسرة: بل هو ذنبي، لقد فرطت في الأمانة، حملتني أمه الراحلة أمانة وعجزت عن أدائها، كانت تعتقد أن باستطاعتي مصارحته وإفهامه ما عجزت هي عن شرحه له، كانت تظن أن باستطاعتي أن أنقذه، كانت تعتقد أنني قوية،

أنا نفسي لم أكن أعتقد يومًا أنني بهذا الجبن، لقد خفت من مواجهته، كنت أوهم نفسي بأننا الآن في مرحلة حرجة، وأن هدفنا الأسمى هو إنقاذ من على التابع «فايري»؛ لذلك فكل المواضيع الخاصة يمكن أن تؤجل أو تتوارى في سبيل الهدف الأسمى، وعندما هبطنا على كوكب الأرض وبدأنا نستشعر الأمن والاستقرار، كنت أسوِّف، وأقول لا زال الوقت مبكرًا، يمكنني الانتظار إلى أن يأتي الوقت المناسب، لكن الوقت المناسب لم يأت أبدًا، لأنني أجبن من أن أواجهه، آثرت الهرب والابتعاد، كنت خائفة للغاية، هربت منه وأنا أعلم كم هو بحاجة إلى أن يفهم لم ماتت أمه بهذه الطريقة، لقد قتله خوفي منه.

قال بهدوء: لم تكوني خائفة منه، بل كنتِ خائفة من مواجهة نفسك فيه، كنت خائفة من أن تعترفي لنفسك بحبك له.

انهمرت دموعها أنهارًا: نعم، نعم أحبه، وكان هو بحاجة لهذا الحب، ولكن ماذا كانت النتيجة؟

لم يستطع حبي إنقاذه، بل أرْداه، نسيت فى غمرة هروبي المستمر منه أنه بحاجة لأن يفهم ويصدق، لمَ لمْ أتحدث إليه بعقلانية؟ لمَ لْم أخبره بكل ما كان يريد أن يعرفه؟ والآن، يموت دون أن يفهم، ضحى بكل شيء دون أن يكسب شيئًا في سبيل شيء لا يفهمه. أخبرني أيها القائد، كيف يمكن أن أصلح ما أفسدته؟ وهل سيسامحني ربي إن تركته يلقى حتفه دون أن أساعده حتى على أن يفهم؟.

تنهد بأسى وخرج من الحجرة بهدوء دون أن يجيب على أسئلتها، وذهب إلى مكتبه وأغلق الباب وألقى بنفسه على كرسيه والألم يعصف بقلبه، وأخذ يسأل نفسه، كيف له أن يساعدها ويساعده؟

دخلت د.تينا إلى المكتب لتجده في حالة يرثى لها من الأسى والألم، فقالت بعد تردد: سيدي القائد، لم أرك يومًا على هذه الحالة؟ كلنا محزونون لما جرى له، ولكني أظنك متألمًا أكثر من أي إنسان آخر.

نهض من خلف مكتبه بانهزام ووقف خلف النافذة، وأزاح الستائر ليبدو له معسكر الموهادز الفضائيين، وأخذ يتأملهم وهم يمارسون عملهم

اليومي، وقال بألم: ليس ثانية، لن أقدر أن أتحمل هذا الشعور ثانية، أن يموت بين يدي وأنا عاجز،

هذه المرة ليست كسابقتها، فهو ليس وحيدًا كـ»زاك»، هناك من يهتم لأمره ويتألم لأجله، انظري إليهم، إنهم متألمون لأجله، لا يتصورون موته على هذه الحال، يترقبون بلهفة كل يوم أي نبأ يطمئنهم عنه، يتمنون له السلامة والنجاة، الكل يدعو له ليستفيق من غيبوبته، أصبح الدعاء اليومي في كل صلاة أن يرزقه الله الشفاء والهداية، حتى الفتى الأرعن «نوح»، لا يكرهه حقيقة، إنما ينفث فيه غضبه وإحباطه، يكره فيه ماضيه ومآسيه التي تجرعها، ولكنه لا يكرهه هو كشخص، إن موته الآن وهو على هذه الحالة سيحدث بينهم زلزالًا وشروخًا لا يمكن علاجها، لا زالوا في بداية طريق اليقين والعلم، يحتاجون إلى الأمن والاطمئنان، يحتاجون لمن يثبت أقدامهم، أي كارثة ستحدث الآن بموته لا أضمن إلى أي مدى يمكن أن تترك شرخًا في أعماقهم، وإيمانهم.

طفرت الدموع من عينيه وتنهد بأسى عميق وقال: فليفعل الله ما يريد، وليتولاهم برحمته، فلا أرحم منه على عباده، هو الذي أخرجهم من الأرض الهون ويسر لهم الطريق إلى هنا، ويسر لهم المستقر والمقام على هذه الأرض، وهو القادر أن يشفي صدور قوم مؤمنين، وهو الأرحم بهذه المسكينة التي تكاد أن تفقد عقلها وهي تراقبه لحظة بلحظة وهو يموت.

تنهدت د.تينا بعد أن انتقل إليها الشعور بالأسى والحزن: أتمنى من كل قلبي أن تنجح محاولاتنا معه، حتى الآن الوضع مستقر، قد يكون سيئًا، ولكنه مستقر، العلاج الجديد لم يبدِ تحسنًا بعد، ولكني متفائلة باستقرار الحالة، من الجيد أنها لم تتدهور للأسوأ.

مسح دموعه والتفت إليها قائلًا بهدوء: في خضم الأحداث التي مرت بنا والقلق الذي هزَّنا جميعًا نسيت أن أشكرك.

قالت بتساؤل: على ماذا؟

قال: على فكرتك الرائعة والعلاج الجديد الذي يتناوله.

قالت باسمة: لا تشكرني أنا، بل اشكر الحشرة التي ألهمتني بالفكرة.

قال: إن ما أعجب له حقًّا هو، كيف غابت الفكرة عن بالنا جميعًا، ولم يستطع أحد منا التوصل لها سواك!.

قالت باسمة: سيدي القائد، إننا جميعًا نتعلم منك.

قال: أرجوك، اعتني به جيدًا.

قالت: لا ترجوني في عملي، أنت أكثر من يعرف مدى دقتي وحرصي على مرضاي، صدقني أنا متفائلة هذه المرة، بالتأكيد سينجو.

قال بتساؤل: ومن أين أتتك كل هذه الثقة؟

قالت: لو نظرت في وجهه ستعرف، لقد بدأ يعود إلى طبيعته البشرية.

قال بامتنان: شكرًا لك.

EEE

وضعت الأم كفها على كتف «باي» الذاهلة عن كل شيء سوى مراقبة تلك الحركة الرتيبة البطيئة التي تدل أن «كورني» لا زال حيًّا وقالت بإشفاق: إلى متى يا ابنتي هذا العذاب؟ كم من ليلة قضيتها وأنت على هذه الحال المؤسفة؟

قالت بوهن: أخشى أن يموت، أريد أن أساعده، ولا أدري كيف؟

قالت: إن أردتِ مساعدته، فيجب أن تكوني قوية، أنت لا تأكلين يا بنيتي.

قالت بشرود: لقد ترك لنا غذاءه، سيموت جوعًا.

تنهدت الأم بألم ونظرت بعيون دامعة إلى القائد الواقف بجوارها تطلب منه العون، ثم سمعت «باي» تقول بوهن: تأتيني أمه كل يوم تسألني عما فعلته به، لمَ لمْ أنفذ وصيتها؟ لمَ لمْ أنقذه؟

نظر القائد إلى د.تينا وقال بقلق: أرجوك افحصيها.

أمسكت د.تينا بمعصمها وأخذت تقيس نبضها، ثم فحصت عينيها ودرجة وعيها وانتباهها، ثم قالت باهتمام: إنها تعاني من حالة تشوش ذهني وضعف شديد وسوء تغذية بسبب عزوفها عن الطعام وقلة النوم والحالة النفسية السيئة التي تمر بها.

قال القائد: أعطها بعض العقاقير لتتقوَّى بها.

قالت وهي تغادر الغرفة بسرعة: حالًا.

نظر القائد من النافذة ليفاجأ بجموع الفضائيين وقد احتشدوا حول المستشفى قلقًا وتعاطفًا مع «كورني» بعد أن طالت فترة رقاده في المستشفى، التفت إلى سريره وأخذ يتأمل وجهه وتذكر كلمات د.تينا «إنه بدأ يعود إلى طبيعته البشرية» عندما وجد شعيرات صغيرة نبتت على ذقنه وجانبي وجهه، تنهد بألم، لم يكن أحد يستطيع تقديم أي مساعدة له سوى الدعاء، الكل يدعو له، حتى الموهادز الأرضيّون الذين لم يعرفوه سوى لوقت قصير، يتألمون من أجله.

عادت د.تينا سريعًا، وملأت المحقن بعقاقير طبية وأمسكت بذراع «باي» لتغرس المحقن فيه، لكنها تراجعت بسرعة عندما انتفضت «باي» بعنف هاتفة: أهذا لي أنا!

قالت: نعم، إنها لتقويك، حتى لا تسقطي من الإعياء.

هتفت بغضب: ولم لا تعطينه شيئًا لينهض من مرضه؟ انظري إليه، إنه يحتاج للمساعدة.

تأملت في وجوههم بعيون زائغة وقالت: ألن تساعدوه؟

صمت الجميع متألمين، فصرخت: على أحد ما أن يساعده ليستيقظ، لا يجب أن يموت هكذا.

انتحبت الأم وخفض القائد رأسه عاجزًا عن الإجابة، وتراجعت د.تينا بعد أن أدركت أنها لن تستطيع أن تعطي «باي» العقاقير بسبب ثورتها.

أكملت «باي» ببكاء: ماذا أقول لأمه؟ بل ماذا أقول لربي عندما يسألني عما فعلته به.

كانت تتحدث بذهول ودموعها تسيل بغزارة، فقال القائد متأثرًا بعمق: ادعي له الله أن يتغمده برحمته.

هتفت بتوسل: يا إلهي، يارب السماوات، يارحيم، يا غفور، ارحمه يا إلهي، لا تأخذه وهو كافر، امنحه فرصة أخرى،

يا الله يا حنان يا منان، أسبغ علينا من فضلك وكرمك يا الله، لقد تقبلت أقداري بما رزقتنيه من الصبر، تقبلت موت أبي وإخوتي وأنا موقنة أنك ستجمعني بهم، تقبلت حياتي في العذاب المهين طمعًا في رحمتك يارباه، إلهي ومولاي، من أدعو سواك، أنت القادر لتمنحه الشفاء والهداية، من لنا سواك لندعوه، من أرحم منك ليرحم ضعفنا؟، لا تأخذه وهو كافر، إن كنت آخذه فخذه وهو مؤمن، ارحمه يا الله، ارحم ضعفه وجهله.

عجزت عن الوقوف على قدميها، فخرت على الأرض ساجدة تبكي وتنتحب بعنف وتردد: يا الله، يارحيم.

تفجرت دموع الموجودين بألم وتفطرت القلوب شفقة لدموعها ودعائها، وانتحب القائد بصوت عالٍ متألما بعد أن عجز عن كتمان مشاعره.

«باي»

لم تدرِ كم بقيت تبكي وتنتحب وتدعو الله وهي ساجدة، لم ترفع رأسها إلا عندما خيّل إليها أنها تسمع صوته يناديها.. كان صوتًا ضعيفًا للغاية ورغم ذلك سمعته، لم تكن تدري هل سمعته بأذنيها أم بقلبها؟، لكنها نهضت بسرعة وأخذت تنظر في وجهه، وهي تمسح دموعها، ترى، هل تحلم، أم أن ما سمعته حقيقة؟ شعرت أنها جُنَّت عندما وجدته كما هو ساكنًا لا يتحرك، واجتاحها اليأس، وسالت دموعها مجددًا وبدأت تنتحب؛ فسمعت الصوت الضعيف يناديها مجددًا.

تأملت وجهه بلهفة: "كورني"، هل تسمعني؟ هل استيقظت؟

أخيرًا فتح عينيه، فانتحبت قائلة بفرح: "كورني"، لقد استيقظت أخيرًا.

التف الجميع حول فراشه، واندفع القائد يقول بفرح غامر: حمدًا لله على سلامتك.

ظهر الأمل الكبير في عيني الأم، وابتسمت د.تينا ابتسامة انتصار، وهتفت: أهنئك، لقد استجاب جسمك للعلاج أخيرًا، ستنجو بالتأكيد.

كان يدور في وجوههم بشرود وكأنما لا يعي ما يقولونه، حتى توقف عند وجه "باي" الذي احْمرّ من كثرة البكاء، وجفونها التي تورمت، ولا زالت الدموع تنهمر بغزارة على وجنتيها، فقال ببطء: هل.. هل كل هذه الدموع لأجلي!؟

هزت رأسها موافقة دون أن تتكلم.

هتفت د.تينا بحماس: من اليوم سنبدأ بتكثيف العلاج بشكل مضاعف، أخيرًا استجاب جسمك لشيء، دارت عيناه في وجوههم من جديد، وصمَتَ ولم يرد.

EEE

(18)

كان جالسًا على الأرض مستندًا إلى جذع شجرة كبيرة تلقي بظلالها عليه وعلى ما حوله، وعيناه معلقتان بالسماء وأخذ يتأمل حركات الطيور وهو شارد في ذكرياته يسترجع كل ما مرَّ به منذ أن نزل إلى الأرض، لقد كان على شفا الموت، لكنه نجا أخيرًا، استجاب جسمه للسوائل التي تقدمها له د.تينا، لا زال يشعر بالوهن والضعف في جسده لكنه نجا.

عادت صورة أمه إلى ذاكرته من جديد. منذ أن استيقظ وهي لا تغيب عن باله، قد تتوارى في إحدى جوانب الذاكرة، وكأنما تصبح في خلفية الصورة، ثم سرعان ما تعود لتملأ ذاكرته كلها عندما يكون وحيدًا، استفاق من شروده عندما وجد أمامه فجأة زهرات بيضاء صغيرة ومعها وجه يحبه كثيرًا، إنها "إيما"، صديقته الصغيرة، مد يده وهو يبتسم وتناول منها الزهرات البيضاء الصغيرة التي جمعتها معًا ولفَّتْهم بشرائط بيضاء غطت سيقانها الخضراء..

قال بحنان: اشتقت إليك يا صغيرتي.

قالت باسمة: وأنا أيضًا اشتقت إليك.

كنت أفتقدك كل يوم وأبكي وأنت مريض، وطلبت من ربي أن يشفيك، أمي تقول إنه سمعني ولبَّى طلبي.

قال بشرود: أمك صادقة.

قالت: حقًّا!!

قال وصورة أمه تعود إلى ذاكرته: الأمهات دائمًا صادقات.

تأملت ملابسه وقالت: أصبحت تلبس ملابس مثل ملابسنا.

قال باسمًا: أيزعجك أن غيرت زيِّي؟

قالت ببراءة: لا، ولكني كنت أحب زيك القديم، وأحب ألوانه اللامعة كثيرًا.

قال بهدوء: لم يعد مناسبًا لي.

قالت بسعادة: هل أعجبتك الزهور؟ لقد أعدتها أمي بعناية من أجل أن أقدمها إليك، وغطت سيقانها بالشرائط حتى لا تجرح أصابعك.

قال باسمًا: أبلغي شكري لأمك لاهتمامها بي.

قالت: لقد جهزتها لك بمجرد أن أخبرتها "باي" أنك تحب الزهور البيضاء.

شرد بعيدًا ثم أغمض عينيه بأسى، وقال بمرارة ساخرة: نعم، هي تعرف جيدًا ما الذي أحبه.

هبَّت قائمة: يجب أن أذهب لأتابع دروسي، وسأعود إليك بسرعة.

قال بحنان: وأنا سأنتظرك.

رحلت الصغيرة ليغرق "كورني" في وحدته وشروده من جديد، لكنه ظن أنها عادت إليه عندما وجد يدًا تمتد إليه تحمل كأسًا به السائل الذي اعتاد أن يشربه، ثم سمع صوتًا يقول له: تفضل دواءك.

لا شيء يمكن أن يثير دهشته، فهو يتناول هذا السائل بانتظام عدة مرات في اليوم، إنَّ ما كان غريبًا هو أن يسمع هذا الصوت يحدثه بلغة الساموز!، رفع عينيه إلى محدثه، وعلى وجهه ارتسمت الدهشة، فقد كان القائد عبد الله يحمل له دواءه وهو يبتسم بودٍّ قائلًا: أتسمح لي بالجلوس معك قليلًا؟

صمت لحظات يحاول أن يستوعب الموقف، لا يستطيع أن يصدق أن القائد عبد الله يتحدث بلغة الساموز، كانت لهجته ركيكة للغاية، لكن كلماته واضحة فهمها "كورني" على الفور.

هز رأسه موافقًا بشرود، فجلس القائد بجواره وقدم إليه شرابه قائلًا: تفضل.

تناول "كورني" الكأس منه، وشرب منه القليل عندما سأله القائد: كيف أنت الآن؟

قال بهدوء: أتحسن.

ابتسم القائد قائلًا: هذا جيد، أحمد الله أن أزاح تلك الغمة المؤرقة..

ثم أردف وهو يتأمله بودٍّ: طالت لحيتك.

تذكر "كورني" فجأة ذقنه التي نبت فيها الشعر، فأخذ يحكها بأظفاره، وقال القائد: أتزعجك؟ أتشعر بالحكة؟

قال: قليلًا، الحقيقة أنني لست معتادًا على وجود شعيرات في هذا المكان.

قال القائد: منذ أن رأيتك وأنا متعجب من عدم نمو لحيتك مثلنا!.

قال: لا أذكر آخر مرة رأيت فيها شعرًا ينبت على ذقني.

قال متسائلًا: هل هذا بسبب طبيعة الغذاء الذي كنت تتناوله؟

قال: لا أظن، ربما بسبب جهاز التطهير الآلي، فمن يعمل في جيش الساموز يجب أن يمرَّ كل فترة على هذا الجهاز؛ ليطهر جسده من آية أدران أو جراثيم، فهو يضع مجموعة من المواد الكيماوية المطهرة على الجسم كله بعد وضع واقٍ خاص للحماية على الشعر والحاجبين.

هز القائد رأسه بفهم، لكن "كورني" سأله عندما أتى ذكر كوكب الساموز في الحديث: كيف تعلمت لغة الساموز؟

قال ببساطة: علمتني إياها أبية.

استدرك عندما رأى تغير وجهه: أعني "باي" كما تطلقون عليها، إنها تقول إنني تعلمتها بسرعة كبيرة.

قال "كورني": نعم، أنت تتحدثها بصورة مفهومة، ولكن لمَ أقدمت على تعلمها رغم عدم حاجتك إلى ذلك؟

قال بعمق: حتى أستطيع أن أصل إلى عقلك.

هزت الكلمة "كورني"، فقال بدهشة: أنا!!!

أجاب بصدق: نعم، يهمني للغاية أن أصل إلى عقلك وقلبك، وأتواصل معك.

قال "كورني" بدهشة: ولكن ما الذي ستستفيده من ذلك؟، أعني أننا نتواصل عبر مترجم ونفهم بعضنا بعضًا جيدًا.

قال بجدية: ولكن هذا لا يكفي، لا يكفي أبدًا، إن أبناء الأرض الواحدة لا يجب أن يكون بينهم وسيط.

قال بدهشة: ولكن أنا...

قاطعه القائد قبل أن يكمل: بل أنت من أبناء هذه الأرض، أنت آدمي، أصلك وجذورك من هنا، آباؤك وأجدادك خلقوا وعاشوا هنا، على عكس ما تظن، هذه الأرض ليست للموهادز فقط، إنها للبشر أجمعين، أنت تنتمي إلى هنا، وإن كنت عانيت كثيرًا في البداية، فذلك لأنك قضيت كل حياتك بعيدًا عن الأرض، لكن الأمور الآن بدأت تعود لطبيعتها، أنت ابن هذه الأرض، ومن حقك أن تجد هنا الأمن والغذاء والاستقرار والتواصل، من حقك أن تجد من يفهمك ويقدرك ويشعر بك.

كان كلامه غريبًا تمامًا على أذنيه، كلام القائد أتى في وقت غريب، بعد أن تقبَّل وحدته واعتاد عليها، بعد أن فهم وصدق أنه منبوذ ومكروه من كل من حوله؛ يأتي هذا الرجل الآن ليقول له كلامًا يخالف كل ما صدقه واستقر في عقله.

قال بعناد: لست مضطرًّا أن تقول لي هذا الكلام، أعلم تمامًا أين مكاني هنا.

قال القائد بصدق: لا لست مضطرًّا إلى شيء، إنما أقول لك ما يشعر به قلبي ويصدقه عقلي، إننا نحتاجك هنا معنا، نحتاج إلى إخلاصك ووفائك، نحتاج لنبلك وأخلاقك، نحتاج إلى عقلك وذراعك.

قال ساخرًا: وماذا ستفعل بسامو مثلي هنا؟ هذه الأرض فقط للموهادز.

قال بتأكيد: أخبرتك من قبل أن هذه الأرض للجميع، لا فرق بيننا وبينك في الحقوق والواجبات، إن لك ما لنا وعليك ما علينا، ربما حدثت بعض الأخطاء الفادحة نتيجة عودة أعدادٍ كبيرة إلى الأرض لم نكن نحسب حسابهم ولا نعد لهم العدة جيدًا، وفي ظل انشغالنا بتأمين الغذاء والمقام لهم، ثم انشغالنا بمشكلتك أنت مع الغذاء، لم يكن هناك مجال للتفكير في أي شيء آخر، ولكن، آن الأوان لتدارك وإصلاح كل الأخطاء، وبمجرد أن تسترد عافيتك ونجد لك العمل الذي يناسب قدراتك وعقليتك ستسير الأمور في طريقها الصحيح.

قال ساخرًا: إن كنت تعتقد أنني كسامو أحمل معي أسرار تقنيات الساموز وتطورهم العسكري والعلمي فأنت مخطئ، ما أنا إلا قائد تدريب للفرق وضابط مقاتل وقت الحرب، تلك الأسرار لا يعلمها سوى علماء الساموز والرتب الكبيرة.

ضحك ضحكة هادئة وقال: اطمئن، أفهم جيدًا مع من أتحدث، لقد ذهب عقلك بعيدًا للغاية، فأنا لا أنتوي أن أنتزع منك أية معلومات، فما تحمله هو الشيء الضئيل الذي لن ينفعنا بشيء، وذلك لأن أمثالك غير مطلوبين ولا مرغوبين في السلطة، أنت وأمك كنتما ضحية لعبة المصالح.

نظر إليه بدهشة هائلة؛ فأكمل بهدوء: إن السباق للسيطرة على المجموعة الشمسية وسيادة الكون هو حلم الأقوياء والطامحين للسلطة، لذلك كان التحالف بين الأقوياء والطامحين عبارة عن تبادل مصالح، وصفقات ومشاركة في هدف واحد وهو السيطرة على الآخرين، وكنت أنت واحدًا من هذه الصفقات، فأنت أحد الدعامات القوية المطلوبة لتقوية هذا التحالف، وكانوا على وشك السيطرة على المجموعة، لكنك قوَّضت أحلامهم ورفضت أن تدور معهم في لعبة المصالح القذرة؛ لذلك قرروا إقصاءك بأية وسيلة حتى لا تفسد مخططاتهم، ولكن حدث شيء قلَبَ الموازين وشغلهم وهدد خططهم، وهو ظهور قوة جديدة في الكوكب، وهي قوة الجمريين المقاتلين، لم تكن قوتهم فعالة أو مؤثرة أمام جيوش

الساموز وتطورهم العسكري، لكن مجرد ظهورهم، أحدث دويًّا أسمع كل المجرة، ونال من هيبة الساموز أمام منافسيهم الذين يحلمون بالسيطرة على المجموعة الشمسية، وهذا هو ما أعطى بعض الشجاعة لأعدائهم للملمة شتاتهم ومعاودة فتح جبهات للقتال معهم من جديد أملًا في التفوق عليهم،

وأدرك الساموز والزايانز أن وجود قوة مدوية على الكوكب ولو كانت ضعيفة كالجمريين هو خطر يجب تحطيمه والخلاص منه في أسرع وقت لتعود لهم صورتهم المهيبة أمام كواكب المجموعة الشمسية، هم يعتقدون أن بتدميرهم التابع «فايري» قضَوْا على الجمريين، لكن الجمريّين ليسوا فقط على التابع «فايري»، إنهم منتشرون في كل مكان، وفي كل الكواكب، لا أحد يمكنه أن يعلم مدى قوتهم الحقيقية، والآن بعد هذا الفشل الجديد الذي يضاف لرصيد تحالف الساموز والزايانز، تجرأ أعداؤهم ليشنوا عليهم الحرب من جديد أملًا في النيل من هيبتهم والفوز بالكلمة العليا في مجلس الحكماء.

هتف "كورني" بدهشة عظيمة: كيف.. كيف تعلم بكل هذا؟

قال: من حكايات الجد الشيخ رحمه الله، ومن حديث "باي" عن حياة الساموز، وقصص من هنا وهناك يحكيها الموهادز الفضائيّون، أستطيع بسهولة ربط الأمور ببعضها لتتكون لدي صورة شبه صحيحة لما يدور حولنا في الكواكب.

قال باستغراب: الموهادز!!

قال القائد: نعم، أم أنك كنت تظنهم ثلة من الجهلاء السفليين الذين لا يفقهون شيئًا؟

لو كانوا كذلك ما كانوا أخرجوا الجمريين المقاتلين الذين هزوا أركان كوكب الساموز.

قال بدهشة: وما الذي تعرفه أيضا عن الساموز وعني؟

قال: أعرف أنك كنت مبعدًا عن كل ما يخص أسرار الساموز الحربية والسياسية بسبب شخصيتك التي لا تتواءم مع تطلعات وأحلام الساموز والزايانز؛ ولأنك فرضت عليهم كحاكم مستقبلي للساموز أقوى كوكب في المجرة بكونك وريثًا للحاكم الحالي، كان عليهم تغيير المستقبل والقانون وكل شيء للخلاص منك، ولكن التخلص منك ليس سهلًا بالنسبة لشعب الساموز، فأنت الحاكم المستقبلي، البطل، المقاتل، الوسيم، معشوق فتيات الساموز.

كان لك رصيد كبير عند شعب الساموز، وكذلك أمك بشخصيتها الهادئة الطيبة البعيدة عن الشهرة والتي تهتم فقط بأسرتها وابنها، فهي الرمز المثالي لرفيقة حاكم الساموز، لكن هذا لا يناسب الكبار، يجب استبدال هذا النموذج المثالي بآخر يمكن الاعتماد عليه في لعبة المصالح القذرة.

همس "كورني" بمرارة: "سيفا"، ولكنها ماتت!

قال القائد: لن يصعب عليهم إيجاد غيرها؛ لذلك كان عليهم تدبير خطة محكمة لإقناع شعب الساموز بأنكما من الخونة الساعين لتدمير كوكب الساموز والقضاء على مستقبله، وكان الأمر سهلًا للغاية، فمع وجود الجمريين وتعاطفك الشديد مع طائفة السفليين التي يحتقرها كل ساموز، وكذلك اكتشاف أن أمك من الجمريين؛ تم ربط كل هذه الأشياء بخيط رفيع جمع بينهم، وحاك مؤامرة جهنمية للتخلص منك ومن أمك، ليستبدلوك بحاكم للساموز معد ومجهز لتحقيق كل أهدافهم، ألم أقل لك مسبقًا، إنها لعبة المصالح القذرة!.

قال ساخرًا: وهنا، على هذه الأرض، ألا تلعبون؟

قال بجدية: لا وقت ولا نية لدينا للّعب.

فنحن نخطو أولى خطواتنا خارج عصر الظلام، لو بدأنا باللعب فسنخسر كل ما كسبناه، إن هدفنا الوحيد هو الارتقاء بالإنسان بكل ما فيه، بعقله، بروحه، بجسده، بمشاعره.. الإنسان فقط، سواء كان موهادزًا أو لم يكن موهادزًا، وبرقي الإنسان سترتقي الأرض وكل ما عليها بالتبعية، وبعقل الإنسان وتعميره لها.

تنهد بعمق: كلما نظرت إلى السماء انتابني القلق، إنهم متقدمون للغاية عنا، ونحن لا زلنا نرتقي سلم الحضارة من بدايته، لا نملك ما يملكون من تطور وأسلحة، ولن نستطيع الدفاع عن أنفسنا إذا ما فكروا في غزونا.

والآن، بعد عودتكم إلى الأرض وخلوِّ الكوكب من السفليين، ليس هناك من يقوم بمهامهم، أتوقع أن يرسلوا أفواجًا تبحث عنكم في كل المجرة، ولا أسهل من تتبع مسار مركبتك ليعرفوا أنكم عدتم إلى الأرض

أو على الأقل يبحثوا عن بديل للسفليين، عندها سيعود عصر الغزو الفضائي واختطاف النساء والأطفال ليكونوا تابعين لهم، في كل الأحوال أتوقع أن يعودوا، ولكن متى؟ هذا ما لا يعلمه إلا الله، لا أستطيع أن أشغل نفسي كثيرًا بهذه الهواجس، أو الحقائق.. فلدي ما هو أهم في تلك المرحلة، علينا أن نزيل كل الحواجز بين الفضائيين والأرضيين، ومنها حاجز اللغة، لتبقى الأرض مستقرًا آمنًا لكم كما هي لنا، وإن كنت لا تستطيع تعلَّم لغتنا، فيجب علينا أن نتعلم لغتك لتشعر أنك منا.

هتف باستغراب: لماذا؟ لماذا تفعل معي كل هذا وأنا لست من الموهادز؟

وإن كان الساموز الذين أنتمي إليهم فعلوا بي هذا، فلم تهتم أنت بي وأنا غريب عنك ولن تجني شيئًا مني!!

تنهد القائد بعمق، وقال: لأن الله أمرني بهذا.

تساءل بدهشة: الله!!!

استدرك القائد قائلًا: نعم، إن شريعة الموهادز تأمرني بهذا.

قال عندما وجد عدم التصديق يبدو في عينيه: يومًا ما أخطأت خطأ فادحًا عندما استغرقت وقتًا طويلًا في البحث والتقصي عن ذلك الغريب الذي ألقته مركبة فضائية على أرضنا، كنا نريد أن نتأكد إن كان عدوًّا غازيًا أم صديق، لا أخفي عليك، فالشعور بعدم الأمان لا يفارقنا أبدًا، فنحن نتوقع عودة الغزاة في أي وقت، لم يأخذ الأمر وقتًا طويلًا بالنسبة لنا، لكن الوقت كان طويلًا للغاية على غريب مثله، وكان كل يوم يقربنا إليه ينقص من عمره يومًا.

كان يجب علينا أن نسارع بتعلم لغته ومعرفة احتياجاته الجسدية والنفسية قبل أن يقضي نحبه أمامنا جميعًا دون أن نستطيع حتى مساعدته أو طمأنينته أو حتى إيجاد غذاء مناسب لجسده، كان حادثًا زلزل كياني وأحرق فؤادي،

لا زلت أشعر أنني مسئول بصورة ما عن موته، وما كنت أحب تكرار التجربة الأليمة معك.

قال بامتنان: ألهذا كنت تبكي وتنتحب عندما استيقظت من غيبوبتي؟

قال: ما كان ضميري ليتحمل وزر التسبب في قتل إنسان آخر؛ لذلك قضينا الليل والنهار نعمل بجد لنصل إلى شيء ينقذ حياتك، ولله الحمد والمنة الذي وفقنا بفضله وكرمه إلى المادة التي تقبلها جسدك أخيرًا، أتعلم من دلنا عليها؟

عقد حاجبيه بتساؤل دون كلام؛ فقال: إنها الحشرة التي آذتك.

قال بعجب: حشـــ.. حشرة!!

قال باسمًا: نعم، إنها النحلة، لقد تعرضت لقرصة من نحلة في الغابة تسببت لك في حساسية وتورم، ولولا عناية الله لقضيت حتفك بسبب الحساسية والضعف الشديد لجسدك المنهك من قلة الطعام، استطاعت د.تينا التوصل إلى أن سبب تدهور حالتك قد يكون نفسه سببًا في شفائك، إنها النحلة، ذلك الكائن الصغير العجيب، فبرغم أنها قادرة على الإيذاء، إلا أنها تفرز سائلًا له القدرة على شفاء الكثير من الأمراض.

قال بدهشة: أكلُّ شيءعلى هذه الأرض لا يكتمل إلا بدرجة من الألم والتعب؟

قال القائد باسمًا: لقد أدركت هذا أخيرًا، كتب الله أن تكون هذه الأرض للتعب والنصب، وحتى نصل إلى ما نريده فعلينا أن نتحمل الألم والمشقة، لذلك فالنجاح له طعم رائع عندما تتعب للوصول إليه، وعلى قدر تعبك، تكون سعادتك، أتعلم أن هذا السائل الذي تشربه له تقدير كبير لدى الموهادز، فقد ذكر هو وصناعته في كتاب الموهادز، كما ذكر أن له القدرة على شفاء الناس، وها أنت دليل حيّ أمامنا.

أمسك "كورني" بالكأس الذي فيه دواؤه وقال: أتعني أن هذا..؟

قال القائد: نعم، لقد تقبل جسدك العسل، بل والخبر الأفضل أن د.تينا بدأت تخلط لك الماء المقطر بنسب داخل العسل حتى يعتاده جسدك، إن

ما تشربه الآن هو خليط من العسل والماء، مما يعني أن جسدك تقبل الماء أيضًا، وسرعان ما تجد نفسك تشرب الماء مثلنا، وستبدأ معك قريبًا في تجربة خلاصات الأطعمة، حتى تتوصل إلى ما يناسب جسمك.

نظر إليه مندهشًا فقال: في الحقيقة أن د.تينا عبقرية في مجالها، وأنا أمنحها ثقتي المطلقة، وأعلم أنها ستصل معك إلى أكثر مما نتوقعه جميعًا.

قال بامتنان: الشكر لك ولها، ولكن...

قال: لا تتعجل، اهتم لنفسك فنحن بحاجة إليك.

التفت إلى الجهة الأخرى ونظر بعيدًا، ثم عاد إليه وقال: وهي أيضًا بحاجة اليك.

فهم على الفور أنه يقصد "باي" التي تجلس على صخرة بعيدة ضامة ركبتيها إلى صدرها تنظر شاردة إلى التلال البعيدة وتتمتم كعادتها، فقال دون أن ينظر نحوها: لا أفهم لم تصر على تتبعي ومراقبتي في كل وقت، وكأنها لم تعد تثق برسولها الصغير الذي يرافقني باستمرار لينبئها بما أفعله.

قال باسمًا: إنها تخشى أن ترحل مجددًا ولا تستطيع اللحاق بك هذه المرة، عليك أن تلتمس لها العذر فقد كادت أن تفقد عقلها عندما استشعرت أنك قد تموت في أية لحظة، إنها تتألم أكثر منك، لا تريد أن تفقدك وفي نفس الوقت لا تستطيع الاقتراب منك.

قال ساخرًا بمرارة: نعم؛ لأنني من الساموز.

قال القائد موضحًا: لا، بل لأنك لست موهادزًا.

قال: وهل هناك فارق؟

قال: الفارق كبير للغاية، فهي لا تفعل هذا بسبب عداء بينك وبينها، بل العكس، إنها تحبك حبًّا جمًّا، لكن المشكلة أنك لست من الموهادز، لذلك فليس مسموحٌ لها أن تتزوجك.

نظر إليه متسائلًا فقال: أعني أن ترتبط بك، وهذا هو ما يؤلمها..

على أحد ما أن يجلو لك الأمر على حقيقته بعد أن فشلت هي في أن تجعلك تصغي إليها، أرجوك، لا تكن ناقمًا عليها، فالأمر ليس بيدها حقًا، إنها تتعذب أكثر منك.

قال ساخرًا: عجبًا لذلك القانون الغريب الذي يفرق بين المتحابين.

قال: هذا لأن الحياة ليست فقط حبًّا، هل سبق وأن تركت شيئًا تحبه للغاية من أجلي شيء أسمى وأغلى وأكثر منفعة لك ولمن تحبهم؟، تذكر فجأة لحظة فراقه لأمه ليذهب إلى جيش الساموز، وقتها كان يتألم، ولكنه كان يؤمن بأن فراقه لأمه هو تضحية نبيلة من أجل هدف أسمى وهو الوطن.

قاطع القائد ذكرياته قائلًا: إن الحياة عبارة عن جماعات وعائلات وأسر وأطفال وأجيال متعاقبة، ومصلحة الجماعة تأتي في أول الأولويات

بعدها العائلة والأسرة ثم في النهاية مصلحة الأفراد ورغباتهم.

هز رأسه بعدم اقتناع وقال: وماذا لو ادعيت كذبًا أنني من الموهادز؟ عندها ستزول كل الحواجز بيني وبينها وأصل إليها بسهولة، بل وبموافقة شريعة الموهادز وبمباركة منكم جميعًا!.

قال باسمًا: لو كنت تنتوي ذلك ما كنت تلفظت به أمامي، هناك شيء يمنعك.

قال ساخرًا: حقًا! وما هو؟

قال: إنه ضميرك الحي الذي يمنحك صفات النبلاء، لا تستطيع أن ترتكب مثل هذا الفعل لأنك أنبل من هذا، وهذا هو ما يعذبك منذ أن هبطت على الأرض، لو كنت تريد أن تحصل على ما تتمناه بأية وسيلة لكنت أقنعتنا من البداية أنك من الموهادز، لكنك تكره الكذب، أنت أنبل كثيرًا مما تعتقد في نفسك، معدنك أغلى وأرقى وأندر من البلو سترونج، يظهر جليًّا في مدى حبك لها وتضحيتك من أجلها، كما حكت لي، لو كنت دنيئًا لعاملتها كما عاملها الرقباء أو شباب الساموز والزايانز الحقراء، يومًا ما كانت بين يديك تفعل بها ما تشاء لو أردت، لكنك كنت نبيلًا للغاية، لقد أردت لها أن تختارك بإرادتها الحرة، وتمنيت أن تحبك كما تحبها، وتحققت أمنيتك، لكن الحب وحده قد لا يحقق السعادة للإنسان، فها أنت تتألم، وهي أيضًا.

شرد بعيدًا في كلماته ولم يجد كلمات يرد بها عليه.

نهض القائد من مكانه وهو يقول: أطلت عليك، وأرهقتك، سأتركك لترتاح الآن، ولنا أحاديث طويلة معًا، هذا بالطبع إن كنت تتقبل وجودي كصديق لك.

رد "كورني": هذا لو كنت أنت تتقبل أن يكون لك صديق لا ينتمي إلى الموهادز، ولا ينوي أن يكون من الموهادز.

قال وابتسامته تتسع: د.تينا قالت لي ذلك قبلك.

عقد حاجبيه بشدة وهو يردد مندهشًا: د.تينا!!!

قال القائد بابتسامة واسعة: ألم تعلم أن د.تينا ليست من الموهادز!

كان وقع المفاجأة على مسامعه هائلًا، فآخر ما كان يتوقعه أن د.تينا ليست من الموهادز، ولكن كيف؟

وكيف ارتقت منصبًا كبيرًا بين الموهادز؟ وكيف يمنحها القائد ثقته المطلقة! وكيف يعاملها الموهادز بكل هذا الاحترام والتقدير والحب؟

رحل القائد وشعر "كورني" بألم يهاجم رأسه، فأسندها إلى جذع الشجرة وأغمض عينيه بألم، ثم أمسك بكأس العسل دواؤه وأخذ يشربه وهو يفكر في كلمات القائد العجيبة التي غيرت كثيرًا مما كان يعتقد.

EEE

(الأخير)

ذكريات تتداعى، وجوه كثيرة، أحداث عديدة مرت فى حياته، شريط الذكريات كلما انتهى يعود ليبدأ من جديد

طفولته السعيدة، وجه أمه، كلماتها، قصصها، حكاياتها، أغنياتها، لمسة يدها على جبينه، افتراقه الأول عنها لينضم إلى معهد تدريب جنود الساموز الجدد، سنوات الدراسة والتفوق.

«إد» صديقه الحميم

كان يرتدي ببطء زيه العسكري اللامع أمام المرآة، ولكنه لا يرى نفسه فيها، بل كان يتأمل ماضيه يجري أمامه في المرآة، حفل تخرجه وفرح أمه وابتساماتها الدافئة الحنون...

الحرب، الأعداء، "سيفا"...

عودته منتصرًا وترقيته..

"باي"، التابع «فايري».

أحكم إغلاق الزي ذي الخواص المغناطيسية حول جسده...

الجد الشيخ..

"إيما" الصغيرة، والد "باي" يقاتل معه، "شاهي"..

"دافي"، المؤامرات الدنيئة، الخسة، النذالة...

ارتدى قفازاته ببطء كبير، وارتسم الألم في قسماته ودمعت عيناه عندما تذكر لحظات أمه الأخيرة وهي تموت بين ذراعيه، أحكم القفازات جيدًا حول معصميه، ثم وضع قدميه في حذائه، تذكر عندما صدر الأمر بتدمير التابع «فايري»، إنقاذ الموهادز، مقتل "شاهي" ووالد "باي"، الوصول إلى الأرض.

أحكم إغلاق الحذاء ولفه جيدًا حول ساقيه، الخوف والألم والجوع والقلق من المستقبل، نجاته من الموت وابتعاده عن "باي" ويأسه التام منها، عمله مع القائد عبد الله أفضل أصدقائه، ارتدى الخوذة المطاطية المقربة ليختبر فاعليتها، التفت نحو النافذة الكبيرة المفتوحة بجواره، وأخذ يراقب "باي" من بعيد وهي تسير في الطريق والهواء يعبث بملابسها الواسعة، دمعت عيناه، ونزع الخوذة عن رأسه وطواها وثبتها في حزامه، ألقى نظرة أخيرة شاملة على مظهره في المرآة، واطمأن أن كل شيء مناسب.

كان القائد عبد الله محقًّا، وكما توقع تمامًا أصبح "كورني" من الموهادز أخيرًا، استغرق الأمر بضع سنين ليفهم ويقتنع، ولكنه في النهاية انضم للمحمديين وعاد إلى اسمه الأصلي بلغة الأرض «قرآني»، ماكان يتوقع أن يحدث هذا أبدًا، ولكن كما كان القائد عبد الله يقول" من له مثل عقلك وقلبك لا يمكن أن يبتعد كثيرًا"، لقد استجاب الله لكل الدعوات التي انطلقت لأجلك بالهداية، تلك هي المكافأة العظيمة لأمك على صبرها وتقواها.

نظر من النافذة من جديد ليجد "باي" تقترب نحو البيت.

(أبية)

كانت هي المكافأة الحقيقية له والنعمة التي أنعم الله بها عليه، تأمل الجدران التي حوله، تلك الجدران التي شهدت سنوات السعادة والحب الكبير، وشهدت مولد طفلتهما الأولى التي أسماها باسم أمه، ثم الثاني والثالث والرابع

بضعة سنوات قليلة امتلأ فيها البيت بثمرات الحب، كانت أبية بالنسبة إليه نبعًا من الحب والحنان والسعادة لا ينضب، تذكر حديقتهما الصغيرة التي خلف البيت، شهدت أجمل لحظات السعادة والحب الذي كان يكبر بينهما يومًا بعد يوم، أشجارها ارتوت من حبهما، زهراتها غرساها معًا زهرة.. زهرة.

شعر بشيء تحت قدمه، سحب قدمه وانحنى يلتقطها، إنها تلك الدمية الصغيرة التي صنعها بيديه لصغيرته، تحسسها بحب وأخذ يشمها، ثم انحنى على المهد الصغير الذي تجلس فيه صغيرته التي لم تتجاوز العام الواحد، وأخذ يمسح رأسها بحب ثم أعطاها الدمية لتلتقطها بكفيها الصغيرين وتبتسم له، أخذ يتحسس مهدها الصغير بأصابعه، ذلك المهد الذي صنعه بيديه ليتعاقب عليه أطفاله واحدًا بعد الآخر.

ابتسم وأصابعه تتحسس علامات السنين التي ارتسمت على المهد، ذلك مكان أسنان طفله الثاني، وتلك رسومات طفلته الأولى، وهذه علامات أظفار صغيره الثالث، أما تلك الجميلة، فلم تضع بعْدُ علاماتِها عليه.

دمعت عيناه بحنين وهو يتذكر الأيام السعيدة التي مرت به، وذكرياته مع أطفاله، صخب ومرح ولعب وضحكات، تذكر وهو يلاعبهم ويداعبهم ويحممهم ويطعمهم ويؤرجحهم في الأرجوحة التي صنعها لهم في الحديقة الخلفية، أيام تمتلئ بالسعادة والحب.

دخلت أبية إلى البيت، توقفت مندهشة، وظهر على وجهها أثر المفاجأة جليًّا، وانتابها القلق وهي تراه يرتدي زيه العسكري، عجز عن النظر إليها وانشغل افتعالًا بترتيب زيه حتى لا تسأله عن شيء، لكنها لم تكن تنوي أن تسأله، فهي لم تسأله أبدًا عن شيء، لم تكن تحتاج إلى ذلك، تستطيع أن تعرف ما في عقله بمجرد النظر في عينيه، لقد وصلا إلى درجة من التفاهم تتضاءل بجوارها أية كلمات، خلعت وشاحها الكبير، وألقته على الفراش ليبدو بوضوح بطنها الكبير الذي يضم طفلهما الخامس.

التفت إليها وغاصت عيناه في بطنها المكور، ووضع كفيْه عليه، وكأنما يشتاق إلى طفله القادم، يتمنى أن يرى ملامحه ويلمسه بيديه، أشاح بوجهه بعيدًا حتى لا تلتقي نظراته بنظراتها المتألمة ولا يشاهد دموعها التي جرت غزيرة على خديها، كان يشعر بمدى حزنها وألمها، ولكنه لم يكن يملك لها شيئًا ليخفف من ألمها، بل كان يتألم أكثر منها، كانت تدرك أن هذا اليوم آت لا محالة.

عندما رأته يومًا ينظر للسماء بعمق، ويرى الأضواء المشتعلة فيها تخفت تدريجيًّا حتى اختفت، وعادت السماء لهدوئها، قال لها: الآن فقط انتهت الحرب، لا شك أنهم قد عقدوا اتفاقية سلام جديدة.

عودة الهدوء تعنى أنهم سيتفرغون الآن للبحث عما ضاع منهم في الفضاء، أو إيجاد بديل غيره، فهمت كلماته بكل معانيها، كما توقعت ما ينتوي فعله، وتأكد لها صدق إحساسها عندما أخرج مركبته من باطن الأرض بمساعدة الأرضيين، وبدأ في إصلاحها، كان يعمل طوال النهار، وعندما يأتي الليل يقضيه في إصلاح مركبته هاجرًا النوم.

وكلما رأته يعمل بجد في مركبته تذكرت أباها الراحل، كان يشبهه كثيرًا، يعمل دون كلل ودون كلام، يعمل فقط، يبذل جهدًا مضنيًا دون أن يسأل نفسه إن كان سينجح أو سيفشل، سنوات طويلة قضاها في إصلاح المركبة، حتى نجح أخيرًا، لم تعد كما كانت، لكنها تستطيع أن توصله إلى وجهته، كانت تعلم أنه قرر أن ينضم للجمريين، فهو السبيل الوحيد للبقاء في هذا الكون، كانت تدرك جيدًا أنه لن يعود، وهو أيضًا يدرك ذلك، وهذا هو ما يسحق فؤاده ويدمي قلبها، سيترك جنته التي على الأرض، سيترك جنته التي صنعها بيديه جزءًا جزءًا ليرحل دون عودة وينضم إلى الجمريين في معاركهم في سبيل الحرية...

انفجرت دموعه التي حبسها طويلًا وهو يودعها بصمت، لم يتبادلا كلمة واحدة، فألم الفراق أكبر وأعمق من أي كلام

EEE

كانت تخطو خطواتها البطيئة وهي تراقب بفؤاد محترق مركبته الفضائية وهي تقلع مغادرة إلى الفضاء الواسع وكلماته تتردد في قلبها وعقلها، سأرحل...

سأرحل، ولن أعود.

سأنضم إلى الجمريين المقاتلين، فهو السبيل الوحيد لبقائكم على الأرض بأمان، سأذهب لقتالهم قبل أن يأتوا هم إلينا، سأقاتل حتى يظل أبنائي من المحمديين، ولا يجبرون على تغيير لغتهم وإخفاء أسمائهم، سأقاتل حتى لا تضطري للتخلي عن حجابك وتستباح حرماتك، سأقاتل حتى تظلي أبية رافضة للذل عصية على الكسر، لا تخضع ولا تلين، سأقاتل لتبقى لنا الأرض حرة نعبد الله عليها بأمان، تحت سماء بلا قضبان.

تمت في

8\ 1 \ 1431 هـ